دِيوَانُ المعَانِي

لِلإمَامِ اللُّغَوِيّ الأَدِيبِ أَبِي هِلاَلِ العَسْكرِيّ

الجزء الأول

عن نسختى الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى رحمهما الله ، الأولى فى خزانة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة وهى مقابلة بقراءة العلامة الشيخ عبد العزيز شاويش رحمه الله ، والثانية فى دار الكتب المصرية العامرة ، مع مقابلة بعضهما بنسخة المتحفة البريطانية بواسطة المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو المتفضل بالنظر فى تصحيحه

عنيت بنشره

مكتبة القدسي

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة ــ باب الخلق ــ حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ وحقوق الطبع محفوظة

دِيوَانُ المعَانِي

لِلإمَامِ اللُّغَوِيّ الأَدِيبِ أَبِي هِلَالٍ العَسْكَرِيّ

الجزء الأول

عن نسختى الامامين العظيمين : الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى رحمهما الله ، الأولى فى خزانة الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة وهى مقابلة بقراءة العلامة الشيخ عبد العزيز شاويش رحمه الله ، والثانية فى دار الكتب المصرية العامرة ، مع مقابلة بعضهما بنسخة المتحفة البريطانية بواسطة المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو المتفضل بالنظر فى تصحيحه

عنيت بنشره

مكتبة القدسي

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة ـ باب الخلق ـ حارة الجداوى ١

سنة ١٣٥٢ وحقوق الطبع محفوظة

﴿ كلمة عن حياة المؤلف ﴾

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى العسكرى .

قال أبو طاهر السِّلفي : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى رحمه الله بهمذان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه[1] معاً ، وقال كان يتبزز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو فى سؤالاتي عنه - وكان الغالب عليه الأدب والشعر، وله فى اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين صناعتى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً[2] .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد المقرى إملاءً . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شباب ... وتغشاك مشيبُ

فأتى ما ليس يمضى ... ومضى ما لا يؤوبُ

فتأهَّبْ لسقام ... ليس يشفيه طبيبُ

لا توهمهُ بعيداً ... إنما الآتى قريبُ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستر قال أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

---

(١) في نسخة « العفة » مكان « الفقه » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ العجمْ وحالى فيكم حالُ من حاكَ أو حجمْ
فأينَ انتفاعى بالاصالةِ والحجا وما ربحتْ كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى في الناسِ(١) يبصرُ حالتى فلا يلعنُ القرطاسَ والحبرَ والقلم

وممـا أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتستر قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال أنشدنا أبو هلال العسكرى لنفسه :

جلوسىَ فى سُوقٍ أبيعُ وأشترى دليـلٌ على أنَّ الأنامَ قـرودُ
ولا خيرَ في قوم تَذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
ويهجوهمُ عنى رثاثةُ كسوتى(٢) هجـاءً قبيحـاً ماعليـهِ مزيـدُ

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضي بالسوس قال أنشدنا المظفر بن طاهر بن الجراح الاستراباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل اللغوى العسكرى لنفسه :

ياهلالاً من القصورِ تدلَّى صامَ وجهى لمقلتيهِ وصَـلَّى
لستُ أدرى أطالَ ليلىَ أم لا كيفَ يدرى بذاك من يتقلى
لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلى ولرعى النجوم كنتُ مخلى

هذا آخر ماذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدرى أطال ليلى أم لا * والبيت الذى بعده رأيته في بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم(٣) . هذا عن السِّلفى . وذكر غيره أن أبا هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكرى.

وله من الكتب بعد ماذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى ، وهو من أحسن الكتب(٤)

---

(١) فى عيون التواريخ (في الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثاثة ملبسي)

(٣) لعل الغلط من الراوى لأن أبا هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر في عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فلعله اطلع عليه .

وكتاب جمهرة الأمثال . كتاب معانى الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ماتلحن فيه الخاصة . كتاب أعلام المعانى فى معانى الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب الفرق بين المعانى . كتاب نوادر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغنى فيها شيء ، غير أنى وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ماقرأتُ على كتاب ... بخطّ العسكرىّ أبى هلالِ
فلو أنى جُعلتُ أميرَ جيشٍ ... لمـا قاتلتُ إلا بالسؤال
فانّ الناسَ ينهزمونَ منهُ ... وقد ثبتوا لأطرافِ العوالى

وقال أبو هلال العسكرى في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :

فـتَرَتْ صبوتى وأقصرَ شجوى ... وأتانيِ السرورُ من كلِّ نحوِ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى ... من حُرُورٍ تشوى الوجوهَ وتكوى
بردَ المـاءُ والهواءُ كأنْ قد ... سرقَ البردَ من جوانحِ خِلْو
ريحهُ تلمسُ الصدورَ فتشفى ... وغماماتهُ تصوبُ فتروى
لستُ أنسى منهُ دَمائةَ دجنٍ ... ثمَّ من بعده نَضارةَ صحوِ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقطـــرِ كما بُشرَ العليـلُ ببرو
وغيـوماً مطرزاتِ الحواشى ... بوميضٍ من البروقِ وخفـوِ
كلمـا أرخت السماءُ عُراها ... جمعَ القطرُ بينَ سُفلٍ وعلو
وهي تعطيك حينَ هبتْ شمالاً ... بردَ ماءٍ فيها ورقَّةَ جـوِّ
وترى الأرضَ فى ملاءةِ ثلجٍ ... مثل ريطٍ لبستهُ فوقَ فرو

فاستعارَ العراءُ[1] منها لباساً   سوفَ يمنى من الرِّياح بنضو

فكأنَّ الكافورَ موضع ترب   وكأنَّ الجمانَ موضع قرو

وليالٍ أطلنَ مُدةَ درسى   مثلما قد مددنَ فى عمرِ لهوى

مرَّ لى بعضها بفقهٍ وبعضٌ   بينَ شعرٍ أخذتُ فيهِ ونحوِ

وحديثٍ كأنهُ عقدُ ريَّا   بتُّ أرويهِ للرِّجالِ وتروى

فيحديثِ الرِّجالِ روْضَةُ أنسٍ   باتَ يرعى بأهلِ نبلٍ وسروِ[2]

ومن شعره فى ارتفاع السفل :

لايغرنكمُ علوُّ لئيم   فعلوٌّ لايُستحقُّ سفالُ

فارتفاعُ الغريقِ فيهِ فضوحٌ   وارتفاعُ المصلوبِ فيه نكال

---

(١) فى الأصل « العرار » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان المعانى ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

٧١

ما تعذبت فيه طول عمري فحرمته بابن طهر

وحدثني ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو دعامة الشاعر

قال كتب العتابي الى مالك بن طوق يسترفده ويستمنحه ويدعوه

الى صلة الرحم والقرابة بينه وبينه وكان مما كتب ان ابن عمك من

قرب منك خيره وان ابن عمك من عم نفعه وان عشيرتك من

احسن معاشرتك وان احب الناس اليك اجداهم بالمنفعة

عليك وان اهداهم الحمد ذمك من اهدى اليك ولذلك اقول

ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب

فاذا القرابة لا تقرب قاطعا واذا المودة اقرب الانساب

قال ابو هلال رحمه الله

هذا اخر ما رايناه نقصته هذا الكتاب وبالله التوفيق

والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

(صورة آخر النسخة الشنقيطية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته .

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت فى هذا الكتاب أبلغ ماجاء فى كل فن وأبدع ماروى في كل نوع من أعلام المعانى وأعيانها إلى عوادبها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ماكان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل رخو ولا متجعد فج ، وهذا نوع من الكلام لايزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فان سبق إليه بالجواب جل قدره وفخم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال فى ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ؛ وذلك مثل ماأخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى[1] قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول فى جملة أبى الفضل محمد بن الحسن بن العميد[2] لمنادمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسميه اللغوى العلامة ؛ يروى عنه فى هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف فى أنواع العلوم والتحقيق فى التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السميان على صاحب الأعلام وهما فى الامامة علمان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثانى ، كان متوسعاً فى علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطانته فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقى ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فنذعند خاطرك حُداجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ماقاله قديم في ذلك قول الشاعر :

فان أهلكْ فقد أبقيتُ بعدى ... قوافى تُعجبُ المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات ... لو أنَّ الشعرَ يُلبَسُ لارتُدينا

وأحسن ما قاله محدَث قول أبى تمام[1] :

ووالله لا أنفكُّ أهدى شوارداً ... إليك يُحمانَ الثناء المنخلا
تُخالُ به بُرداً عليك محبراً ... وتحسبها عقداً عليك مُفصَّلا
ألذَّ من السلوى وأطيبَ نفحةً ... من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملا
أخفَّ على رُوح وأثقلَ قيمةً ... وأقصرَ في سمع الجليس وأطولا
ويُزهى به قومٌ ولم يمدحوا بها ... إذا مثل الرَّاوى بها أو تمثلا

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .. وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع اليه قال له كيف وجدتها ؟ فقال بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مدبراً للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهورى الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبى ، توفى سنة ٣٦٠ .

(١) هو حبيب بن أوس الطائى الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الاثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله فى البلاغة ماقالت حزام ، مات سنة ٢٣١ ـ كما فى شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافيَ والمساعيَ لم تَزَل ... مثلَ النظَـامِ[1] إذا أصابَ فريدا

هي جوهرٌ نثرٌ فانْ أَلَّفته ... بالشعرِ صارَ قلائداً وعُقودا

في كل معتركٍ وكل مقامة ... يأخذن منها ذِمَّةً وعهودا

فاذا القصائدُ لم تكن خفراءها ... لم ترضَ منها مَشهداً مشهودا

من أجل ذلك كانت العُرُب الأُلى ... يدعون ذلك[2] سُؤدَداً محدودا

وتند عندهم العلا الأُعلى التي ... جعلتْها مُرَرُ القريضِ[3] قيودا

قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء ، وفِند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص[4] ، وكانت بعثته ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجمر فقال تعست العجلة فقالت فيه :

بعثتك قابساً فلبثتَ حولا ... متى يأتي غياثُك من تغيث

وقال الشاعر : ما رأينا لغراب[5] مَثَلا ... إذ بعثناه لحمل المشمله[6]

غير فِند أرسلوه قابساً ... فثوى حولاً وسب العجله

فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحُداجة رجل يضرب به المثل في السرعة فقيل أسرع من حُداجة[7] .

وممن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطئ النضر بن شميل[8] أخبرنا أبو

---

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان المطبوع «يدعون هذا» . (٣) في الديوان «مرر القصيد» . (٤) في مجمع الأمثال : بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء تجمع فيه المقدحة بالآتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .

(٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعه من البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعليّ قميص مرقوع فقال يانضر ماهذا القشف [(١)] فقلت ياأمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان، قال لاولكنك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سَدَادٌ من عَوَز» فقلت صدق ياأمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عَوَز» قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يانضر كيف قلت سِدادقلت ياأمير المؤمنين السَّداد ههنالحن قال ويحك أتلحنني قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فماالفرق بينهما ؟ قلت السَّداد القصد في الدين والسبيل ، والسِّداد البلغة وكل ماسددت به شيئاً فهو سِداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرْجى [(٢)] يقول :

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغْرِ

قال قبح الله من لاأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قالته العرب قلت حمزة بن بِيض [(٣)] يقول في الحكم بن مروان :

---

(١) القشف : رثاثة الهيئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام المخزومي أمير مكة لما شبب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا وقد شَرعت أسنتها بنحرى

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم الى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ و « بيض» بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولونَ لى والعيُونُ هازِعَةٌ أقِمْ علينا يوماً فلَمْ أُقِم

أىُّ الوجوهِ انتجعت قلت لها وأى وجه إلا الى الحَكَمِ

متَى يَقُلْ صاحبا سُرادقه هذا ابن بيضٍ بالباب يبتسم

قد كنتُ أسلمتُ فيك مقتبلا فهات اذخل أو فى سلمى

فقال أحسن ماشاء ، أنشدنى أنصف بيت قالته العرب قلت ابن غزوية المدنى حيث يقول :

إنى وان كان ابن عمى واغراً لمَزاحمٌ من خلفِه وورائِه

ومُمِده بَصرى وإن كان امرأً مُتَزَحزِحاً فى أرضه وسمائه

وأكون والى سره فأصونُه حتى يَحين علىَّ وَقْتُ أدائِه

واذا الحوادثُ أجحفت بسوامه[١] قُرنت صَحيحتُنا الى جربائه

واذا دعا باسمى لِتَركب مركبا صعباً قعدتُ له على سيسائه[٢]

واذا رأيت له رداءً ناضراً لم يُلْفِنى مُتَمنياً لردائه

فقال أحسن ماشاء، أنشدنى أقنع بيت للعرب قلت الراعى[٣] حيث يقول :

أطلُبُ ما يَطلُبُ الكريمُ من الـرزق لنفسى فأُجْمِلُ الطَّلبا

وأحلُبُ الذرة الصفاءَ ولا أجهد أخلافَ غيرِها حَلَبا

إنى رأيتُ الفتَى الكريمَ إذا رَغَّبته فى صنيعة رَغِبا

والنَّذْلُ لا يَطلبُ العَلاءَ وَلا يُعطيك شيئاً إلا إذا رَهِبا

مثلُ الحمار الموقع السو لا يُحْسِنُ شيئاً إلا إذا ضُرِبَا

ولم أجد غُرة الخلائق الا الدينَ لما اعتبرتُ والحَسَبا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الوافى بالوفيات والتاج، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الابل . (٢) السيساء بالكسر :منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركه ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
(٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعى النميرى ، من معاصرى جرير والفرزدق .

قـد يُرزَقُ الخافِق المقيمُ وما شدَّ بعَيْشٍ رَحْلًا ولا قتبا
ويُحْرَمُ الرِّزْق ذو المطيةِ والـرحل ومَن لا يَزالُ مُغْتَرِبا

فقال أحسن ماشاء ، مامالك يا نضر ؟ فقلت أريض لي بمرو أتصابها وأتمذدها قال ألا [1] نفيدك مع ذلك مالا ؟ قلت إني الى ذلك محتاج قال فأخذ القرطاس وكتب ولاأدرى ما كتب ، قال كيف تقول من التراب اذا أمرت أن تترب ؟ قلت أتربه ، قال فهو ماذا ؟ قلت مترب ، قال فمن الطين ؟ قلت طِنه ، قال فهو ماذا ؟ قلت مطين ، قال هذه أحسن من الأولى ثم قال ياغلام اتربه وطنه ، ثم صـلى بنا العشاء ثم قال لخادمه تبلغ معه الى الفضل بن سهل . فأتيته فلما قرأ الكتاب قال يانضر إن أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذبه فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع الفقهاء ، فأمر لى الفضل بثلاثين ألفاً فأخذت ثمانين ألفا بحرف استفاده منى .

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال أخبرنا أحمد بن يحيى المهلبي قال حدثنى أبي قال جرى فى مجلس الواثق بالله تعالى ذكر ما قيل فى أصحاب النبيذ فأمرت أن يسأل أبو محلم عن أحسن ماقيل فى ذلك فسئل بعد أن أحضر فقال أحسنه قول حكيم وهو شاعر عصره النمر بن تولب العكلي [2] :

وفِتيةٍ كالسيوفِ أحصرهم لا حَصَرٌ فيهمُ ولا بخل
بِيضٌ مساميحُ في الشتاء وإن أخْلَفَ نجمٌ عن وَبْله وبلوا [3]
لا يتأرَّوْنَ [4] في المضيق وان نادَى مُنادٍ أنِ انزِلوا نزلوا
لا يعترى شربنا اللحاء وقد تُوهب فينا القيانُ والحلل

فاستحسن الواثق الأبيات ووهب [5] أبا محلم .

---

(١) فى نسخة « أفلا » . (٢) من شعراء الجاهلية أدرك الاسلام كبيراً ، وكان وجيها جواداً . (٣) الوبل : المطر الشديد . (٤) تأرى بالمكان : احتبس. (٥) فى نسخة « ووصل » .

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقته اليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة اليه هذه الحاجة فوقعت العناية عليه وانصرفت بالاهتمام اليه حتى تهذب وتثقف وتشذب وتدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال ماألقى فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ مايريد وينال مايريغ [١] إلا بتكلفة لغوب [٢] ومواصلة دؤوب لاسيما إذا كان الغرض الذى ينزع اليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه ويدونه أورياسة أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتوانى المتهاون ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهِرَتْ عُيُونُهُمُ وأنْتَ عَنِ الذى قَاسُوهُ حَالِمْ

وقيل : وإنَّ سِيادَةَ الأقوامِ فاعْلَم لهَا صعداءُ مَطْلَعُها طَويلُ

وقيل : ان السِيادَةَ والرِّياسَةَ والعُلى أعباؤهنَّ كما عَلِمْتَ ثِقَالُ

وقيل : وإن جَسِيماتِ الأُمورِ مَنُوطَةٌ بِمُسْتَوْدَعاتٍ فيُ بطونِ الأساوِدِ

وقلت : * إن الأمور مريحها فى المتعب * وفى المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » وقيل * مالمن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

ولَمْ يَتَسهل للفتى دَرَكُ العُلا إذا هو لم يصبر على المتصعب

ومن كانت له حاجة فِي الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ مراده منه وقيل :

طوامِسُ لى من دُونهن عَداوَةٌ ولى من وَراء الطامِساتِ حَبيبُ

بعيدٌ على من ليس يطلب حاجة وأما على ذى حاجة فقريبُ

والذى حدانى على جمع هذا النوع أيضا انى لم أجد فيه كتابا مؤلفاً ولا كلاماً مصنفاً يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ماتفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف الصحف غير مقنع يشفى الراغب ويكفى الطالب فجمعته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

---

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

مايقاربه من أمثاله وما يجرى معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ، وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنفى للملال وأعدى على الكلال من لزوم نهج لايتعداه والاقتصار على أمر لايتوخى سواه .

وجعلته إثنى عشر بابا : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : في الخصال .

الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : فى الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : فى ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .

الباب السابع : فى ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم ومايجري مع ذلك .

الباب الثامن : فى ذكر السلاح والحرب ومايشبه ذلك .

الباب التاسع : فى ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة ومايجرى مع ذلك .

الباب العاشر : فى ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : فى ذكر الشباب والمشيب والعلل والموت والمراثى والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : فى صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدّث بمـا ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة حكمة ثانية ويكسوها المحبـة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب فى جميع ماضمنت هذه الأبواب ، وإن وجد فى بعض فصوله خطل أو تعرض فيه زلل أو تخلله خلل فغير بديع ولاقبيح شنيع لأن النقصان منوط بالانسان لايسـلم منه خَـلقه وخُـلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شىء حتى صارت في وجنة القمر سفعة ، وقد قلت :

وفى كل شىء حينَ تَخْـبُر أمرَه معايبُ حتى البدر أكلَفُ أسفعُ

والشىء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

فى المديح والتهانى والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعانى وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول فى المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبيانى [١] .

ألم تَرَ أنّ الله أعطاكَ سُورةً ترى كلَّ مَلْكٍ دُونها يَتَذَبْذَبُ [٢]

---

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه فى الشعر ، كان يعرض عليه الشعراء قصائدهم فى سوق عـكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظى باقبال النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شبب بزوجته ، ثم عفا عنه ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .

(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتذبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملوك(١) كواكبٌ ... إذا طلعت لم يَبْدُ منهن كوكب

ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثنى أبو ذكوان قال : أدخلت إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز لخدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم ترأن الله أعطاك سورة ـ البيتين فقلت ما عندى فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على الملوك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً ألا ترى إلى قوله :

ولكننى كنتُ امرأً لىَ جانب ... من الأرض فيه مُستراد ومَذْهبُ

مُلُوك(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم ... أحكَّم فى أموالهم وأُقرب

كحكمك فى قوم أراك اصطفيتهم(٣) ... فلم ترَهم فى شُكر ذلك أذنبوا

يقول لا تلمنى على شكرى وقد أحسنوا إلىّ إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما أحسنت إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أنى أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلمُّه ... على شَعَث أىُّ الرجالِ المهذب

فان أكُ مظلوما فعبد ظلمته ... وإن يك ذا عُتبى فمثلك يُعتب

يقول مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك العتبى والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :

ألم ترَ أن الله أعطاك سُورة ... ترى كل مَلْك دونها يتذبذب

بأنك شمسٌ والملوك كواكب ... إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهن كوكب

يقول ما صلحت لى أنت فانى لا أريد غيرك من الملوك كما أن من طلعت عليه

---

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملوك» الموجودة في ديوان النابغة المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذى فى ديوان النابغة المطبوع « كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم » .

الشمس لم يحتج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعانى ما نظمه النابغة ما جاء به فى أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تكادُ تَمِيدُ الأرضُ بالناس ان رأوا لِعَمْرو بن هِند غَضْبَةً وهو عاتِبُ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكب

وقالت صفية الباهلية :

أخْنَى على مالك ريبُ الزمان ولا يُبقى الزمانُ على شىء ولا يَذَرُ
كنا كأنجُمِ ليلٍ بَيْننا قَمَرٌ يجْلو الدُّجَى فهوَى من بيننا القمر

ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كأن بنى نبهانَ يومَ وفاته نجومُ سماء خَرَّ من بينها البدر

وقال نصيب في معنى النابغة :

هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حولَهُ وهل يشبه البدرَ المضيءَ الكواكبُ

ومثل قول النابغة * احكم في أموالهم وأقرب * قول الاشجع [(١)] :

لا تَعْذلونى فى مديحى معشراً خَطَبوا المديح الىَّ بالأموال
يتزحزحُونَ اذا رأونى مُقْبلا عن كل مُتَّكإٍ من الاجلال

وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل فى المديح قول النابغة :

فانكَ كالليل الذى هو مُدْركى وان خِلْتُ أن المنتأى عنك واسع

ثم قال أخبرنى محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندى أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعى قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فانك كالليل الذى هو مدركي *

---

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فما لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفطويه يذكر عن الفراء قال قال الكسائى حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب [١] عند العباس بن محمد فى مفاتقة اللغات ومجاريها ونوادر الاعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوالزوائد الحطم فى حلبة المضمار الى أن تذاكروا [٢] الاشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة ؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافى شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلده فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطابه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذى يقول فيه :

* فانك كالليل الذى هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عذرك وأصفح لقدرك عنك ثم أمر فخلع عليه خلع الرضا وكنّ حبرات خضر مطرفة بالدر فى قضب الذهب وانصرف الى منزله . قال الباهلى وإن النابغة جاء يوما مستأذناً معتذراً فقال له الحاجب الملك على شرابه قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأفئدة عند السكر فان يلج لى فلق المجد عن غرر مواهبه فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ما تنى عنايتى بك بدون شكرك لى فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدى فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك فى الأدب وقضاؤها معقود

---

(١) هو الأديب النحوى ، أخذ الأدب عن أبى عمرو بن العلاء وغيره ، وهو فى الطبقة الخامسة فى الأدب بعد على كرم الله وجهه ، اختلف اليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفى سنة ١٨٢

(٢) فى الأصل « تذاكر »

بشكرك فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر الكلابى فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا ان زياداً يقول ان قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام ـ وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول ان من قدرك نيل الدرك بك ـ وزكاة الجاه رفد المستعين وناحيتى من الشكر ماعلمت وحاجتى ملاطفة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان ـ وقال الفراء يجرى ذكراً ـ فلما صار خالد إلى بعض مايبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد هناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فماذاك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأتى الأمور (١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياد فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لمثلكَ أو مَن أنتَ سابقهُ   سبقَ الجوادِ إذا استولىَ على الأمَد

ثم قال واللات والعزى لكأنى أنظر إلى أملاك ذى رعين (٢) وذى فايش (٣) وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالى الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت ـ أبيت اللعن ـ غرتها فجئت سابقاً متمهلا وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد فقال النعمان والله لأنت فى وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينافى نظم قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ماأبلغ فيك حسناً إلاغمره قدرك استحقاقاً للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة ياغلام فخرج الحاجب فقال النابغة ماوراءك قال رفع الحجاب وأذن فى السيادة والافضال فدخل فانتصب بين يدى النعمان وحياه بتحية الملك ثم قال أيفاخرك ـ أبيت اللعن ـ ابن جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللات لأمسك أبهى من يومه ولقذالك

---

(١) فى نسخة « يتأتى للأمور » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمن كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذو فائش . أحد أذواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بنى يحصب ، وهو أبو سلامة الذى مدحه الأعشى ، على مافى المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولعبدك أكثر من قومه ولنفسك أكبر من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفده ولهزلك أصوب من جده ولفترك أبسط من شبره ولأمك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أخلاقُ مَجدِكَ جَلَّتْ مالها حصر ... في البأسِ والجودِ بَينَ البدْوِ والحَضرِ

مُتَوَّجٌ بالمعالى فوقَ مَفْرَقِهِ ... وفي الوغى ضَيغمٌ في صُورَةِ القَمَرِ

قال فتهلل وجه النعمان بالسرور وأمر فحشى فمه دراً ، وقال لمثل هذا ترتاح القلوب وبمثله تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس للعباس انى لأعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفى الوغى ضيغم فى صورة القمر *

أجود شيء قيل فى الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين قول أبي العتاهية [1] يمدح الرشيد وولده :

بَنُو المصطفى هارون بين سريره ... فخير قيامٍ حَوْله وقُعُود

يُقلِّبُ ألحاظَ المهَابة بَيْنهم ... عُيونُ ظِباءٍ فى قلوب أُسُودِ

وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كأن فى سرجه بدراً وضرغاما *

وقلت : فتى على نفسه من نفسه رَصَدٌ ... يَصدُّه ان نطق الشين والذاما [2]

مازالَ يَغْنَمُ مالًا ثم يغرمُه ... مازال للمال غَنَاماً وغَرّاما

أغر أربع يحكى الغيثَ مكرُمة ... والنجمَ مَنزلة والطودَ أحلاما

تجله [3] حين يبدو ان تقول له ... كأن في سَرْجه بدراً وضِرغاما

وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذى هو مدركى *

---

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمى المولدين من طبقة بشار وأبى نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية ، توفى سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) فى الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني ... لكنت كشيء أدركته مقادره

وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل [١] قول الفرزدق [٢] فقال :

فأنتَ كالدهرِ مبثوثاً حبائله ... والدهرُ لاملجأ منه ولا هَرَب

ولو ملكتُ عِنانَ الريح أصرِفُه ... في كل ناحية مافاتكَ الطلب

وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :

وإنّ أميرَ المؤمنينَ وفِعلَه ... لكالدَّهرِ لاعاد بما فَعل الدهر

وهو أيضا مأخوذ من قول النابغة ، وأخذه أبو تمام فقال :

خشعوا لصولتك التي هي عندهم ... كالموت يأتي ليس فيه عاد

فالقول همسٌ والنِّداء إشارة ... خوفَ انتقامك والحديثُ سِرار

وأخذه على بن جبلة [٣] فقال :

ومالامرئ حاولته منك مهربٌ ... ولو رَفعتهُ في السماء المطالعُ

بلى هارب لايهتدي لمكانه ... ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح لامِع

وقال البحتري [٤] :

---

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح الملوك الامويين ، كان لايظهر من شعره إلا المتخير . مات سنة ٩٠ .

(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الاسلام مثل ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتفاخر ، يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لاينشد عند الخلفاء إلا قاعداً توفي في البصرة سنة ١١٠ .

(٣) هو العكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحتري - نسبة الى جدا سمه بحتر - قال المبرد : أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولو انهم ركبوا الكواكب لم يكن لمجدهم من خوف بأسك مهرب

وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يوا كب ضوء الصبح في كل مطلب

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطمحان (١) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى اليه كواكبه

وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومثله قول الحطيئة (٢) :

نمشي على قول أحساب أضاءت لنا كما أضاءت نجوم الليل للسارى

ومثله قول الآخر :

وجوه لو ان المدلجين اعتشوا (٣) بها صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلي

وقال بعض الاعراب في رجل : مادفعته في سواد إلا محاه ولا قابلت به ملأ إلا كفاه . ومثل قوله * صدعن الدجى * قول بعض المحدثين :

ومصباحنا قمر زاهر كقوس لجين يشق الدجى

وقلت : وانشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجنات

أنت أشعر من أنشدني وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعيت إلى نفسي فقال أعيذك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطيء مثلك ، فمات بعدها بسنة. وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤

(١) هو حنظلة بن الشرقى القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة.

(٢) هو جرول بن أوس العبسي من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً ففي رواية الأغاني :

نمشي على ضوء إحسان أضاء لنا ماضوأت ليلة القمراء للسارى

(٣) الدلج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاؤا .

كأنما النجم حين قابله قبيعة [١] في نصاب مرآة

وقلت: بليلٍ كما تَرْفُو الغزالةُ أسود على أنه مِنْ نُورِ وَجْهِكَ أبيض

كواكبه زهر وصفر كأنها قبائع منها مُذهبٌ ومُفضضُ

وقلت: وذي غَنجٍ يأوي إلى فرعه الدُّجى ولكنها عن وَجْهِهِ تتفرج

ففيه ظلامٌ بالصباح مُقنعٌ وفيه ظلامٌ بالصباح مُتوّج

وقول أبي الطمحان مولى ابن أبي السمط :

فتى لا يُبالي المدْلجونَ بنوره إلى مابه ألّا تضيء الكواكبُ

له حاجبٌ عن كل أمر يَشينهُ وليس له عن طالب العرف حاجبُ

وقول الآخر :

من البيضِ الوُجوه بني سنانٍ لَو انكَ تستضيءُ بهم أضاؤا

وقول الآخر :

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعا له سيماء لا تشق على البصر

كأن الثريا عُلقت في جبينه وفي أنفه الشعرى وفي وجهه القمر

ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردَّى بثوبٍ واسع الذَّيل واتزر

إذا قِيلتِ العوْراءُ غض كأنه ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصر

وقول الآخر [٢] :

إخترْ فناءَ بني عَمْرو فانهمُ أولُو فضولٍ وأقدار وأخطار

إن يسألوا الخير يُعطوهُ وإن جهدوا فالجهد يخرج منهم طيبَ أخبار

وإن تودَّدتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير اسرار

هيْنون ليْنون أيسارٌ ذوو يُسرٍ أربابُ مَكرُمة أبناء إيسار

من تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيدَهم مثلَ النجوم التي يُهدَى بها الساري

---

(١) قبيعة السيف كسفينة : ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد .

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتي .

وهذا عندى أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأنشدنا أبو أحمد لعيسى بن أوس فى الجنيد بن عبد الرحمن [١] :

الى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسؤدد ... تقاصرَ عنه الشاهقُ المتطاوِلُ

مَدَحْتُكَ بالحق الذى أنتَ أهله ... ومن مِدَحِ الأقوامِ حقٌ وباطل

يعيشُ النَّدى مادمتَ حياًفان تَمت ... فليس لحيٍّ بعد موتك طائل

وما لامرىء عندى مُخيلَة نعمة ... سِواكَ وقد جادَت علىَّ مخايل

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فتًى لو ينادِى الشمسَ ألقت قِناعَها ... أو القمرَ السارى لألقى المقالِدا

وهذا وقول أبى الطمحان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ماقالت العرب وهما من الغلو على ماهما عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل [٢] :

أنتَ ابنُ مُسلنْطح البطاحِ ولم ... يضرب عليك الحنىّ والولج

لو قلت للسيل دع طريقك والـ ... ـموج عليه كالهضب يعتلج

لارتدَّ أوساخَ أو لـكانَ له ... في جانبِ الأرضِ عنك مُنعرَج

وهذا من أعلى الغلو لان السيل لاترد وجهته هيبة ولا مخافة ، والعرب تقول أجرأ من السيل فيهمز ولا يهمز والهمز من الجراءة وترك الهمز من الجرى ، ويقال فى المثل لاأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذى قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبى تمام في المعتصم :

بِيُمنِ أبى اسحقَ طالتْ يدُ العلاَ ... وقامتْ قَناةُ الدِّين واشتدَّ كاهلُه

---

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرى الأمير ولى خراسان وغيرها وكان أجود الأجواد ، توفى سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ، لزم الوليد بن يزيد الأموى وبالغ فى مدحه .

هوَ البحرُ مِن أيِّ النواحِي أتيته ... فَلُجتهُ المعروفُ والجودُ ساحِله
تعوَّدَ بَسطَ الكفِّ حتى لوانه ... أرادَ انقباضاً لم تطعهُ أنامِله
ولو لم يكنْ في كفهِ غيرُ نفسه ... لجادَ بها فليتق اللهَ سائِله

وقلت فى قريب منه :

وكيفَ يبيتُ الجارُ منك على صدى ... وكفُّكَ بحرٌ لجُةُ البحرِ ساحلهْ

أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر ـ يعني ابن دريد ـ يحكى عن أبي حاتم قال قال الأصمعى سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضر لتخطئون المعنى ان أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول كأنها الشمس ، لم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون لك اماما ثم أنشدني :

إذا سَألتَ الوَرَى عن كل مَكرمةٍ ... لم تلفِ نِسبتَها إلا الى الهَوْل
فَتَى جواداً أعادَ النيل نائله ... فالنِّيلُ يشكرُ منه كثرةَ النيل

وليس هذا الشعر مختاراً عندى :

والموتُ يَرهبُ أن يَلقىَ مَنيتهُ ... فى شِدَّةِ عند لفِّ الخيل بالخيلِ
لوعارض الشمسَ ألقى الشمسَ مُظلمةً ... أو زاحم الغيمَ ألجاها الى الميل
أو بارز الليلَ غطَّته قوادمُه ... دونَ القَوافى كمثل الليلِ بالليلِ
أمضَى من النَّجمِ ان نابتهُ نائبةٌ ... وعندَ أعدائِه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

عَلَّمَ الغيثَ الندَى حتى إذا ... ما حَكاه عَلمَ البأسَ الأسدْ
فلهُ الغيثُ مُقرٌّ بالندى ... وله الليث مُقرٌّ بالجلد

وقد أنكر عبد الملك ماأنكره الأعرابى من تشبيه الممدوح بالأسد والصخر والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد ـ أحد بنى أنف الناقة ـ عن ابن عائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبل والجبل أوعر ألا قلتم كما قال أيمن بن خزيم فى فاتك فى بنى هاشم :

نَهارُكُمُ مكابدةٌ وصومٌ   وليلُكُمُ صلاةٌ واقتراءُ
أأجعلكم وأقواماً سواءً   وبينكمُ وبينهمُ الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم   لأعينهم وأرؤسهم سماء

وهذا من قول أمية بن أبى الصلت [1] وهو أول من أتى به قوله فى عبد الله ابن جدعان [2] :

أأذكرُ حاجتى أمْ قد كفانى   حياؤكَ ان شِيمتَكَ الحياءُ
كريم لا يُغيره صباحٌ   عن الخُلقِ الكريمِ ولا المساءُ
وأرضُك أرضُ مَكرمةٍ بنتها   بَنو تَيْم وأنتَ لهم سَماء

ونحوه قوله :

لِكلِّ قَبيلةٍ شرفٌ وعزٌّ   وأنتَ الرأسُ يَقدُمُ كلَّ هادى

وتصرَّف فيه المحدثون فقال ابن الرومى [3] :

قومٌ يَحُلونَ من مَجدٍ ومن شَرفٍ   ومن غَناء مَحلَّ البيضِ واليلبِ [4]
حَلوا مَحالَّهما من كل جُمجمةٍ   نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

---

(١) شاعر جاهلى ، ورد أن النبى ﷺ قال « كاد أن يُسلم فى شِعره » عاش الى أن أدرك وقعة بدر ورثى من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمى القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ، يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي فغرق .

(٣) واسمه على بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب فرتبه أبو بكر الصولى على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فدس عليه مأكلا مسموماً فى مجلسه وذلك سنة ٢٨٣

(٤) أى السيوف والدروع .

قوم همُ الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمثِّلُ بينَ الرأس والذَّنب

ومنه قول الحطيئة :

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهمُ ومنْ يُسوِّى بأنفِ الناقةِ الذَّنبا

وقال غيره : الناسُ أرضٌ بكل أرض وأنتَ من فَوقهم سَماء

وقلت : أبشر فانك رأسٌ والعُلا جسدٌ والمجدُ وجهٌ وأنتَ السمعُ والبصرُ

لولاكَ لم يَكُ للأيامِ مَنقَبةٌ تَسمو اليها ولا للدَّهر مُفتخرُ

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر باسناد ذكره عن الهيثم بن عدى قال دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال ياأمير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع منى فقال ان كنت شبهتنى بالصقر والأسد فلا حاجة لى بمدحك وان كنت قلت كما قالت أخت بنى الشريد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل وما قالت ياأمير المؤمنين قال هى التى تقول :

فما بَلغتْ كفُّ امرىء متناول بِها المجدَ إلا حَيثُ مانلتَ أطولُ

ولا بَلغَ المهدونَ في القولِ مِدحةً ولو أطنبوا إلا الذى فِيكَ أفضلُ

فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون قولها قال هات فأنشد :

إذا مُتَّ ماتَ العرفُ وانقطعَ النَّدَى من الناسِ إلا في قَليلٍ مُصرَّدِ[1]

ورُدَّتْ أكفُّ السائلينَ وأمسكوا من الدينِ والدنيا بخلف مُجدد

وليس بحسن عندى أن يقال للمدوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن كانت الشعراء قد استعملته فى كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :

إذا مُتَّ لم توَصلْ بِعرْفٍ قَرابةٌ ولَم يَبقَ فى الدنيا رَجاءٌ لِنائل

وهو من قول النابغة :

فان يَهلكْ أبو قابوسَ يَهلكْ رَبيعُ الناس والشهرُ الحرامُ

---

(١) التصريد : التقليل .

ويُمسك بعدهُ بذناب عيشٍ أجبّ الظهرِ ليس له سَنامُ

وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به الممدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا وكذا لكان كما قال عليّ بن جبلة [١] :

لولا أبو دُلَف لم تحي عارفةٌ ولم يؤنؤنؤ مأمول بآمال

ياابن الأكارم من عدنانَ قد علموا وتالدُ المجد بين العم والخال

وناقلُ الناس من عُدْم إلى جِدةٍ وصارفُ الدهرِ من حالٍ إلى حال

أنتَ الذى تُنزِلُ الأيامَ منزلَها وتُمسك الأرضَ عن خَسفٍ وزِلزال

وما مَدَدتَ مَدَى طرفٍ إلى أحد إلا قضيتَ بآجالٍ وآمال [٢]

تزور سخطاً فتمسي البيضُ راضيةً وتَستهلُّ فتبكى أوجُهُ المال

وأخبرنا أبو أحمد فى كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع الشعراء بباب المعتصم فقعد لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :

خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوْديةٌ أَحلكَ الله منها حيثُ تجتمعُ [٣]

إن أخلفَ القَطرُ لم تُخلفْ مخايله أو ضاقَ أمرٌ ذكرناه فيتّسع

فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثلاثةٌ تشرقُ الدُّنيا ببَهجتِها شمسُ الضحَى وأبو إسحقَ والقمر

تحكِى أفاعيلهُ في كلِّ نائبةٍ الغيث والليث والصَّمصامَة الذكر

قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :

أمْسَى العراقُ سَليباً لاأنِيسَ لهُ إلا المهلّبُ بعدَ الله والمطرُ

---

(١) هو العكوك أحد المبرزين فى الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف العجلى ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته فى مدح أبى دلف سنة ٢١٣ .

(٢) فى شذرات الذهب « إلاقضيت بأرزاق وآجال » .

(٣) سيأتى هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يجودُ ويَحمِى عن ذِمارِهم وذا تعيشُ به الأنعامُ والشجرُ

ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزلْ للورَى ثلاثُ شموسٍ وَجهُكَ المستضيءُ والقمرانِ

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول زهير [1] :

تَراهُ إذا ماجِئتَهُ مُتهلِّلا كأنكَ تُعطيهِ الذي أنتَ سائلُهْ

وعاب بعضهم هذا البيت فقال جعل الممدوح فرحا بعرَض يناله وليس هذا شأن الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

ولئنْ فرِحتَ بما يُنيلُكَ إنه لِما يُنيلُكَ من نَداهُ أفرحُ

مازالَ يُعطِى ناطقاً أوساكتاً حتى ظننتُ أبا عقيل يمزَحُ

فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائلَ نَصرٍ لا تَسلهُ فانهُ أحنُّ إلى الارفادِ منكَ إلى الرِّفدِ

وقال بعض الأعراب : مازال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو ذلك أن الحجاج قال لاياس بن معاوية أى الناس أحب اليك ؟ قال من أعطانى قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمح الطائي فى خلاف ماقال زهير :

فتًى لايرى سوقَ المهورِ غرابةً ولا غالياتِ المالِ حَلياً على نحْرِ

فتى كان مِكراماً لِنفسٍ كريمةٍ مُهيناً لدنيا غيرِ مأمونةِ الغدْرِ

وعندى أن بيت زهير أجود ماقيل من الشعر القديم ، وممن أبدع في ذلك البحترى في قوله :

سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيةً فوجْهكَ دُونَ الرَّدِ يَكفِي المُسلما

ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

---

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سُلمى المضرى ، قال ابن الأعرابى : كان لزهير فى الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمي شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كأنما القطرُ مِنْ ندى يَدهِ ... والبرْقُ مِنْ بِشرِهِ ومِنْ ضَحكهْ

وقول أبي الأسـد :

وَلائمة لامَتك يا فَيْـضُ في الندَى ... فَقلتُ لها لن يَقدَحَ اللومُ في البحر

أرادتْ لتثني القبضَ عن عَادة الندَى ... وَمن ذا الذى يثنى السحابَ عن القطر

إذا ما أتاهُ السائلونَ تَوقّدَتْ ... عَليـه مَصابيـحُ الطلاقَةِ والبشرِ

لهُ في بني الحاجاتِ أيدٍ كأنّها ... مواقِـعُ ماءِ المزْنِ في البلدِ القفـرِ

وقريب منه قول أبي تمـام :

تَهـدِى بِهِمْ تَستنيرُ الأرضُ إن نزلوا ... فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا

ويَضحكُ الدّهرُ منهم عن غَطارفةٍ ... كأنّ أيامهمْ من أنسها جُمعُ

وقلت : إذا عبس الزمان فمل اليه ... تجده البشر في وجه الزمان

وقلت : كأنك في خدّ الزمان تورد ... وفي فمه ضحك وفي وجهه بشر

فمنْ يكُ ممـدوحاً بنظم يَصـوغُه ... فانك ممدوحٌ بك النظمُ والنثرُ

وقال البحترى :

وتَواضُـع لولا التكرُّمُ عاقهُ ... عنـه علوٌّ لم يَنَـلهُ الفرقدُ

وفُـتوة جمع التقى أطرافَها ... وندي أحاط بجانبيه السؤددُ (١)

وشبيبة فيها النهى فاذا بدتْ ... لذوى التوسم فهى (٢) شيبٌ أسود

طلقُ اليدين إذا تفرقَ ماله (٣) ... جمع العـلا فما يفيـد وينفد

جذلانُ (٤) يطربُ للسؤالِ كأنما ... غناه مالكُ طىءٍ أو معبـد

وقال ابن الرومى :

---

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل «ويدى أحاطهما بناء السؤدد». وهو تحريف (٢) في الاصل « التبسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذى في الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان المطبوع « نشوان » مكان « جذلان » .

أغرّ أبلج يكسو نفسه حُللا من المحامد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضه للمجد في صعد ومن تواضعه للحق في صبب
كأنه وهو مسئولٌ وممتدحٌ غناه إسحقُ والأوتار في صخب
يهتزُّ عطفاه عند الحمد يسمعهُ من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل [١] بيفاع الأرض يشرفه من خفة الخوف لامن خفة الطرب

وقلت: وقد يؤنس الزوارَ منك اذا التقوا سخاء عليه للطلاقة شاهدُ

وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجئته متعتبا كانك بالمنقاش تنتفُ شاربه

وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنني حاولتُ نتفَ الشعر من آنافهم
قُمْ فاسقنيها بالكبير وغنّني ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول جرير [٢] :

ألستم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمينَ بُطونَ راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أليسَ اللهُ بعزيزٍ ذي انتقام) (أليسَ اللهُ بأحكمِ الحاكمين) (أليسَ اللهُ بكافٍ عبدَه)

وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة المديح والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

---

(١) في الديوان المطبوع «موكلا» . (٢) هو جرير بن عطية الخطفي ، قال ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الاسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ، وكان عمر بن عبد العزيز لايأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال اني لأعلم أني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال فى الهجاء :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

وقال فى الافتخار :

إذا غضبَتْ عليكَ بنو تميم حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غضابا

وقال فى الغزل :

إنَّ العيونَ التى فى طرْفها حوَرٌ قتلْننا ثمَّ لم يُحيينَ قتلانا
يَصرعْنَ ذا اللبِّ حتى لا حراكَ به وهنَّ أضعفُ خلقِ اللهِ أركانا

وقال التنوخى (١) فى هذا المعنى :

فكلما ازدادت قوى أجفانِها ضعفاً تقوَّينَ على ضعفِ القوى

وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إذا غضبت عليك بنو تميم * فقال :

لقد غضبتْ عليك بنو تميم فما نكأتْ بغضتها ذُبابا

وقالوا امدح بيت قالته العرب قول حسان (٢) :

يغشون حتى ماتهر كلابُهم لا يسألونَ عن السَّواد المقبل

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهى لاتنبحهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

---

(١) هو أبو القاسم على بن محمد القاضى التنوخي ، له ديوان شعر ، منه مقصورة عارض بها الدريدية ، كما حكاه ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصارى شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم فى النبوة ، وشاعر اليمانيين فى الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة مناصفة فى الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً لأبى سفيان بن الحرث :

اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

عن جيش يقبل نحوهم لقلة اكترائهم بهم ولثقتهم ببسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ماأنشد أبو تمام :

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حرب أو لأى مكان

وقال ابن هرمة [1] فى أثر الكلاب بالضيف :

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أو ليفزع نوم
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له عند أفيائه المهين مطعم
يكاد إذا ماأبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم

وقال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب :

لعبد العزيز على قومه وغيرهم منن غامره
فبابك ألين أبوابهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالمعتفين من الأم بابنتها الزائره
وكفك حين ترى السائلين أندى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنك البناء لكل محبرة سائره

وقال الحطيئة فى خلاف ذلك :

ملوا قراه وهرته كلابهم وضرسوه بأنياب وأضراس

وقال بشار فى قريب من المعنى الأول :

سقى الله القباب وتل عيدى وبالشرفين أيام القباب
وأيام لنا قصرت وطالت على فرعان نائمة الكلاب

وقال آخر : ومابك فى من عيب فانى جبان الكلب مهزول الفصيل
معناه أن الكلاب يضرب إذا نبح الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

---

(١) هو ابراهيم بن على الكنانى القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق ومدح الوليد الاموى .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدى :

فتى تمَّ فيه مايسرُّ صديقه ... على أن فيه مايسوءُ الاعاديا

وهذا غاية المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضر فقد كمل ، ولهذا قيل فى البرامكة :

عندَ الملوكِ مضرةٌ ومنافع ... وأرى البرامكَ لاتضرُّ وتنفعُ

لايعرف أهجاهم أم مدحهم لأنه إذا نفى عنهم أن يضروا فقد قصرهم ، وقد قيل :

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فانما ... يُراد الفتى كيما يضرُّ وينفع

وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :

متى تهزز بنى قطن تجدهم ... سيوفاً فى عواتقهم سيوف

جلوسٌ في مجالسهم رزانٌ ... وإن ضيفٌ ألمَّ فهم وقوف

إذا نزلوا حسبتهم بدوراً ... وإن ركبوا فانهمُ حتوف

وقال آخر : فذلَّل أعناق الصعاب ببأسه ... وأعناق طلاب الندىَ بالفواضل

فما انقبضت كفاهُ إلا بصارم ... ولا انبسطت كفاه الابنائل

وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتًى وقفَ الايامَ بالعتب والرضا ... على بذلِ مال أو على حدِّ منصل

وما إن له من نظرةٍ ليس تحتها ... غمامةُ غيثٍ أو ضبابةُ قسطل

وقال آخر : فتًى دهرُه شطرانِ فيماينوبه ... ففى بأسه شطرٌ وفى جوده شطر

فلا من بغاة الخير فى عينه قذى ... ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى فى هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الثجاجُ أخضل جوده ... وطارت حواشى برقِه فتلهبا

إذا ماتلظى فى وغى أصعقَ العدى ... وان فاض فى أكرومة[1] غمر الربا

رزينٌ إذا ماالقومُ خفت حلومهم ... وقور إذا ماحادث الدهر أجلبا

---

(١) فى الديوان المطبوع « خاض فى أكرومة »

حياتك أن يلقاك بالجود راضيا ... وموتك أن يلقاك بالبأس مغضبا

حرونٌ إذا عازرته في ملمة ... فان جئته من جانب الذل أصحبا

إذا همّ لم يقعد به العجز مقعداً ... وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا[١]

وقال الأسدى فى نفى الخير والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله على الخمول :

لحسبكَ فى القوم أن يعلموا ... بأنك فيهم غنىّ مضر

وأنت مليح كلحم الحوار ... فلا أنتَ حلوٌ ولا أنت مر

وقال غيره : شييخ من بنى الجارو ... د لا خيرٌ ولا شر

وقال آخر : ولقد نزلت على زيادٍ مرةً ... فظننته شيخاً يضرُّ وينفعُ

فاذا زيادٌ في الدبارِ كأنهُ ... مشطٌ يقلبهُ خصىٌّ أصلع

وقد أحسن البحترى فى المعنى الأول وهو قوله :

هو الملكُ الموهوبُ للبأس والتقى[٢] ... فلله تقواهُ وللمجد سائره

له البأسُ يُخشى والسماحةُ تُرتجى ... فلا الغيثُ ثانيه ولا الليثُ عائره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذى نحن فيه :

هو الملكُ المملوكُ للمجد والتقى ... وصولتهُ لا يستطاعُ خطارُها

لقد نشأتْ للشامِ منك سحابةٌ ... يُؤملُ جدواها ويُخشى زمارها

فطوبى لأهل الشامِ أم ويل أمها ... أتاها حياها أم أتاها بوارها

فان سلموا كانت غمامة نعمة ... وخير وإلا فالدماءُ قطارها

أبوكَ أبو الأملاك يحيى بن خالدٍ ... أخو الجود والنعمى اللباب صفارها

وكائن ترى فى البرمكيين من به ... ومن سابقات لا يشق غبارها

---

(١) فى الأصل : إذا كف لم يقعد به العجز مقعدا ... وان هم لم يذهب به الهم مذهبا
والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلا » .

طبيبٌ بأخبار الأُمور إذا التوت ... من الدهر أعناقٌ فأنت قصارها

وبعد بيت النابغة الجعدى (١) قوله :

فتى كملتْ أخلاقهُ غير أنه ... جوادٌ فما يبقى من المالِ باقيا

أشم طوال الساعدين شمردلٌ (٢) ... إذا لم يرُح للمجد أصبحَ غاديا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن على الاجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال الأصمعى أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدى حتى انتهيت إلى قوله :

أشم طوال الساعدين شمردل ... إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا

فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح للمعروف أصبح غاديا * فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ثاقب الفطنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :

فان يكُ باقي أفك فرعونَ فيكمُ ... فان عصا موسى بكفِّ خصيب

قال فوثبوا بى وأرادوا قتلى وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعونَ فيكمُ ... فباق عصا موسى بكفِّ خصيبِ

فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير المؤمنين إنك لأشعر منى وإنى لم أفطن لذلك . وأنشده العمانى الراجز فى صفة الفرس :

كأنَّ أذنيه إذا تشوّفا ... قادمة أو قلماً محرفا

فقال له الرشيد دع «كأن» وقل «تخال» حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

---

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل الاسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات فى منتصف القرن الأول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما فى القاموس .

ولم يعرف ولم يفطن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك فتعجبوا من علمه وفطنته .

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول حسان :

بِيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم　　　شم الأنوفِ من الطراز الأولِ

يغشونَ حتى ماتهرُّ كلابُهم　　　لا يَسألون عن السوادِ المقبل

وقبله : لله در عِصابة نادمتهم　　　يوماً بجلقَ في الزمانِ الأولِ

أولاد جفنةَ حولَ قبرأبيهم　　　قبر ابن مارية الكريمِ المفضل

ثم قال : فلبثتُ أزماناً طوالاً فيهم　　　ثم ادكرت كأنني لم أفعل

وفتًى يحب المجدَ يجمل ماله　　　من دون والده وإن لم يسأل

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون ببهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرهما من خلال الخير لأن الانسان لايكون نبيهاً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجرى معها قال الراجز : * فهن يحملن فتًى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :

وأبيض يستسقى الغمامُ بوجهه　　　ثمالُ اليتامى عِصمةٌ للأرامل [(١)]

وقال السموءل : وأيامُنا مشهورةٌ في عدونا　　　لها غُررٌ معروفةٌ وحُجولُ

أراد بالغرة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :

سودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابُهم　　　فُطسُ الأنوفِ من الطراز الآخر

كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقمراً أبصرت في مأتم　　　يندب شجواً بين أتراب

يبكي فيذرى الدر من نرجس　　　ويلطم الوجه [(٢)] بعناب

فقال : وأعور أبصرت في مأتم　　　يندبُ شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة فى مدح ابن أخيه النبى ﷺ والدفاع عنه .

(٢) فى نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يبكى فيذرى البعر من كوة ويلطم الشوك بيلوط

وأخذ حسان قوله * ثم اد كرت كأنني لم أفعل * من قول أبى كبير :

فأذن وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل

وقال ابن شبرمة أمدح ماقالت العرب قول الحطيئة :

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا اشدوا

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا

ويعذلنى أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وان غضبوا جاء الحفيظة والحد

ولعمرى ان معانى هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فانما استعارها من الحطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد * - وروى والجد - والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجد خلاف الهزل والمختار الحد بالحاء . يقول الحطيئة فى بنى لأى بن شماس من قريع ، وكان الزبرقان بن بدر لقى الحطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضرع أبو مليكة فقال له الزبرقان انى أريد وجهاً فصر الى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الحطيئة الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمته فحسده بنو عمه وهم بنو لأى فدسوا الى الحطيئة وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشد الى كل طنب من أطناب بيتك حلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته فقدح ذلك فى نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الحطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان عنه فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا فأخذ فى مدحهم وهجا الزبرقان فقال :

أزمعت يأساً مبيناً من نوالكم ولاترى طارداً للحر كالياس

دع المكارم لاترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

من يفعل الخير لايعدم جوازيه لايذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبرقان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ماهجاه ولكن سلح عليه ثم حبس عمر الحطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقولُ لأفراخ بذى مرخ حمر الحواصلِ [1] لاماءٌ ولاشجرُ
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلامُ الله ياعمر
ماآثروكَ بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فأخرجه عمر وأجلسه على كرسىّ وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه فضج وقال انى والله يأمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبى ونفسى فتبسم عمر وقال ماالذى قلت قال قلت لأبى وأمى :

ولقد رأيتكِ فىالنساء فسؤتنى وأبا بنيكِ فساءنى فى المجلس

وقلت لأبى خاصة :

فبئس الشيخُ أنتَ لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

وقلت لأمى خاصة :

تنحى فاجلسى منى بعيداً أراحَ اللهُ منكِ العالمينا
أغربالاً إذا استودعتِ سراً وكانوناً على المتحدثينا

وقلت لامرأتى خاصة :

أطوّفُ ماأطوّف ثم آوى الى بيت قَعيدتُهُ لكاع

وقلت لنفسي :

أبت شفتاىَ اليومَ إلا تكلماً بسوءٍ فلا أدرى لمن أنا قائله
أرى لىَ وجهاً قبحَ [2] اللهُ خلقهُ فقبح من وجهٍ وقُبحَ حامله

وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحتَ ولم تبخل ولم تُعط طائلاً فسيان لا ذمٌّ عليك ولا حمدُ

ثم خلى سبيله عمر وأخذ عليه ألايهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

---

(١) وفي رواية « زغب الحواصل » . (٢) في رواية « شوه اللهُ » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :

وأخذتَ اطرار الكلام فلم تدع شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفع
ومنعتنى عِرضَ البخيل فلم يخفْ شتمى وأصبح آمناً لايجزع

وكان الحطيئة يذم البخل كما ترى وهو (١) أبخل الناس اعترضه رجل وهو يرعى غنماً له فقال له ياراعى الغنم وكان بيد الحطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال عجراء من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب وقالوا أبخل من الحطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار وقال لعلى ان حملت عليه لاأموت فانى مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :

لكل جديد لَذَّةٌ غيرَ أننى رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ

وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشماخ أشعر غطفان . وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا * من قول كعب بن زهير حيث يقول :

ولا تَمسكُ بالعهدِ الذى عهدتْ إلا كما يمسك الماءَ الغرابيلُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبى خليفة عن دماذا عن أبى على القداح وعباد بن سليم الحضرمى قال أنشد الحطيئة عمر :

مهاريس يروى رسلها ضيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الخضرات
عظام مقيل الهام غلب رقابها تباكر ورد الماء فى السبرات
يزيل القتاد جذبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة (٢) خرصات

وكان هجا قومه فلما بلغ إلى قوله :

فان يصطنعنى اللهُ لا أصطنعكمُ ولا أعطكم مالى على العثرات
لكم دَفَرٌ مثل التيوس ونسوةٌ مماجين (٣) مثل الآتن التعرات

---

(١) فى نسخة «وكان» بدل «وهو» . (٢) فى الأصل «مقرورة» .
(٣) فى الأصل «لماجر» وفى ديوان الحطيئة «مماجين» .

قال عمر بئس الرجل أنت تمدح إبلك وتهجو قومك فخرج وقال :

رأيتُ ابنَ خطاب تجاهل بعدما　　رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلا
ألا قد علمنا أن ما قال هكذا　　ومن قال حقاً غيرَ ماقال باطلا

وقالوا أمدح أبيات قيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :

اختر فناء [١] بنى عمرو فانهمُ　　أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطار
إن يُسألوا الخيرَ يعطوه وإن جهدوا　　فالجهدُ يخرج منهم طيبَ أخبار
وإن توددتهم لانوا وإن شتموا　　كشفت أذمار سر غير أسرار [٢]
هينون لينون أيسار ذوو يسر　　أبناء مكرمة أبناء إيسار
من تلق منهم تقل لاقيتُ سيدهم　　مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وهى على الحقيقة أمدح أبيات قيلت . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء فى أخيها :

أغر أبلج تأتمُّ الهداةُ به　　كأنه علمٌ فى رأسه نارُ

أخبرنا أبو أحمد حدثنا الانبارى عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دعامة عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتانى رسول المهدى فقال أجب فهالنى ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده على بن يقطين وعمر بن بزيع والمعلى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرنى بأمدح بيت قالته العرب فتحيرت ثم جرى على لسانى قول الخنساء :

وإنَّ صخراً لمولانا وسيدنا　　وإن صخراً اذا يشتو لنحارُ
أغر أبلج تأتمُّ الهداةُ به　　كأنه علمٌ في رأسه نارُ

فقال أخبرت هؤلاء فأبوا علىَّ فقلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب فقال يامفضل أسهرتنى أبيات ابن مطير الأسدى :

وقد تغدرُ الدنيا فيضحى غنيها　　فقيراً ويغنى بعد بؤس فقيرها

---

(١) في النسخ «ثناء» مكان «فناء» .　　(٢) بعض العجز غير موجود هنا فاستدركناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تكدرَ عيشهُ   وأخرى صفا بعد اكدرار غديرُها
فلا تَقربِ الامرَ الحرامَ فانه   حلاوتها تفنى ويبقى مريرها

ثم قال حدثني يامفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال ياعمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء مارضيت ان جعلت أخاها جبلاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقرِ فرداً في مكارمه   من نسل شيبانَ بين الطلح والسلم
كأنه الشمسُ في البرج المنيفِ به   على البرية لا نارٌ على علم

وتبعته فقلت :

خيرُ الورى لخيارِ الناس كلهم   وشرهم لشرارِ الناسِ سوارُ
منبه الذكرِ معروفٌ طرائقه   كالشمس لا علمٌ في رأسه نار

ومن جيد ماقيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفيَ الرجال وجدتني   كالشمس لا تخفى بكل مكان

وقال بشار : أنا المرعث لاأخفى على أحدٍ   ذرت بي الشمسُ للقاصي والداني

وقلت : أتأملُ ان تنالَ ندى كريمٍ   نداهُ أولٌ والغيثُ ثاني
ويجري والمجرة في عنانٍ   فلا يخفى على ناءٍ ودان
تصورَ في القلوب فليس ينأى   على نأي المحلة والمكانِ
إذا عبسَ الزمانُ فمل اليهِ   تجده البشرَ في وجه الزمانِ

وقلت: تريدون أن أخشى وأخضعَ للأذى   وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضعُ
فتًى بأسه كالدهر مأمن ملجأ   ولا فيه إقصارٌ ولا عنهُ مرجعُ
أغرُّ شهيرٌ في البلادِ كأنما   به البدرُ يعلو أوسنى الصبح يسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوهِ بنى سِنانٍ لو انك تستضىءُ بهم أضاؤا
لهم شمسُ النهار إذا استقلت ونور لا يغنيه السماء
همُ حلوا من الشرفِ المعلى ومن حسب العشيرةِ حيث شاؤا
فلو أنَّ السماءَ دنت لمجد ومكرُمة دنت لهم السماء

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الحطيئة :

متى تأته تَعشو الى ضوءِ ناره تجد خيرَ نار عندها خيرُ موقد

وقالوا أمدح المدح مايكون بالتفضيل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان أكرم من فلان ، ومن أجود ماجاء فى ذلك قول أبى تمام :

كم من وساع الخطو فى طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا [(١)]
أحسنتما صفدى ولكن كنتَ لى مثلَ الربيع حياً وكان خريفا
وكلا كما اقتعد العلا فركبتها في الذروة العليا وكان [(٢)] رديفا

وقال : كوا كبُ مجدٍ يعلم المجدُ أنها إذا طلعتْ باءتْ بصفر كوا كبه

وقال ابن الرومى :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها مِلةُ الاسلام في الملل

وقلت: نصرت على الاعداء فليهنك النصر ودانتْ لك الدنيا وذَلَّ لك الدهرُ
فأنت كاقبال الشبيبة والصبا تطيبُ بك الدنيا ويَنعمُ العمرُ
وليس كرامُ الناسِ إلا كوا كبا على صفحتى ليلٍ وأنت لهم بدرُ
وفى الناس أجوادٌ كثيرٌ وإنما أولئك أثماد وأنت لهم بحرُ
فان أظلم الأحداث واسودَّ ليلها فهم شفقٌ فيها وأنت بها فجرُ

---

(١) فى ديوان أبى تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندى والندى لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) فى الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فخراً على المجد والعلا فان العلا روض وأنت به زهر
غدت أرضنا منكم سماء مظلة لها أنجم من زهر أخلاقكم زهر

وبعد بيت الحطيئة :

وأنت امرؤ من تعطه اليوم نائلاً بكفيك لم يمنعك من نائل الغد
ترى الجودَ لايدنى من المرء حتفه كما البخل الانسان ليس بمخلد

ومثله قول ليلى الاخيلية فى توبة (١) :

فلا يبعدنك اللهُ ياتوب إنها لقاءُ المنايا دارعاً مثل حاسر
فنعمَ فتى الدنيا وان كان فاجراً وفوقَ الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى كان أحيا من فتاةٍ خريدةٍ وأشجعَ من ليثٍ بخفاق خادر
فتى ينهل الحاجات ثم يُعلها فيطلعها عنه ثنايا المصادر

يقول لايمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأُخرى كما قال الآخر :

وأرضعُ حاجةً بلبانِ أخرى كذاك الحاجُ ترضعُ باللبانِ

يقول فيرفعها المثنون عليه حتى كأنها ثنية رجع :

فأقسمُ أبكى بعد توبةَ هالكاً وأفعل من نالت صُروفُ المقادرِ

وكان بيت الأعشى :

تشبُّ لمقرورين يَصطليانها وبات على النار النـدَى والمحلقُ

يستحسن حتى قال الحطيئة * متى تأته تعشو إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى * وبات على النار الندى والمحلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمحلق الممدوح ، ومثله قول حماس بن مائل :

فقلتُ له أقبل فانكَ راشدٌ وإنَّ على النارِ الندى وابن مائل

وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

---

(١) كانت ليلى الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعد الخنساء . وتوبة هو ابن الحمير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن ابراهيم فأنشده رجل :

أمرُ مالكٍ قاصرٌ فقره على نفسه ومشيعٌ غناه

فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت تميم معا سادتها عدوه بالخنصرِ
ألبسه اللهُ ثيابَ العلا فلم تَطل عنهُ ولم تَقصر

فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثَ خلالٍ قد عُرفنَ له هل سَب من أحد أو سُبَّ أوبخلا

فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فغاظنى فقلت هات فقال نعم المدح الغريب الذى لم يؤت مثله :

للهِ درُّ أبى المغيثِ فانه حسنُ الفعالِ ضعيفُ خَبطِ الدرهم

وقريب من هذا قول أبى البحترى * حتى توهمناه مخروق اليد * وفى خلاف قوله * فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومى :

مدحتُ سليمانَ المغلب مِدحةً تجاوزُ حدَّ الحسنِ لوكان يَشكرُ
فعمى عنهما ناظراهُ كأنما بعوراءِ عينى جده كان ينظر
سبغت عليه حلية ليس عيبها سوى أنها ظلت تطول وتقصر

يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبى يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوهم (١) حينَ تنسبهم طابوا وطابَ من الأولاد ما وَلدوا
لو كان يَقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدونَ على ما كانَ من نعمٍ لاينزعُ اللهُ عنهم ماله حُسدوا

فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده . ومنها قول أبى تمام :

---

(١) فى بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل للحاسدِ النعمى عـلى المحسود
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ ما كان يُعرفُ طيبُ عرف العود

وقال البحترى :

ولن يستبين الدهر موضع نعمةٍ إذا أنتَ لم تدلل عليها بحاسد
وقال : محسدون كأن المـكرماتِ أبت أن توجدَ الدهرَ إلا عند محسود
وقال غيره : محسدونَ وشرُّ الناسِ منزلةً من عاشَ فى الناس يوماً غيرَ محسودِ

وسمعته يقول من أوائل المدح الجيد الذى لا نظير له قول أمية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جدعان (١) :

عطاؤكَ زينٌ لامرىءٍ ان حبوته ببذل (٢) وما كلُّ العطاء يَزينُ
وليس بشينٍ لامرىءٍ بذلُ وجهه اليكَ كما بعضُ السؤال يَشين

وقال زهير :

من يلقَ يوماً على عِـلَّاته هَرِماً يلقَ السماحةَ منه والندَى خُلقا
لو نال حىٌّ من الدنيا بمكرمة (٣) أفقَ السماءِ لنالت كفه الافقا
قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ فى هَرِمٍ والسائلونَ الى أبوابه طُرقا

وروى بعض الرواة للنابغة وروى لسعيد :

واللهِ واللهِ لنِـعمَ الفتى الا عرجُ لا النكس (٤) ولا الخامل
الحـاربُ الوافرُ والجـابر الـــمحروب والمرجل والجامل (٥)
والطاعنُ الطعنةَ يومَ الوغى ينهل منها الاسـلُ الناهـل

---

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفى النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .
(٤) النكس : الضعيف . (٥) فى الأصل «المرحل والحامل» بمهملات .

والقائلِ القولَ الذى مثـلُه ... يمرع [1] منـهُ البلدُ المـاحل
والغافرُ الذنبَ لأهل الحجا ... والقاطعُ الأقرانَ والواصـل

وقال بعض الاسلاميين وأحسن :

خُلقتْ أناملهُ لقائِم مُرهَفٍ ... ولبثِّ فائدةٍ وذروة منـبر
يلقى الرماحَ بوجهه ويصدره ... ويقيمُ هامتَـه مقام المغـفر
ويقول للطرفِ اصطبر لشبا القنا ... فهدمت ركن المجدان لم تعقر
واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ ... متسربلٍ سربالَ ليل أغـبر
أوما إلى الـكرماءِ هذا طارقٌ ... نحرتنيَ الاعداءُ ان لم تنحر

وسمعت الشيـخ أبا أحـمـد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبى حفصة [2] فى معن بن زائدة الشيبانى [3] :

بنـو مطرٍ يوم اللقـاء كأنهم ... أسودٌ لهـا فى غيـل خفان أشبلُ
هم المـانعونَ الجارَ حتى كأنمـا ... لجـارهم بين السماكين مَنزلُ
بهاليلُ في الاسلام سادوا ولم يكن ... كأولهم في الجـاهليـة أول
همُ القومُ انقالوا أصابوا وان دُعوا ... أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
ثلاثٌ بأمثال الجبـالِ حبَاهمُ ... وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
ولا يَستطيعُ الفاعلونَ فعالهم ... وإن أحسنوا في النائباتِ وأجملوا

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغنى أن يحيى بن خالد البرمكى قال لشراحيل بن معن بن زائدة أى شـعر قاله ابن أبى حفصة فى أبيك أشعر قال قوله :

---

(١) مرع الوادى مثلثة الراء مراعة : أكلأ ، والمريع : الخصيب ـ القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامى الذى أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لما مدحه بقصيدته السبعين التى مطلعها * اليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعمَ المناخُ لراغبٍ أو راهبٍ ممن تصيبُ جوائح الازمانِ
معن بن زائدةَ الذى زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبانِ
مطر أبوكَ أبو الاهلة والذى بالسيف حاز هجاينَ النعمان
نفسى فداءُ أبي الوليد إذا علا رهج السنابك والرماحُ دوانى

فقال يحيى أنت لا تعلم ماقيل فيأبيك أين أنت عن قوله :

بَنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم أسودٌ لها في غيل خفان اشبلُ

وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابَهَ يوماهُ علينا فأشكلا فما نحنُ ندرى أىّ يوميه أفضلُ
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغرُّ محجل

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا أبو يوسف القاضى ـ وكان عديل الرشيد في طريق الحج ـ قال اعترضه اعرابى فانشد أبيات فَزبرهُ [1] وقال ألم أنهكم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحونى بمثل قول القائل « بنو مطر يوم اللقاء كانهم » وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بحذا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبى طاهر [2] وقال لو استعمل الانصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يدهُ لم يُحمد الاجودان البحرُ والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غرته تضاءلَ النيران الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أو حدُّ عزمته تأخر الماضيان السيفُ والقدر

---

(١) الزبر : الانتهار والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبى طاهر ، قال هذا الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على ماف جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبى.

من لم يكن حذراً من حدّ صولته   لم يدرِ ما المزعجان الخوف والحذر
حلو إذا أنت لم تبعث مرارته   فان أمرّ فحلوٌ عنده الصبر
سهل الخلائق إلا أنه خشنٌ   لينُ المهزة إلا أنه حجر
لاحيةٌ ذكرٌ فى مثل صولته   ان صال يوماً ولا الصمصامةُ الذكرُ
إذا الرجالُ طغت آراؤهم وعموا   بالأمر رُدَّ اليه الرأىُ والنظر
الجودُ منه عِيانٌ لا ارتيابَ به   إذ جودُ كلّ جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول على بن محمد بن الأفوه :

أوفوا من المجدِ والعلياءِ فى قُللٍ   شُمّ قواعدهنّ البأس والجودُ
سبط اللقاءِ إذا شمت مخائلهم   بُسل اللقاء إذا صيد الصناديد
محسدون ومن يَعلقْ بحبلهم   من البرية يُصبحْ وهو محسود

وقال الفرزدق وهو أجود ماقيل فى الجود عوداً على بدء :

له راحةٌ بيضاءُ يندى بنانها   قليل إذا اعتل البخيل اعتلالها
جواد إذا أعطتك يوماً يمينه   وعُدتَ غداً عادت عليك شمالها

ونحوه قول الأعرابى فى عبد الملك :

ولقد ضربنا فى البلادِ فلم نجد   أحداً سواكَ الى المكارم يُنسبُ
فاصبر لعادتنا التى عوّدتنا   أولا فأرشدنا الى من نَذهبُ

وقول الآخر وهو من أجود ماقيل فى حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكمُ بقية حيّ قيسٍ   وهضبته التى فوقَ الهضابِ
تُبارونَ الرياحَ إذا تبارت   وتمتثلونَ أفعالَ السحاب
يذكرنى مقامي فى ذراكم   مقامي أمسِ فى ظلّ الشباب

ومن عادة الناس أن يتكرهوا ماهم فيه من العيش وماهم عليه من الأحوال ، وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه فى ظل الشباب وهو من أجود ماقيل فى هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالعكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دُلفٍ بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلفٍ ولّت الدنيا على أثَره

قال بعض من حضر : لايجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراه لدمامته وعمشه فقال له أبو دلف أما تسمع مايقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن ألفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة عني وما أظلم من استبرأ فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردفها بأعجاز قال مااشتططت ولا كلفت إلا الذى من نكب عنه حق عليه القول فدعا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

ريعت لمنشورٍ على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب
اهدام شيب جُددٍ في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى رحلي قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرته فلما رجع دخل عليه عليّ والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك النقص من الاعجال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف[1] ثم قال :

أشرقنَ في أسودَ ازرينَ به كان دُجاه لهوى البيضِ سَببْ[2]
فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب
فنازل لم يبتهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب
لم أرَ كالشيب وَقاراً يُحتوَى وكالشباب الغضّ ظلاً يُستلب
كان الشبابُ لمةً أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب
إذ أنا أجري واثباً في غيه لا أعتب الدهرَ إذا الدهرُ عتب

---

(١) في نسخة «ثم أنشد يمر في بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربربَ عن أطفاله ... بأعوجى دلفيّ المنتسب

مطرد يرتج فى أقطاره ... كالماء جالت فيه ريح فاضطرب

تحسبه أقعد فى استقباله ... حتى إذا استدبرتهُ قلتَ أكب

وهو على إرْهاقه وطيه ... يقصرُ عنه الحزمان واللبب

تقولُ فيه جَنبٌ اذا انثنى ... وهو كمثل القدح مافيه جنب

يخطو على عوج يناهبن الثرى ... لم يتوا كلن شظا ولاعصب

تحسبها نائثة حين خطا ... كأنها واطئة على نكب

يرتاد بالصيد فعارضنا به ... أوابد الوحش فأجدى واكتسب

لا يبلغُ الجهدَ به راكبه ... ويبلغُ الريحَ به حين طلب

إذا تظنينا به صدقنا ... وان تظنى فوته الطرف لزب

ثم انقضى ذاك كأن لم تبقه ... وكل بُقيا فالى يوم عطب

وخلفَ الدهر على أعقابه ... فى القدح فيه وارتجاع ماوهب

فحمل الدهر ابن عيسى قاسما ... ينهض به فراج همّ وكرب

كرونق السيف انبلاجا بالندى ... أو كغراريه على أهل الريب

لاوسنتْ عينٌ رأت غُرتهُ ... واستيقظت نبوته من النوب

لولا الأميرُ لغدونا همَلاً ... لم يعتثل مجد ولم يرع حسب[1]

ولم يقم بيأس يوم وندى ... ولاتلاقى سبب إلى سبب

تكادُ تبدى الارضُ ماأضمره ... إذا تداعى خيله هلا وهب

ويستهلُّ أملاً وخيفةً ... إذا استهلَّ وجههُ وان قطب

وهو وان كان ابنُ فرعى وائلٍ ... فبمساعيه ترقى فى الحسب

وبعلاهُ وعلا آبائه ... تحوى غداةَ السبق أخطار القصب

ياواحد الدنيا ويا باب الندى ... ويامجير الرعبِ فى يوم الرهب

---

(١) فى نسخة زيادة «أو نسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ماكان سدى ولاندى ولاقريش عُرفت ولاالعرب
خذها امتحاناً من مليء بالحجا لكنه غير مليءٍ بالنشب
وقرَّ بالأرض أواستقر بها أنتَ عليها الرأسُ والناسُ ذنب

قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف [1] إليه حتى مست ركبتاه ركبتيه فلما بلغ قوله * لكنه غيرمليء بالنشب * قال لاملأني الله إن لم أملأك ياغلام كم فى بيت المال ؟ قال ماقبضته من عامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياهاوقليل له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين ظهرانى قواده وأمرائه ولا وجه لما لايرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال إليك عنى والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون مايستحقه علىّ .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كفى القبائلَ معنٌ كلَّ معضلةٍ يُحمى بها الدينُ أو يُرعى بها الحسبُ
كنز المحامدِ والتقوى ذخائرُه وليس من كنزه [2] الاوراق والذهب
أنت الشهابُ الذى يرمى العدوُّ به فيستنيرُ وتخبو عنده الشهب
بنو شريك همُ القومُ الذين لهم في كل يوم رهان تحرزُ القصب
ان الفوارسَ من شيبانَ قد عُرفوا بالصدق ان نزلوا والموتِ ان ركبوا
قد جرَّب الناسُ قبل اليومِ أنهم أهلُ الحلومِ وأهل الشغب ان شغبوا
قل للجواد الذى يسعى ليدركه أقصر فمالكَ إلا الفوتُ والطلب

قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشده اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بعدهم قومٌ لكى يُدركوهمُ فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا

وقال طريح [3] :

---

(١) عله « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) فى الاصل (كثرة) (٣) هو طريح بن اسماعيل الثقفى ، أكثر شعره فى مدح خليله الوليد بن يزيد الأموى .

قـد طلب الناسُ ما طلبتَ فما ... نالوا ولا قاربوا وقـد جهـدوا
يرفعُـك الله بالتكرم والتـقوى فتعلو وأنت مقتصد

وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدٌ أو تعرضَ سُؤددٌ ... تسامى له ضخمُ الهموم هُمام
إذا اهـتزَّ للهيجاءِ فهو مُهندٌ ... أواهـتزَّ للافضال فهو غمـام
تواضعَ وهو النجم عِزاً ورِفعةً ... وخفَّ على الأرواح وهو شمام (١)
ارجيهِ يوماً أو ألاقيـهِ ساعةً ... فيخصب لي عامٌ ويمرء عام
يُريدونَ منه أن يَضنَّ وانما ... أرادوا جُمودَ الغيم وهو رُكام
ولاعيبَ فيه غير أن ذوى الندَى ... خِساسٌ إذا قيسوا به ولئام
بلغتَ من العلياءِ مافاتهم معا ... كأن لم يروموا مابلغتَ وراموا
فمن مُبلغ عـنى الا كارمَ انهم ... اذا استيقظوا للمـكرمات نيـام

وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميثل (٢) فى عبدالله بن طاهر (٣)

قالت ركبتَ فقلتُ إن وراءكم ... ان قد كبرت ومن يعمّـر يركع
وعهدتنى أمضى لشأنى مطلقاً ... فبليتُ بعـدك بالنسا والأجدع
يامن يؤملُ أن تكون خِـلاله ... كخلال عبـد الله أنصت واسمع
فلأنصحنك فى المشورةِ والذى ... حجَّ الحجيجُ اليـه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوأنصت واحتمل ... واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

---

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليد شاعر مؤدب . (٣) عبدالله بن طاهر الخزاعى الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولـكن مطلع الجود

وفى سفرة أبى تمام هذه ألَّف الحماسة فانه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانة كتب فاختار منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على قايله [١] فأتى بمالا ينطق [٢] به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة فى المديح قول ابن الرومى :

هو الغرة البيضاءُ من آل هاشم   وهم بعده التحجيلُ والناسُ أدهم

ومن الأبيات الجامعة لمعانى الحسن قول البحترى :

ذات حسن لو استزادت من الحُسـ   ـن اليه لما أصابت مَزيدا
فهى الشمسُ بهجةً والقضيب الـ   ـلدن [٣] ليناً والريمُ طرفاً وجيدا

وقال فى هذه القصيدة :

واذا ماعددت يحيى وعمرا   وإياساً [٤] وعامراً ووليدا
وعبيداً ومسهراً [٥] وجديا   وندولاً وبحتراً وعتودا
لم أدع من مَناقبِ المجد مايقـ   ـنع من همَّ أن يكون مجيدا

وقلت فى المديح :

حليفُ عَلاءٍ ومَجد وفخرٍ   وبأس وجودٍ وخَير وخِير
أضاءَ فأطرق ضوء الشموس   وتم فأغضي تمام البدور

وقلت في المديح أيضا :

من الغرّ لاحوا أشمساً ومضوا ظبى   وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا

ومن المديح البليغ قول الأول :

متبذل في الحيِّ وهو مُبجل   متواضعٌ فى القومِ وهو مُعظم

وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبى تمام في قوله :

---

(١) لعله «قائله» . (٢) فى نسخة «ينطلق» . (٣) فى النسخة المطبوعة من ديوان البحترى «الغض» مكان «اللدن» . (٤) فى النسخة المطبوعة من البحترى «أبانا» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «فامراً» مكان «مسهراً» والتصحيح من ديوان البحترى المطبوع .

إذا أحسن الأقوامُ أن يَتطاولوا بلا مِنةٍ أحسنتَ أن تتطولا

فعظمتَ عن ذاك التعظم منهم وأوصاكَ نبل القدر أن تتنبلا

وقال البحترى فى التواضع مع علو الرتبة :

دنوتَ تواضعاً[1] وعلوتَ قدرا فحالاكَ انحدارٌ وارتفاعُ[2]

كذاكَ الشمسُ تبعد أن تسامى ويدنو الضوءُ منها والشعاع

فأتيت بهذا المعنى فى بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟ كما انحطَّ ضوءُ البدر وارتفعَ البدر

وأجود ما قيل فى صفة الرجل الحازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر[3]

فقلدوا أمرَكم للهِ دركُّم رحبَ الذراع بأمر الحق[4] مضطلعا

لا مترفاً إن رَخاءُ العيش ساعده ولا إذا عض مكروهٌ به خَشعا

ما انفكَّ يحلب هذا الدهرَ أشطره يكون مُتبعاً طوراً ومُتبعا

لا يطعمُ النومَ إلا ريث يبعثه[5] همٌّ يكادُ حشاه يحطم الضِّلعا

حتى استمرَّ على شزر مريرته مستحكم الرأى لا قحماً ولا ضرعا

ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولستُ بمفراح إذا الدهرُ سرنى ولا جازع من صَرفه المتقلب

وقول دريد بن الصِّمة[6]

ينازلُ اخدانَ الرجال وانه لجـــد ثناء ثم يزدد[7]

ويخرج من العزاء الشدة مصدقا[8] وطول السرى درى عضب مهند

---

(١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذى في الديوان المطبوع :

دنوت تواضعاً وبعدت قدراً فشأناك انحـدار وارتفاع

(٣) الايادى شاعر جاهلىّ ، ومطلع هذه القصيدة «يادارَ عمرةَ من محتلها الجرعا» .

(٤) وفى رواية «بأمر الحرب» . (٥) فى النسخ تصحيف . (٦) أصله من هوازن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الاسلام ولم يسلم .

(٧) كذا .(٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه ضُرة القرّ جُزأة » .

هذا البيت أجود ماقيل فى سعة الخلق من قديم الشعر :

كَميشُ الازار خارجٌ نصفُ ساقه صبورٌ على العزاء[1] طلاعُ انجد

قليلُ التشكى للمصيبات حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غد

إذا سارَ بالارضِ الفضاءِ تزينت لرؤيته كالمأتم المتبدد

فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الارض يبعد

موضع هذه الابيات من باب المراثى وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها «قليل التشكى للمصيبات» شبيه بما تقدم من قول الآخر: * ولا جازع من صرفه المتقلب *

ومن شعر المحدثين قول أبى تمام :

وعزت بالشَّبُع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيفا

قطب الخشونة واللبان بنفسه[2] فغدا جليلاً فى العيونِ لطيفا

هزته معضلةُ الأمورِ وهزها وأُخيفَ في ذات الآله وخيفا

يقظان أحصدت التجارب جزمه[3] شزراً وثقف عزمه تثقيفا

وسلكن من أترابه الشمل التى[4] لو أنهن طبعن كن سيوفا

وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة عليه وهو قوله في مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيما

وبلابل لو أنهن مآكل لم تخطىء الغسلين والزقوما

وكرمي بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما

ونقل البيت الأول أبو تمام الى موضع آخر فقال :

مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

(١) لعله «الضراء» . (٢) وفي ديوان أبى تمام المطبوع :

قطب الخشونة باللبان معاقباً فغدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) في الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان «واستل من آرائه الشعل التى» .

ومن ذلك قول أبي تمـام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ... ووغى ومبدى غارة ومعيدا
أيقنت أن من السماح شجاعةً ... تدمى وان من الشجاعة جوداً
ومكارماً عتق النجار تليدةً ... إن كان هضب عمايتين تليدا
متوقدٌ منه الزمانُ وربمـا ... كان الزمانُ بآخرين بليدا

وقال البحتري :

أغر لنا من جوده وسمـاحه ... ظهيرٌ عليه مايخيب وشافعُ
ولمـا جرى للمجد والقومُ خلفه ... تقول أقصى جهدهم وهو وادع
وهل يتـكافأ النـاس شتى خلالهم ... وما يتـكافى في اليدين الأصابع
إذا ارتدَّ صمتاً فالرؤس نواكسٌ ... وإن قال فالأعناق صور خواضع
وأغلبُ ماينفكُّ من يقظاته ... ربايا على أعدائه وطلائع
جنانٌ على ما جرّت الحرب جامعٌ ... وصدرٌ لمـا يأتي من[1] الدهر واسع
جديرٌ بأن ينشقَّ عن ضوءِ وجهه ... ضبابةُ نقع تحته الموت ناقع
تذودُ الدنايا عنه نفسٌ أبية ... وعزم كصدر[2] الهندواني قاطع
بعيدُ مقيل السرِّ لايُدركُ التي ... يحاولهـا منه الأريبُ المخادع
ومنـكتمُ التدبير ليس بظاهر ... على طرفِ الرائي الذي هو تابع
ولا يعلمُ الأعداءُ من فرط عزمهِ ... متى هو مصبوبٌ عليهم فواقع

لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة والدهاء وشدة الفـكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات ولا أعرف أحداً يستوفي مثل هذه المعاني في أكثر مدائحه إلا البحتري .

وقال بعضهم أجود ماقيل في صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطثرية :

إذا جدَّ عند الجد أرضاك جدهُ ... وذو باطلٍ إن شئت ألهاك باطلهْ

---

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كحد) .

يَسرُّكَ مظلوماً ويُرضيك ظالماً وكل الذى حملته فهو حامله

ومثله قول الآخر :

أخو الجد إن جدَّ الرجالُ وشمروا وذو باطلٍ إن كان فى الناس باطلُ

ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :

إذا ماعددت الناسَ بعد محمدٍ فليس لهارونَ الامامِ نظيرُ

فضله على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبى نواس :

تَنازعَ الأحمدانِ الشبهَ فاشتبها خَلقاً وخُلقاً كما قُدَّ الشراكان

فجعل النبي ﷺ ومحمد بن هارون سواءً في الخلق والخلق .

وبعد بيت النمرى أبيات جياد منها قوله :

منيع الحمى لكنّ أعناقَ ماله بظل الندى يسطو بها ويسور

كأنه من قول كثيّر :

غمْر الرداءِ إذا تبسمَ ضاحكاً غلقت لضحكته رقابُ المال

وهذا من قول الأخطل :

وقفتُ على حاليكما فاذا الندَى عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

خرجتُ أجرُّ الذيلَ حتى كأنني عليك أميرَ المؤمنين أمير

يروحُ ويغدو ساجياً في وقاره على أنه يوم المرام ذكير

وليس لأعباءِ الأمور إذا عرت بمكترثٍ لكن لهنَّ قَهور

يُرى ساكنَ الأوصال باسط جهده يريك الهوينا والأمورُ تطير

ولا أعرف فى هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى فى هارون :

إن المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلك الله منها حيثُ تجتمعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية » .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي [1] :

أتاك المجدُ من هنّا وهنا ... وأنتَ لهُ بمجتمع السيول

وأخذه ابن أميـة الـكاتب فقال في غزل :

تركت فيك التي ....؟ ... وأنت منها بمجمع الطرق

ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أتغـدو بعستن العيون مخيما ... وأنتَ بعيبِ العالمين موكل

وفي قصيدة النمري أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحكم الرأيِ مُستغن بوحدته ... عن الرجال بريب الدهرِ مضطلعُ

يقري العـدوَّ المنايا والقناة ندى ... من كل ذاك القـرى أحواضه ترع

إذا بلغنا جمـالَ الأرض لم ترنا ... للحـادثات بحمد الله نختشـع

لـما أخذتُ بكفي حبلِ طاعته ... أيقنت أني من الأحداث ممتنع

ان الخليفةَ هارونَ الذي امتلأت ... منـه القلوبُ وجارت تحته ترع

ان أخلف الغيثُ لم تخلف مخـائله ... أوضاقَ أمرٌ ذكرناه فيتسـع

أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولي عن المبرد وغيره قال شكا منصور إلى العتابي طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معك أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيثُ لم تخلف مخائـلهُ ... أوضاق أمرٌ ذكرناه فيتسع

فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغي ... نجومَ السماء بسـعيٍ أمَمْ

سمعت بمكرمةِ ابن العـلاء ... فأنشأت تطلبها لست ثم

إذا عرضَ الهمُّ في صدره ... لها بالعطاءِ وضرب البُهُـم

---

(١) هو يزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين .

فقل للخليفةِ إن جئتهُ نصيحاً ولاخيرَ في المتهم
اذا أيقظتك جسامُ الأمور فنبه لها عُمراً ثم نَمْ
فتًى لايَبيتُ على رمقه ولايشربُ الماءَ إلا بدم
يحبُّ العطاءَ وسفك الدماءِ فيغدو على نِعمٍ أونِقم

وقال البحترى :

اذا المهتدى بالله عُدَّتْ خِلالُهُ حسبتَ السماءَ كاثرتك نجومُها
وقلت : كم غاية لكمُ تقاصرَ دونها مَنْ رامها فكأنه مارامها
يعلو كرام العالمين وانما يعلو كرامُ العالمين لئامَها
واذا تسامى الأكرمون الى العلا نالوا مناسمها ونلت سنامها
أمِنَ المكارم أن يُبدَّدَ شملها لما رأتك نظامَهُ ونظامها
ذلت له نُوَبُ الزمان وأصبحت فى عقوتيه جبالها آكامها

وقال البحترى :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت أما كنها قلت النجوم قبورها
إذا ماتت الارضُ ابتدوها كأنما اليهم حياها أوعليهم نشورها
ودون علاهم للمسامين برزخٌ إذا كلفته العير طال مَسيرُها
بتدبير مأمونٍ على الأمر رأيُهُ ذكيرٌ وأمضى المرهفات ذكورها
وذو هاجسٍ لايحجبُ الغيبُ دونه تريه بطونَ المشكلات ظهورها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عبدالله بن الحسن عن البحترى قال سمعت ابراهيم ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا الى أنه أنشده يوماً عبدالله بن أيوب التيمى شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهرَ المأمونِ أحسن ظاهر وأحسن مماقد [1] أسرَّ وأضمرا
يناجى له نفساً تريع بهمة إلى كل معروفٍ وقلباً مُطهرا

---

(١) زدنا «قد» على النسخ لاقامة الوزن .

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى لخوف الله أن يتكبرا
طويلُ نجاد السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تحسرا
رفل إذا ماالسلمُ رفل ذيله وان شمرت يوماً له الحرب شمرا

فقال الفضل مابعد هذا مدح وماأشبه فروع الاحسان بأصوله.

ومن المدح القليل النظير قول أمامة بنت الجلاح الكلبية : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثنى محمد بن ناجية الرصفانى قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبنى السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت علىَّ الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت إلى بنى شيبان ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط ورمح مركون يلمع سنانه فنزلت عن فرسى وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردّ على نساء من وراء السجف يرمقننى من خلل الستور بعيون كعيون أخشاف الظباء فقالت إحداهن اطمئن ياحضرى فقلت وكيف يطمئن المطلوب أو يأمن المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوى إلى جبل يعصمه أو معقل يمنعه فقالت ياحضرى لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولايجوع فيه كبد مادام لهذا الحى سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان اخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحى فى ماله وسيدهم فى فعاله لاينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب الثار وبهذا وصفته أمامة بنت الجلاح الكلبية حيث تقول :

إذاشئتَ أن تَلقَى فتىً لو وزنته بكل معدىّ وكل يمانى
وفى بهم حلماً وجوداً وسُوْدداً وبأساً فهذا الاسودُ بنُ قنان
فتىً كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجهه القمران
أغر أبر ابنى نزار ويَعرُبٍ وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهمُ عهداً وأطولهم يداً وأعلاهمُ فعلاً بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره واطعنهم من دُونه بسنان
كأن العطايا والمنايا بكفه سحابان مقرونان مؤتلفان

فقلت الآن ذهبت عني الوحشة وسكنت الروعة فأنى لى به قالت ياجارية أخرجى فنادى مولاك فخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها فى جمع من بنى عمه فرأيت غلاما حسناً [1] اخضر شاربه واختط عارضه وخشن جانبه فقال أى المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت ياأبا مرهف هذا رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى ذمتك وقد ضمنا له ما يضمنه لمثله مثلك فقال بلىّ الله فاك قال فأخذ بيدى وجلس وجلست ثم قال يابنى أبى وذوى رحمى أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى فمن أراده فقد أرادنى ومن كاده فقد كادنى ومايلزمنى من أمره من حال إلا ويلزمكم مثله فليسمع الرجل منكم مايسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه . فما رأيت جوابا قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ماهى أول منة مننت بها علينا ولا أول يد بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك فى بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه أنفسنا وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سنح لى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلى .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شُمسُ العداوةِ حتى يستقادَ لهم [2] وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا

أخذه خارجة بن مليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتبى الليلُ فى ظلمائه زهروا
قومٌ إذا شومسوا لجَّ الشماسُ بهم ذاتَ الاباءِ وان ياسرتهم يسروا

---

(١) في الأصل « حين » .

(٢) فى الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كُثير في عبد الملك :

أبوك الذى لما أتى مرج راهط ... وقد ألبوا من جمعهم ما تألبا
تسنأ للأعداء حتى إذا أتوا ... لما شاء منهم طائعين تحببا

وقال البحترى :

حرونٌ إذا عاززته فى مُلمة ... فان جئته من جانب الذل أصحبا

ونحوه : كريم يغضُّ الطرف فضلُ حيائه ... ويدنو وأطرافُ الرماح دوانى
وكالسيف ان لاينته لانَ متنهُ ... وحدّاه ان خاشنته خشنانِ

ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل فى ظلمائه زهروا * قول الأشجع :

إذا غاب عنا الفجرُ خُضنا بوجهه ... دُجي الليلِ حتى يَستنيرَ لنا الفجرُ

وقال خارجة أيضا :

ويسفر للسارى إذا جنَّ ليله ... سبيل المطايا بالوجوه السوافر

وقال ادريس بن أبى حفصة :

لما أتتك وقد كانت منازعة ... وافى الرضا بين أيديها باقياد
لها أمامك نورٌ تستضىء به ... ومن رجائك فى أعقابها حادى
لها أحاديثُ من ذكراك تشغلها ... عن الرتوع [1] وتلهينا عن الزاد

ولا أعرف فى معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهُهم ... كفى خابطَ الظلماءِ ضوءُ المصابح
وان ناب خطبٌ أو ألمت مُلمةٌ ... فكم ثمَّ من آسي جراحٍ وجارح

ومن أجود ماقيل فى صفة الرجل الجواد قول أبى الأسد الدِّينوَرىّ :

ولائمة لأمتك يافيضُ في الندَى ... فقلتُ لها لن يَقدحَ اللومُ فى البحر
أرادت لتثنى الفيضَ عن عادة الندى ... ومن ذا الذى يَثنى السحابَ عن القطر

---

(١) وفى نسخة (الربوع) .

مواقع جودِ الفيضِ في كلِّ بلدةٍ مواقع ماءِ المزنِ فى البلد القفر [١]

ولا أعرف فى معناها مثلها . وقلت :

تقضى مآربه من كلِّ فائدة لـكن من المجد ماتقضى مآرِبُهُ
أفاده العزَّ آباءٌ ذوو كرم وزادهُ الخلقُ المخضر جانبه
لقد فضلتَ كرامَ الناس كلهم فهم مناسمُ مَجد أنت غاربه
ياليتَ شعرى هل يَسطيعُ شكرَكم دهرٌ مساعيكم فيه مَناقبه
وحينَ أرضيتم كنتم نوافله وأنتم حين أسخطتم نوائبه
منـكم على الدهر عينٌ لاتناومه وللحوادث قِرن لاتغالبه

ومن أجود ما قيل فى ذكر الجود قول الأشجع [٢] في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملوكُ جدى جعفر ولا يَصنعونَ كما يَصنعُ
وكيف ينالونَ غاياتِه وهم يَجمعونَ ولا يَجمع
وليس بأوسعهم فى الغنى ولـكنَّ معروفَه أوسع
فما خلفه لامرىء مطمعٌ ولا دونه لامرىء مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العزو الفضل أن يوضعوا
ولا يرفعُ الناسُ من حطهُ ولا يضع الناسُ من يَرفعُ
رأيتُ الملوكَ تغضُّ العيون إذا مابدا الملكُ الاتلع
بديهتهُ مثلُ تدبيرهِ متى هجتهُ فهو مُستجمع

أخذ قوله «بأوسعهم في الغنى» من قول الأول :

له نارٌ تشبُّ بـكلِّ أرضٍ إذا النيرانُ جللتِ القناعا
وما ان كانأ كثرهم سواداً ولـكن كان أرحبهم ذراعا

---

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات فى مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمى ، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورثى الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك فى حال تكونُ بها أدنى إلى كلّ خيرٍ منك في العدم

ومن أجود ماقيل فى الصلة على بعدالدار قول نهشل بن جرى :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلتِ إخوانَ السماحةِ والمجد

أتانى وأهلى بالعراق نداهُمُ كما صاب غيثٌ من تهامةَ في نجد

فما يتغير من زمانٍ وأهله فما غير الأيام مجد كم بعدى

فأخذه البحترى أخذاً مارأيت أعجب منه وقد وجه اليه بنو السمط برمى حمص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمطِ إخوانِ السماحةِ والمجد

همُ حضرونى والمهامهُ بيننا كما ارفضّ غيثٌ من تهامةَ فى نجد

إلا أن قوله * هم حضرونى والمهامه بيننا * أبدع وأحسن من قول نهشل * أتانى وأهلى بالعراق نداهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجعفرٍ لما أتانا كما سُرَّ المسافرُ بالاياب

كممطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعةِ السحاب

وأخذه أبو السمط بن أبى حفصة فقال فى عبد الله بن طاهر :

لعمرى لنعمَ الغيثُ غيثٌ أصابنا ببغدادَ من أرضِ الجزيرة وابلُهْ

ونعمَ الفتى والسدُّ بيني وبينه بسبعينَ ألفاً صبحتنى رسائله

فكنا كحىّ صبّح الغيثُ دارَهُ ولم يحتمل أظعانه وجمائلهْ

وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سَيْراً لمدحة خالدٍ فجعلتُ مِدحَتهُ اليه رسولا

فليرحلنَّ اليك نائلُ خالدٍ وليكفينَّ رواحلى الترحيلا

وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توابة :

نفسى فداءُ أبى العباس من رجل لم ينسنى قطُّ فى نأيٍ ولا كثب

يقرى وبالرقة البيضاء منزله من بالعراقين[1] من عجم ومن عرب
أغنيتنى عن رجال أنت فوقهم فى المكرمات ودون القوم فى النشب

وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن على بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :

بنفسي امرأً والشام بينى وبينه أتتنى ببشرى برده ورسائله

قال أبو أحمد قال أبو الحسن لايجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمن البيضاء بعدك فانتحى على العظم حتى ماتقوم حوافله
فيومان من عبد العزيز تفاضلا ففي أى يوميه تلوم عواذله
فيوم تحيط المسلمين جياده ويوم عطاه ما يفرح نائله

ومن المديح البارع قول ابراهيم بن العباس :

أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا

ومن بليغ المديح ماأنشدناه أبو أحمد فى جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد ابن أبى طاهر النديم عن عبد الله بن السرى عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله ابن زيد القسرى كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سماطان من وجوه الناس إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكماله فقال أصلح الله الأمير إنى امرؤ فدحته كربة وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأمعار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمت به أعداؤه وجفاه القريب وأسلمه البعيد فقمت مقاماً لا أرى فيه معولا ولا جازى نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما فى جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

أمرته ولا تضيع حرمته فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتي فعل فقال ابن هبيرة ممن الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزارةُ بيتُ المجد والعزِّ فيهم   فزارةُ قيسٍ حَسْبُ قَيس فعالها
لها العزة القعساءُ والشرفُ الذى   بناهُ لقيسٍ فى القديم رجالُها
وهل أحدٌ ان مَدَّ يوماً بأنفه   إلى الشمسِ فى جوِّ السماءِ ينالها
لهيهات ماأعيا القرونَ التى مَضتْ   مآثرُ قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حداثة سنك فكم أتت لك ؟ قال تسع وعشرين ـ فلحن الفتى ـ فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال اللحن أيضاً مع جميل ماأتى عليه منطقك ، شبته بأقبح عيب [١] فأبصر الفتى ماوقع فيه فقال إن الأمير أصلحه الله تعالى عظم فى عينى وملأت هيبته صدرى فنطق لسانى بمالا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويحضر بهاسلطانه ويزين بهامشهده ويتبوأ بها على خصمه أوَ يرضى أحدكم أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره [٢] وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فان كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهملة قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم تَرَ مفتاحَ الفؤادِ لسانُه   إذا هو أبدى ما يقولُ من الفم
وكائنْ تَرَى من صامتٍ لك مُعجب   زيادَتُه أو نقصهُ فى التكلم
لسانُ الفتى نصف ونصفٌ فؤادُه   فلم يَبقَ إلا صورةُ اللحم والدَّم

ومن بارع المديح :

ولى منك موعودٌ طلبتُ نجاحَهُ   وأنتَ امرؤٌ لاتخلف [٣] الدهرَ موعدا
وعوَّدتنى ان لاتزال تُظلنى   يدٌ منك قد قدَّمتَ من قبلها يدا

---

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكار : الحراث . (٣) فى الأصل «يخلف» .

فلو أن مجداً أو ندى أو فضيلةً   تخلدُ شيئاً كنتَ أنتَ المخلدا

ومن بايغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أبى العيناء عن الأصمعى للصموت الكلابى وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرُّكَ أىُّ جنةِ خائف   ومتاع دُنيا أنتَ في الحدثان

متخمط يطأ الرحال غُلبَّةً (١)   وطأ الفنيق (٢) دوارح القردان

وتفرج البابَ الشديدَ رتاجُه   حتى يكونَ كأنه بابان

وتبعه أبو تمام فقال فى ابن أبى داود :

فلتبك الاحسابُ أى حياةٍ   وحيا أزمة وحية واد

عاتق معتقٌ من اللوم(٣) إلا   من مقاساة مغرمٍ أو نجادِ

ومن أجود ماقيل فى صفة الكمال قول كشاجم :

ومهذبِ الألفاظ مَنطقهُ   مافيه من خَطلٍ ولا مَينِ

ماشئتَ من ظَرفٍ ومن شيم   مافى محاسنهن من شين

ما كان أحوج ذا الكمال الى   عيبٍ يوقيه من العين

قد أحسن وظرف ولم يقصر فى تفليل الحز واصابة المفصل . ومثله قوله :

يا كاملَ الآدابِ مُنفردَ العلا   والمكرمات ويا كثير الحاسدِ

شَخصَ الانامُ الى كمالك فاستعذ   من شر أعينهم بعيبٍ واحدِ

وقال ابن الرومى يمدح بعض العمال وقد نكب :

لايستطيعك بالتنقص حادثٌ   وأبى لك التكميلُ أن تتزيدا

وكأنى بك قد نحوتَ محمداً   فى النائبات كما دعوت محمدا

فطلعتَ كالسيف الحسام مجرداً   للحق أو مثل الهلالِ مجددا

---

(١) المتخمط : القهار الغلاب . والغلبة بضمتين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المكرم لايؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبى تمام « الهون » .

شهدالنهار وكشفه غُممالدجى ... ان الزمانَ مُبيضٌ ماسودا

ومثله قول الآخر :

فما كنتَ إلا السيف جُرِّدَ في الوغى ... وأخمد في الهيجا وردَّ الى الغمد

ومن أبلغ المديح :

بديهته وفكرتهُ سواءٌ ... إذا ماناَبهُ الخطبُ الكبيرُ

وصدرٌ فيه للهمِّ اتساعٌ ... إذا ضاقت من الهمِّ الصدور

ومن أبلغ المديح قول البحترى :

أخذوا النبوةَ والخلافةَ وانثنوا ... بالمكرُماتِ كثيرِها وقليلها

واذا قريشٌ فاضلتك فضلتها ... بأبى خلائفها وعم رسولها

وجوادِها ابن جوادِها وكريمها ابن كريمها (١) ... ونبيلها ابن نبيلها

لو سارت الأيامُ فى مسعاتهم ... لتنالها لتقطعت فى طولها

رفعتهمُ الآياتُ فى تنزيلها ... وقضت لهم بالفضل في تأويلها

واذا انشعبت أخذتَ خيرَ فروعها ... واذا رجعت أخذت خيرَ أصولها

وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا ... ليحيى كثيرٌ فى العلا والمكارم

يذكرنى جودَ الغمائم جودُهُ ... وشكرى له شكرَ الثرى للغمائم

تخال به بدراً مع الليلِ باهراً ... يلوحُ على عرف من الليل فاحم

يديل من الأيام والدهر منصف ... بعزم على الأيام والدهر حاكم

يبزُّ من الأمجاد كل مساور ... ويعلو من الامجاد كل مكارم

بخلق كمتن الصخر فى كف لامس ... وطور كجرى الماء فى عين حائم

ورأىٍ كصدر الراغبيةِ شارع ... وعزم كحدِّ المشرفية صارم

على بلدة يسقى الضراغمَ ماؤها ... ويسقى بها الالى دماء الضراغم

ومن بارع المديح قول أبى تمام :

---

(١) فى ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «وكريمها ابن كريمها» .

رأيت لمياشٍ خلائفَ لم تكن لتكملَ إلا في اللباب المهذب

له كرمٌ لوكان في الماء لم يَغِض وفي البرق ماشامَ امرؤٌ برق خُلب

أخو عَزَماتٍ بذلُه بذل مُحسنٍ إلينا ولكن عُذرُه عُذرُ مذنب

يَهولُك أن تلقاه في صدر محْفلٍ وفي نحر أعداءٍ وفي قَلب مَوكب

وماضيق أخطار البلاد أضاقني اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي

وهذي ثيابُ المدح فاجرر ذيولها عليك وهذا مركبُ الحمدِ فاركب

وقد أحسن التنوخي في أبيات له منها :

وفتية من حمير حمز الظبي بيض المطايا حينَ يسودُّ الأمل

شموس مجد في سموات علا وأسد موتٍ بين غابات أسل

وقلت : ماالمجدُ الا سماءٌ أنت كوكبها والجود إلا غمامٌ أنت سلسله

فكلَّ سابقٍ قوم أنتَ سابقهُ وكلَّ فاضلِ حزب أنت تفضله

بالعقد تحكمه والأمرِ تبرمُهُ والعرض تمنعهُ والمال تبذلهُ

وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامُنا مصقولةٌ أطرافها بك والليالى كلها أسحارُ

مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا شيخ ابن حاتم العكلى حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولى بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هى عذبة الماء باردة الهواء قليلة الأدواء قال كيف ليلها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيبة قال لك طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

يارُبَّ ليلٍ سَحَرٌ كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه لنار الهموم

وقال ابن الرومى * كأن أيامهن كالبكر * وقلت :

أيامُنا فى جوارهُ بكرُ وليلنا فى فِنائه سحر

ومنها قول أبى نواس :

أنت الخصيبُ وهذه مصرُ فتدفقا فكلا كما بحر

وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ فى واحد

وقوله : فتى يشترى حسنَ الثناءِ بماله ويعلمُ أن الدائراتِ تدورُ

فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصير

وقول أبى العتاهية :

أتته الخلافةُ منقادة اليه تجررُ أذيالها

ولم تكُ تصلحُ الاَّ لهُ ولم يكُ يَصلحُ إلا لها

ولو رامها أحدٌ غيره لزلزلتِ الأرضُ زلزالها

وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وانى واسماعيل يومَ وفاته لكالغمد يوم الروع فارقهُ النصلُ

فان أغش قوماً بعده أو أزورهم فكالوحش يدنيها من الاَنسِ المحل

الأنس جمع مثل خدم . وقول بعض الاعراب فى معن بن زائدة :

أنتَ الجواد ومنك الجودُ أوله فان فُقدتَ فما جودٌ لموجود

أضحت يمينك من جودٍ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجود

من نور وجهك تضحى الأرضُ مشرقةً ومن ثنائك يجرى الماءُ في العود

وقول البحترى :

وقد قلتُ للمعلى إلى المجد طَرفَهُ دَعِ المجدَ فالفتحُ بنُ خاقان شاغله

صفت مثلَ ماتصفو المدامُ خلاله ورقت كما رق النسيمُ شمائله

والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ماقيل فيه قول أبى تمام :

أناس[1] إذا يدعى نزال إلى الوغى رأيتهمُ رجلى كأنهم ركبُ
من المطريينَ الأولى ليس ينجلى بغيرهم للدهر صرفٌ ولا كرب[2]
جعلتَ نظام المكرمات فلم تدر رحا سؤددٍ إلا وأنت لها قُطب
إذا افتخرت يوماً ربيعةُ أقبلت مجنبتى مجد وأنت لها قلب

ومن أجود ماقيل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا
عُريان لا يكبو دليلٌ من عمى فيه ولا يبغى عليه شهودا
شرف على أولى الزمان وإنما خَلَقُ المناسب مايكون جديدا
لو لم تكن من نبعةٍ نجديةٍ علوية لظننتُ عودك عودا
مطر أبوك أبو أهلة وابل ملأ البسيطة عدة وعديدا
ورثوا الابوةَ والحظوظَ فأصبحوا جمعوا جدوداً فى العلا وجدودا
أكفاءة تلدُ الرجالَ وإنما ولد الحتوف أساوداً وأسودا

أخذه السرى فقال فى المهلبى :

نسبٌ أضاءَ عمودُه فى رفعه كالصبح فيه ترفُّعٌ وضياءُ
وشمائلٌ شهدَ العدوُّ بفضلها والفضلُ ماشهدت به الأعداء

وهذا من قول البحترى :

لا أدَّعى لأبى العلاءِ فضيلةً حتى يسلمها اليه عِداهُ

وقلت : قد نلتَ بالرأي والتمييز منزلةً مانالها أخواك البحر والمطرُ
وبالتكرم والافضالِ مرتبةً لم يُعطها خادماك السيفُ والقدر
قالوا أيمطرُ من محل ألمَّ به فقلتُ قد تمطر الانهارُ والغدرُ
مالٌ يبددُهُ فى جمع مَكرُمةٍ فالجدُ مُجتمعٌ والماءُ منتشر
كروضة أخذت بالغيثِ زُخرُفَها فالروض منتظمٌ والغيثُ منتشرُ

---

(١) فى ديوان البحترى « كماة إذا » . (٢) فى نسخة « لزب » وهى الشدائد .

مناقبٌ ما يكادُ الدهرُ يهدمها　　كأنها أُصُلٌ للدهر أو بُكُرُ
فابشر فانك رأسٌ والعلا جسد　　والمجدُ وجهٌ وأنتَ السمعُ والبصر
لولاك لم تك للأيام منقبةٌ　　تسمو اليها ولا للدهر مفتخر

وقلت : هل أنت إلا البدر تم تمامُه　　والغيث باكرَ وبلهُ وسجامُه
والسيفُ أرهفَ للمضاءِ غراره　　والرمح قوَّمَ للقاء قوامه
أنت الربيعُ الغضُّ رقَّ نسيمه　　واخضرَّ روضته وصاب غمامه
خُلق كنشرِ الروضِ طل نباته　　أو مثل صرفِ الراح فُضَّ ختامه
للأولياء رخاؤه ورخاؤه　　وعلى العداة سمومه وسمامه
يامن أدل على الزمان زمانُه　　وزرى على أيامه أيامه
يدنو فيغمرُ كلَّ شيء فضله　　كالخصب يُنعش كل خلق عامهُ
ماان يزال من المآثر والعلا　　فى موكب منشورة أعلامه
عالٍ تسوَّرَ فوق قِمة سؤدد　　أوفى على قمم النجوم سنامه
يبدو فيبدى الصبحُ غُرةَ وجهه　　والليل قد قبض العيونَ ظلامهُ
سبق الجيادَ فما يُشقُّ غبارُه　　وعلا القرينَ فما يُرام مرامه
ولئن أبرَّ على الحسام عزيمةً　　فكما أبرَّ على القضاء حسامه
وكأنما أقلامُه أسيافُهُ　　وكأنما أسيافه أقلامه
ماالمجد الا العقد جودك شذره[١]　　ونداك لؤلؤهُ وأنت نظامه
والجودُ فى يدك اليمين عِنانهُ　　والبأس في يدك الشمالِ خطامه
مازال فوتك فى اللواء موليا　　مولى المخافة خلفه وأمامه
فاعمر على زمن أغر محجل　　قد تمَّ فيك على الورى إنعامه

وقال آخر وأحسن :

---

(١) الشَّذْر : قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة ، أوخرزٌ يفصل بها النظم ، أوهو اللؤلؤ الصغار ـ كما فى القاموس .

كم صغروا منهمُ واللهُ يكلؤهم ... نعماء ماصغرت إلا لأن عظموا

وقال أبو يعقوب الخزيمى :

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرُها ... لكان لها يوم الفخارِ بك الفضل

جريتَ على مهلٍ فأتعبت من جرى ... فلا تعبٌ يدنى اليك ولامهل

ويبذل دنياهُ ويمنع دينهُ ... فلا مثلَ ذا بذلٌ ولامثلَ ذا بخل

وقلت : وقفتُ على يحيى رجائى وانما ... وقفتُ على صوبِ الربيع رجائيا

اذا ماالليالى أدركت ماسمت له ... تمطيت جدواه ففقت اللياليا

اذا غاب جاء المزن في الجود سابقا ... وان آب جاء المزن فى الجود تاليا

إذا الغيثُ باراه ثنى الغيثَ مقصرا ... أو البرق جاراه ثنى البرق كابيا

فتى لم نزنه بالقوافى وانما ... حططنا اليه كي نزينَ القوافيا

من الغرّ لاحوا أشمساً ومضواظبي ... وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا

رأيت جمالَ الدهر فيك مجدداً ... فكن باقياً حتى ترى الدهرَ فانيا

وقلت : في فتية أخلاقُهم وفعالهم ... عِرسٌ تكامل حسنها وعرائس

حلَّ السرور حباهمُ فى مجلس ... للمجد والعلياء فيه مجالس

فهمُ إذا نظروا الصديق كواكبٌ ... زهرٌ وإن نظروا العدوَّ حنادس

أو قيل تلتف الجياد بمثلها ... فهم ضراغم والعداة فرائس

فالليل منهم شامسٌ والصبح منهم دامسٌ والدهرُ منهم وارس

وأظن ابن الرومى سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى ... من الأيدى جميعاً والأمانى

كذاك فوارضُ الثمراتِ تدنو ... لجانيها فتمكن كلَّ جانى

وأخبرنا أبو أحمد عن العبشمى عن المبرد قال أتى شاعر أبا البخترى وهب ابن وهب وكان من أجود قريش كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لـكلِّ أخي فضـلٍ نصيبٌ من العلا   ورأسُ العلا طراً عقيدُ الندى وهبُ
وماضرَّ وهباً عيبُ من جحد الندى   كما لا يضر البدرَ ينبحه الـكلب

فثنى له الوسادة وهشَّ اليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبي البحترى ولا عقب له ولا حل فانكر ذلك مع جميل مافعل به فماتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الاقامة ولا نعين المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلا من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد أحسن من رفد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من عاثر لك يا ابن يحيى   يموتُ الـكاشحونَ وأنت تحيا
على أن المماتَ لـكل حيّ   وقيتَ به من الحدثان محيا

وقال خلف بن خليفة :

ان استجهلوا لم يغرب الحلمُ عنهمُ   وإن آثروا أن يجهلوا عَظم الجهلُ
همُ الجبلُ الأعلى إذا ماتنا كرت   ملوكُ الرجالِ أوتخاطرتِ النزلُ
مواعيدُهم فصلٌ إذا ماتكلموا   بتلك التي أن سُميت وجب الفعل
ألم تر أن القتلَ غالٍ إذا رضوا   وإن غضبوا في موطن رَخُص القتل

وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلا   فضائل آباء تلتها فضائله
فحاز طريفَ المجدِ بعدَ تليده   رفيع يطول النجمَ حين يطاوله
فتى غُرَّةُ الايام ، حسنُ صنيعه   وتبيجانُها أخلاقُهُ وشمائله
وماهو إلا المزن تصفو خلاله   ويملو مبواه ويبكرُ هاطله

﴿ الفصل الثانى من الباب الأول فى الافتخار ﴾

قالوا أفخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناسَ كلهم غضابا

وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتانى منكم بصدر هـذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فمـا كان فيهم مجيب فأدخل أعرابى من عذرة اليه فأنشده :

فان كان منى ما كرهتَ فاننى   أعودُ لمـا تهواهُ والعودُ أحمدُ

فقال عبد الملك أحسنت ولـكن لم تصب ما أردتُ فأنشد :

جزينا بنى شيبانَ قِدماً بفعلهم   وعُدنا بمثل البدءِ والعودُ أحمد

قال لم تصب ماأردت فأنشد :

وأحسن عمرٌو فى الذى كان بيننا   فان عاد بالاحسان فالعودُ أحمد

فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرنى عن أهجى بيت قالته العرب قالقول جرير :

فغضَّ الطرفَ انك من نميرٍ   فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

ولو وضعت فقاحُ بنى نميرٍ   على خُبثِ الحديد إذاً لذابا

قال فأخبرنى عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

ألستم خيرَ من ركب المطايا   وأندى العالمينَ بُطونَ راحِ

قال فمـا أفخر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم   حسبتَ الناس كلهمُ غضابا

قال فمـا أغزل بيت قالته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيونَ التى فى طَرفها مرض [1]   قتلننا ثم لم يحيـينَ قتـلانا

يَصرعنَ ذا اللب حتى لا حَراكَ بهِ   وهُنَّ أضعفُ خلق الله أركانا [2]

---

(١) وفى رواية « حور » .   (٢) فى هامش النسخ « انسانا » اشارة لنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم تَرَ أنَّ جِعْثِنَ وَسْطَ سعد تُسمى بَعدَ قِصتها الرحابا [(١)]

ترى برَصاً بأسفل [(٢)] إسكتيها كعنفقةِ الفرزْدَق حينَ شابا

قال فما أهجن بيت قيل قال قول جرير :

طرقتك صائدةُ القلوبِ وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أرَ شعراً أرق في الوزن ولا أملأ للفم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في هذا العام له وأضاف عبد الملك اليها مثلها وكتب إلى عامله باليمامة أن ينصف من خصم تظلم منه .

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأثنيتُ جاهداً وان عدتمُ أثنيتُ والعودُ أحسن [(٣)]

وقال ابن المعتز أوغيره :

خليليَّ قد طاب الشرابُ المبرَّدُ وقد عُدتُ بعدالنسكِ والعودُ أحمد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بنى سعد على عبد الملك بن مروان فقال له ممن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غَضبتْ عليك بنو تميم حسبتَ الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

---

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدركناها من النقائض .

(٢) في النقائض (بمجمع) مكان (بأسفل) . (٣) لعله «أحمد» .

ثياب بنى عوف طهارى نقية   وأوجههم عند المشاهد غران

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيك ماظلمت قريع   بأن يبنوا المكارم حيث شاؤا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم همُ الأنف والأذنابُ غيرهمُ   ومن يسوّى بأنف الناقة الذنبا

قال اجلس لاجلست والله لقد خفت أن تفخر عليّ .

وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

ترى الناسَ ماسِرنا يَسيرونَ خلفنا   وان نحنُ أومأنا الى الناس وقّفوا

ورواه لنا أبو على بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الاشارة إلى خلف والايماء إلى قدام، والناس يجعلون هذا البيت لجميل فى قصيدته التى يقول فيها :

وكانت تحيدُ الأسدُ عنا مَخافةً   فهل يقتلنى ذو بنان يطرفُ

لقد أخلفت ظنى وكانت مخيلة   وكم من مخيل يرتجى ثم يخلفُ

إذا انتهبَ الأقوامُ مجداً فاننا   لنا مغرفا مجدٍ وللناسِ مغرفُ

وضعنا لهم صاعَ القصاصِ رَهينةً   بما سوفَ نوفيه اذا الناسُ طففوا

ترى الناسَ ماسرنا يسيرون خلفنا   وإن نحنُ أومأنا إلى الناس وقفوا

وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى ألشاعرون به   كي يلمسوه [1] وأين اللمس من زحل

وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وأسلس من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم قوله * وكم من مخيل يرتجى ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً فقصرَ دونهُ   فيارُبَّ مظنونٍ به الخيرُ يخلفُ

وما الناس بالناسِ الذين عرفتهم   وما الدار بالدار التى كنت أعرف

وما كلُّ من تَهواه يَهواكَ قلبه   وما كلُّ من أنصفته لك منصف (١)

---

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العسى عن العسى قال من أحسن مامدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشيرتي ... بمهتضم حقي ولا قارع سني

ولا مسلم مولايَ عند جناية ... ولاخائف مولاي من شرماأجني

وإن فؤادي بينَ جنبيَّ عالمٌ ... بمـا أبصرت عيني وماسمعت أذني

وفضلني في الشعر واللب أنني ... أقولُ على علمٍ وأعلمُ ما أعني

فأصبحتُ إذ فضلت مروانَ وابنه ... على الناس قد فضلت خير أبٍ وابن

وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبوهلال وهو لمسكين الدارمي :

ورُبَّ أمورٍ قد بريت لحالهـا ... وقومت من أصلابها ثم رشتها

أقيم بدار الحزم مالم أهن بها ... فان خفتُ من دار هوانا تركتها

وأصلحُ جل المـال حتى حَسبتني ... بخيلاً وان حقٌّ عراني أهنتها

ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ... ولـكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها

إذا قصرت أيدي الـكرام عن العلا ... مددتُ لهـا باعاً طويلا فنلتها

وعوراءُ من قيل امرىء ذي عداوةٍ ... تصاممتُ عنها بعد أن قد سمعتها

رجاء غـد أن يَعطفَ الودُّ بيننا ... ومظلمـة مـنى بجنبي عركتها

غيره : ومالىَ وجهٌ في اللئامِ ولايدٌ ... ولكنَّ وجهي في الكرامِ عريضُ

أصحُّ (١) إذا لاقيتهم وكأنني ... إذا أنا لاقيتُ اللئـامَ مريض

وقلت في معناه :

وخلِّ الجهولَ وبُغضي له ... فاني لبيب أُحبُّ اللبيبا

يصادفُني الضيف طلقاً ضحوكا ... وان كنتُ لم أر بدءا عجيبا

وأستعملُ الحـلمَ مالم أكن ... أصبتُ من الذلِّ فيـه نصيبا

---

(١) في الأصل « أصيح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته　　لقيت من الذل فيه ضروبا

وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان * فان تسألى عنا فانا حلى العلا * ثم قال ليس لقوله * فانا حلى العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمرى لئن بيعت فى دار غربةٍ　　ثيابىَ[1] إذ ضاقت علىّ المآكل

فما أنا إلا السيف يأكلُ جفنه　　له حِليةٌ من نفسهِ وهو عاطل

وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب فى قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :

فان تكُ أثوابى تمزق عن بلى　　فانى كمثلِ السيفِ فى خلق الغمد

ولأبى هفان أيضاً :

تعجبت دُرٌّ من شيبي فقلتُ لها　　لا تعجبى من بياض الصبح في السدف

وزادها عجباً ان رحتُ فى سَمَلٍ[2]　　ومادرت دُرٌّ أن الدرّ في الصدف

فرأيت فى هذا المعنى تكلفا فقلت :

عيرتنى ان رحتُ فى سَملٍ　　والدرٌّ لا تزرى به الصدف

وله أيضا فى هذا المعنى :

يُعيرنى عربى رجالٌ سفاهةً　　فعزيتُ نفسى مصدراً ثم موردا

بأنى مثل السيف أحسن ما يُرى　　وأهيب ما يُلفى إذا هو جُردا

فى ألفاظه فضول لا يحتاج اليها . ومثله فى المعنى قول على بن الجهم أورده في مصراع وهو * والسيف أهيبُ ما يُرى مسلولا *

ولا أعرف فى الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

فقل لزهير إن شتمتَ سَراتنا　　فلسنا بشتامين للمتشتم

ولكننا نأبى الظلامَ ونعتصى　　بكل رقيقِ الشفرتين مصمصم

وتجهلُ أيدينا ويحلمُ رأينا　　ونَشتمُ بالأفعالِ لا بالتكلم

هذا أحسن من كل شيء فى الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

---

(١) في النسخ « ثيابى إذا » . (٢) سمل الثوب سمولاً : أخلق فهو ثوب سَمل .

لقيط بن زرارة :

أغركُ أنى بأحسنِ شيمةٍ بصيرٌ وأنى بالفواحش أخرق
وانك قد ساببتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحش أحذق

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهرى عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل للفرزدق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرىء القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى مَعيشة كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مُؤثَّلٍ وقد يُدرك المجدَ المؤثلَ أمثالى

قيل له فأيها أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حَقيبةِ الرجل

قال فأيها أرق قال قوله :

وما ذَرفت عيناكِ إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشارِ قلبٍ مقتل

قال فأيها أحسن قال قوله :

كأن قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً لدى وكرِها العنابُ والحشفُ البالى

وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

وببئرِ بدرٍ اذ يَردُّ وجوهكم جبريلُ تحتَ لوائنا ومحمد

ومن بليغ [1] الافتخار قول الجحاف :

صبرت سليمٌ للطعان وعامرٌ واذا جَزِعنا لم نجد من يَصبرُ
نحن الذين اذا عُلوا لم يَضجروا يومَ اللقاَ واذا عَلوْا لم يفخروا

وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رأفتى واحاطتى وقد يشتكى منى العداةُ الاباعدُ
وذى تِرَةٍ أوجعتهُ وسبقته فقصر عنى سَعيهُ وهو جاهدُ

(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

---

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتخار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :

تُسائلني هوازنُ أينَ مالي ... ومالي غير ما أنفقتُ مال

فقلتُ لها هوازن انَّ مالي ... أضرَّ به الملماتُ الثقال

أضر به نَعَمْ ونَعَمْ قديماً ... على ما كان من مال وبالُ

المعنى حسن جداً ، وفى الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به فى كثرة العدد قول الأول :

ما تطلعُ الشمسُ إلا عند أولنا ... ولا تغيبُ إلا عند آخرنا

وقول أبي جندب :

فلو نُزاد ألفَ ألفٍ لم نزد ... ولو فَقدنا مثلهم لم نفتقد

وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا فى الجاهلية فاذا أنا بشاب حسن العينين وضيء وبشيخ يسابُّه قال فسبه الفتى ثم ان الشيخ عيره بأن أمه من بني الاصفر فخزى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة الصعبة حتى أخذت بمنكبي الشيخ وهزته وقالت :

سائل وخَلل في إياد بنِ معدّ ... هل كانتِ الرومُ عبيداً لاحد

همُ الربيعُ والسَّنام المعتمد ... والذُّروة العلياءُ والركن الأشد

وأنت حرميٌّ لئيمُ المستند ... عُصارة اللؤمِ التى فيها تلد

فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله المخزومي وسألت عن الشاب فقيل ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فورى حتى آتى مِنَى فاذا رجل على جمل عظيم لا يمر بقوم إلا هجاهم لأ نمر بالأوس والخزرج فهجاهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض فى شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرد بن تميم من هذيل فأمها وقال :

هل ههنا من ولد قرد من أحد ... أعطيهم من رجزي اليومَ وغد

فخرج أبو جندب وهو يقول :

نِعمَ غلامٌ منهمُ جَلدٌ عتد　　انى وربِّ الراقصات في السند

ينفرن من وقع العصىّ والقدد　　انى لذو اليوم وذو أمس، وغد

وابن هُذيل وابن أشياخ معد　　ثم لهم ولهم العدد

فلو نزادُ ألفَ ألف لم نزد　　ولو فقدنا مثلهم لم نفتقد

فارجع إلى معزاك تيساً ذا جيد　　أوفى على رأس يقاع فصخد

قال فحلفت انى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل ＊ الأكثرين حصى والاطيبين ثرى ＊ واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

تُعيرُنا أنا قليلٌ عديدنا　　فقلت لها إن الكرامَ قليلُ

وما قلَّ من كانت بقاياه مِثلنا　　شبابٌ تسامى للعلا وكهولُ

وما ضرَّنا انا قليلٌ وجارُنا　　عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل

وهذه قصيدة فى الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها لشهرتها .

ومن أجود ماافتخر به محدث قول أبى تمام :

لنا جَوْهرٌ لو خالطَ الأرضَ أصبحت　　وبطنانها منه وظهرانها تِبرُ

مقاماتنا وقفٌ على الحِلم والحجا　　وأمردُنا كهلٌ وأشيبنا حَبرُ

اذا زينةُ الدنيا من المالِ أعرضت　　فأزينُ منها عندنا الحمدُ والشكر

ليفخرْ بجودٍ مَن أرادَ فانه　　عوانٌ لهذا الخَلقِ وهو لنا بِكر

جرى حاتمٌ في حَلبةٍ منه لو جرى　　بها القطرُ يوماً قيلَ أيهما القطر

فتى ذخر الدنيا أناسٌ ولم يزل　　لها باذلاً فانظر لمن بقىَ الذخر

ومنها : كماةٌ اذا ظل الكماةُ لدى الوغى　　وأرماحهم حُمرٌ وألوانهم صفر

بخيل لزيد الخيل فيها فوارسٌ　　إذا نطقوا في مسهب خرسَ الدهر

طوى بطنَها الإسآدُ حتى لوانه　　بدالك ماشككتَ فى أنه ظهر

صبيته ما أن تحدثُ نفسها بمـا خلفها مادامَ قدامها وتر
فان ذَمَّتِ الاعداءُ سوءَ صباحها فليس يؤدى شكرها الذئب والنسر
مساع يضل الشعر فى طرق وصفها فما يهتدى إلا لأصغرها الشـعر

وقوله : مضوا وكأن المكرمات لديهم لـكثرةِ ما أوصوا بهنَّ شرائعُ
بهاليلُ لو عاينتَ فَيضَ أكفهم لأيقنتَ أن الرزقَ فى الارضِ واسعُ
وأى يدٍ في المجدِ مُدَّتْ فلم تكن لهـا راحةٌ من جودهم وأصابع
أصارت لهم أرضَ العدوِّ قطائعا نفوسٌ لحدِّ المرهفاتِ قطائع
اذا ماأغاروا فاحتووا مالَ معشر أغارت عليهم فاحتوتهُ الصنائع
فيعطى الذى يعطيهم الجود والقنا أكف لارث المكرمات موانع
يمدون بالبيض القواطع أيديا وهنَّ سواء والسيوف القواطع

وقلما تجد فى الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليليَّ باعُ الدهر بالعرفِ ضيقٌ على كل ذى عقل وبالنكر واسعُ
وواقع نعماه عن الحرِّ طائر وطائر بلواه على الحر واقعُ
متى مايصبنى بالقوارع طرفهُ أصابته هماتى وهُـنَّ قوارع
وهماتُ مثلى للخطوب جوالبٌ كما أنهنَّ للخطوب دوافع
تريك اشـتعالاً بالنجوم طوالعاً وهُنَّ إذا لاحت نجومٌ طوالع
وتزرى على البيضِ الطوالع ان مضت وهن على العلات بيضٌ قواطعُ
تخافنىَ الأيام فهى تخيفنى وللنكس تهـديدٌ إذا ريع رائع
ولو كن في عينى لمـا قذيت بهـا فكيف ترى أنى إذا صلنَ خاشع
أتطلعُ منهـا فى ديارى طوالـعٌ بسوءٍ وهماتى عليها طـلائع
يقارعُ منى باسـلاً ذا حفيظة يقومُ ازاء النصر حـين يُقارع
فـتى بأتمِّ الفضـلِ ليس بقانعٍ ولـكن بأدنى بُلغة العيشِ قانع
فـما صحبتـه للأنام صنيعـةٌ ويصحبهم منـه وفيـه صنائع

ولم يتواضع فى مصاداة منـــة وكل مصادى منـهِ متواضع

له شرفٌ فى آل ساسان باذخٌ وذكرٌ بأطراف البسيطة شائع

إلى أن قلت : تؤدِّبهُ الايامُ حين تَضرهُ وكم ضَررٍ المرء فيـه منافعُ

وما ضاعَ مثلى حيثُ حلت ركابهُ بلى حيثُ ضاعَ المجد مثلى ضائع

ومثـلى مخضوعٌ له غـيرَ أنه إذا كان مجهولَ الفضائلِ خاضع

ومثـلىَ متبوعٌ على كل حالة فان ينقلب وجـهُ الزمانِ فتابع

وقال ديك الجن [1] يفتخر بكلب :

كلبٌ قبيلى وكلبٌ خيرُ من وَلَدت حواءُ من عرب غُرٍّ ومن عجم

وعـــيرتنا وما ان طلَّ را ؟ كل وحــدك والدين لم يرم ؟

غـلاة موتة والاشراكُ مكتهـلٌ والدين أمرد لم ييفع فيحتـلم

ان تعبسى لدمٍ منا مُهريقَ بها فقـد حقنا دمَ الاسـلامِ فابتسمى

أقعد وقم عالماً ان لو تطوقها بغـير أحـدَ لم تقعـد ولم تقـم

أقام حصن عليهم حصن مكرمـةٍ يرتج طوداه من نعمى ومن نقم

إذا غـدت خيلهم تستنجد المطى ؟ لنجدة عدت الآجال فى الُحوَم

كم عرّضوا أيدياً بيضاً مُكرَّمةَ للعدم من طولِ ما انتاشوا من العدم

أسـديرون الردَى المفضى بأنفسهم إلى الثرى عمراً يُفضى إلى الهـرم

وقال الحمانى :

ونحنُ سَننا الصبرَ فى كل مَوطن وحطت مساعينا على حطط الفخر

وقال : بنا يستشار العز عن مستقره وعن سخطنا تدنى ألوف المتالف

وقال ابن المعتز :

فقرى فتىٌّ وشبابى كهلُ و كلُّ فضل لى عليه فضلُ

أشـكى لجودى حين يشـكى البخل

---

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلبي ، من الشعراء المجيدين فى العصر العباسى.

وقرأت لقابوس بن وشمكير (١) الختلى (٢) رسالة فى الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهى : الانسان خلق ألوفا وطبع عطوفا فما بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لغيثه مخيلة ولا نحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يلينه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق (٣) من صفاقة الدهر حجر (٤) بنوه فقد نبا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذى يعد الوهم فهما وهذا التمييز الذى يحسب الجهل علما وهذا الرأى الذى يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رعاية الحقوق وماهذا الاعراض الذى صار ضربة لازب والنسيان الذى أنساه كل واجب أين الطبع الذى هو للصدو رصدود وللتألف ألوف ودود وأين الخلق الذى هو في وجه الدنيا البشر وفى مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذى يجلى به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمتثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له فى الانقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجفوة أجدبت وكيف يستغنى عمن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالى والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجده فى مراصدها وكيف يعرض عمن تعرض رفاهة العيش باعراضه وتنقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر فى عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه أوضاح الثريا بل كيف يهوّن من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل تراكيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخمد ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

---

(١) فى النسخ (وشيمكر) . (٢) لعله (الجيلى) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشيء . (٣) لعلها مقحمة (٤) في نسخه « مجن » .

والسفر وســد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع ألسنة الرعود بسيف الوعيــد و نظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الارض سطوة الزلازل وقضى مايراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمعرض الانسان وكحل العيون بصور الغيلان وأنبت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنابذة من هذه صورته خبال وأن من له هذه المعجزات يشترى رضاه بالنفس والحيــاة ومن يأتى بهـذه الآيات يبتغى هواه بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بحبل كان بهيا لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل ظليل ظلّ صريعاً لاعصمة له ولم لا يسترد عازب الرأى فيعلم أنه مالم يعاود الصلة مأفون ويستعيد غائب الفـكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقــدر أن الاستغناء عنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء علىّ هو البلاء والبــلى ويخال أنه مكتف بمـاله وعرضه ومتعزز بسمائه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافى وعمل الرماح بالأسنة دون العوالى، ليس إلحاحى على سيدى مستعيداً وصاله ومستصلحا بالالحاف خصاله وعدى عليــه هذه العجائب لاستمالته من جانب الى جانب لأنى ممن يرغب فى راغب عن وصلته أو ينزع الى نازع عن خلتــه أو مؤتل حالا عند من ينحت أثلته[1] ومقبل بوده على من لا يجعــله قبلته فانى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لمـا وضعت عليها جانبا وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتى لمـا رفعت اليها طرفا ولـكنى أكره أن يعرى نحره من قلادة الحمد ويجنب جنبيه أكليل المجد ويظل وجــه الوفاء بقبضه على يده مسودا ور كن الاخاء بفته فى عضده منهدا ولا يعجبنى أن يكسو ضوء مكارمه كاف الخمول ويأذن لطوالع معاليه بالافول فان فضل سيدى الخمود على الوجود والعدم على الوجود ونزل من شامخ الى خفض ومن حالق الى دحض وجاهر بهجره وأصر على صرمه ومال إلى الملال ولم يصل نار الوصال حللت عنه معقود خنصرى وشغل عن الشغل به

(١) سقط من النسخ « أسلته » .

خاطرى بل محوت ذكره من صفحة فؤادى وأعددت وده فيما سال به الوادى :

وفي الناس ان رثّت حبالُك واصلٌ ... وفى الارضِ عن دارِ القلى مُتحوّل

وفى بعض ألفاظ هذه الرسالة تكلف إلا انى أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يَفتقر منا يَسلّ حُسامهُ ... ومن يَفتقرمن سائرِ الناس يَسألُ

وقال ابن المعتز [1] :

سألتكما باللهِ ماتعلمانني ... ولا تكتما شيئاً فعندكما خبرى

أأرفعُ نيرانَ القرى لعفاتها ... وأصبرُ يومَ الروعِ فى ثغرة الثغر

وأسألُ نيلاً لايُجادُ بمثلهِ ... فيفتحهُ بشرى ويختمه عذرى

ويارُبَّ يومٍ ما توارى نجومهُ ... مددتُ إلى المظلوم فيه يدَ النصر

وقال : وقمت الى القوم الصفايا بمنصلى ... فصيرتها مجداً لقومي وأحسابا

وأنشدنا أبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر لعبدالعزيز بن زرارة [2] :

قد عشتُ فى الدهرِ أطواراً على طُرُقٍ ... شتى فصادفتُ فيه اللينَ والقطعا

لايملأُ الامرُ صدرى قبلَ موقعهِ ... ولا يضيقُ به ذَرعى إذا وقعا

كُلاً لبستُ فلا النعماءُ تبطرنى ... ولا تخشعتُ من لأوائها جَزعا

وسألنى بعض أدباء البصرة فقال ماأدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت قول الأُقَيْبِل القينى :

إذا لم أجد بُداً من الأمرِ خلتنى ... كأنَّ الذى بأبى علىَّ يَسيرُ

فقال ماعدوت مافى نفسى . ومثله قول أبى النشناش :

على أىّ شيء يصعبُ الامر قد ترى ... بعينك ان لابدَّ أنك راكبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ، أولع بالشعر ونبغ فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع فى زمن معاوية ، قتل فى احدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتى العرب .

وفى ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت فى معناه :

علامَ تَستصعبُ الأمــــرَ لاترى منهُ بُدا
بادر وخــلِّ الهوينا وجــدَّ كيما تجــدا
فلن تلاقىَ جــداً حـتى تلاقىَ كدا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفى فى العظام بقيةٌ ولاالسيفُ أسوى وقعه من لسانيا

وهي من قول حسان * ويبلغ مالا يبلغُ السيفُ مذودى *

وقلت : ولى لسانٌ إذا أطلقته عُرضا سمى مساعىَ ضرغامٍ وثعبان
وقد نمتنى أمجادٌ جحاجحةٌ من نجل ساسان تزهو نجل ساسان
همُ الـكواكبُ فى أطرافِ داجية أو العنان على أثباج أعنانِ
قومٌ إذا ما أتوا بالسوءِ ما اعتذروا ولا يمنونَ إن منوا باحسانِ

وقلت : من يكن صائلاً بمثلِ لسانى لم يضرهُ أن لم يَصُلْ بسنانَ

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لوكان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الـكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حازهؤلاء شرف اليوم وغد لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجازت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً تحل به السحاب في كل مغدى ومآب .

ومن جيد الافتخار قول مبشر بن هذيل الشمخى :

ألم تعلمى ياعَمركِ الله أننى كريمٌ على حين الـكرامُ قليل
وانى لا أخزى إذا قيل مُملقٌ جوادٌ وأخزى أن يُقالَ بخيلُ
فان لم يكن عظمى طويلاً فاننى له بالخصال الصالحاتِ وصول
وإن أكُ قَصْداً في الرجالِ فاننى إذا حلَّ أمرٌ ساحتى لجليل

إذا كنتُ فى قومٍ طوالٍ فضلتهم ... بعارفة حتى يُقالَ طويل
ولا خيرَ فى طولِ الجسوم وعَرضها ... إذا لم تَزِنْ طولَ الجسومِ عقول
ولم أَرَ كالمعروفِ أمَّا مَذاقهُ ... فحلوٌ وأما وجهُهُ فجميل

وقلت: غنايَ غنى نفسي ومالي قناعتي ... وكنزيَ آدابي وزيِّي عفافيا
وفخريَ إسلامي وذخرى أمانتي ... وجنديَ أشعاري وسيفي لسانيا
ولى عزماتٌ كالسيوفِ قواضبا ... إذا عَنَّ خطبٌ والحتوف قواضيا
وتغشى صدورَ النائبات صدورُها ... كما غشيت سُمرُ العوالى التراقيا
ألا لا يذمّ الدهرَ من كان عاجزاً ... ولا يعذل الاقدارَ من كان دانيا
فمن لم تبلغهُ المعالىَ نفسُه ... فغير جديرٍ أن ينالَ المعاليا

ولا أعرف فى افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم [١] :

ونحنُ الحاكمونَ إذا أُطعنا ... ونحن العازفونَ إذا عصينا
ونحنُ التاركونَ لما سخطنا ... ونحن الآخذون لما رضينا

وقد أحسن ابراهيم بن العباس فى قوله :

إمّا تريَني أمامَ القوم متبعاً ... فقد أرى من وراء [٢] الخيل أتبع
يوما أنيخُ فلا أدعى على نشب ... واستبيحُ فلا أبقى ولا أدعُ
لا تسألي القومَ عن حيّ صحبتهمُ ... ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا

وقال: أميلُ مع الذمامِ على ابن عمى ... وأقضي للصديق على الشقيقِ
أفرقُ بين معروفى ومنى ... وأجمع بين مالى والحقوق
فاما تلفنى حُراً مطاعا ... فانك واجدى عبدَ الصديق

وهذا من قول الأول :

---

(١) فى الاصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة. وهو صاحب المعلقة المشهورة، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها، مات قبل الاسلام بنحو نصف قرن. (٢) فى الأصل « ورائى ».

وإنى لعبدُ الضيفِ مادامَ ثاويا   وما فيَّ إلا ذاكَ من شيمة العبدِ

وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل فى الافتخار قول الآخر :

أبنى حنيفة أحكموا سُفهاءَكم   إنى أخافُ عليكمُ أن أغضبا

قوله * أخاف عليكم ان أغضب * بليغ فى الوعيد وفى دلائل القدرة على مايسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهددفيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل والاسر والنكاية لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابى قوما فقال : مانالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا وطئناه بأخامص أقدامنا وان أقصى مناهم لأدنى فعالنا . وقال أبو دلف العجلى :

وكن على الدَّهرِ فارساً بطلا   فانما الدهرُ فارسٌ بطلُ

لابُدَّ للخيلِ ان تحولَ بنا   والخيلُ أرحامنا التى نصلُ

فمرةً باللجين ننعلها   ومرةً بالدماء تنتعل

حتى ترى الموت تحتَ رايتنا   تطفأ نيرانُها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول فى التهانى ﴾

لم تكن من الاقسام التى كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام الشعر فى الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبب والمراثى حتى زاد النابغة فيها قسما سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فانه قد أجاد القول فى صنوفه وأحسن وأبلغ ولم يذر لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو فى هذا النوع النابغة الثانى . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب[1] الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عندالعلماء معدود فى جملة المديح مثل قول أبى الصلت الثقفى يذكر سيف بن ذى يزن واتيانه بالفرس ومحاربته بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقا ... فى رأس غمدان دار منك محلالا
تلك المكارمُ لاقعبانَ من لبن ... شيبت بماء فعادت بعدُ أبوالا[2]

أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... فى شاذ مهرودع غمدانَ لليمن
فأنت أولى بتاج الملكِ تقصدُهُ ... من هوزة بن علىّ وابن ذى يزن

ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازلت مبشر أعياد وتطويها ... تمضى بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة[3] الدنيا وبهجتها ... أيامها لك نظمٌ فى لياليها
العيد والعيــد والأيام بينهما ... موصولةٌ لك لاتفنى وتفنيها
ولاتقضتْ بك الدنيا ولابرحت ... تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصرُ والأيامُ مقبلةٌ ... اليك بالفتح معقودٌ نواصيها
أمست هرقلةُ تدمي من جوانبها ... وناصرُ الملكِ والاسلامِ مدميها
ان الخليفةَ سيفٌ لايجردُهُ ... إلا الذى يملك الدنيا وما فيها
ماقارعَ الدين والدنيا عدوهمـا ... بمثل هارون راعيته وراعيها

وقلت : ما لليالى والأيامِ منقبةٌ ... غراءُ تسمو بها إلا مَساعيـكا
ربى يبقيـك ماتهوَى على فرح ... كما يلقيك ماتهوَى ويعليـكا
لألف فصل لهذا الفصل تبلغـه ... باليمنِ والخيرِ تباليهِ ويثميكا
ولاتزالُ لك الأيامُ موطأة ... تمضى قضاياكَ منها فى أمانيـكا

---

(١) فى الاصل « ينتسب » . (٢) فى الاصل « شيبابماء فعادابعدأبوالا » .
(٣) في النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ماقيل في التهنئة بالنوروز قول هارون بن عليّ لعلي بن محمد الحواري :

عليُّ ياذا الجودِ والمعالي يامعدنَ الانعامِ والافضال
يامن به نيطت عُرى الآمال فحكم الآمالَ في الاموال
جودٌ بلا منّ ولا اعتلالِ مبتدأ يُغني عن السؤال
قابله النوروزُ بالاقبالِ ونِعَمٌ تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوالِ شبهك في تصرُّفِ الاحوال
فليلهُ أزهرُ ذو اشتعالِ كأنه وجهك في الجمال
وصبحهُ بالمال ذو انهمال يحكي ندى كفك ذاالأسيال

جرى بماء وجرت بمال

ومنها : قولٌ غدا يوفي على الأقوالِ كمثل ما توفي على الرجال
فاشتبهَ ألاجوادُ بالبخال وعدت(١) مسروراً رضي البال
في نعمةٍ ضافية الاذيالِ بعزٍّ ذي العزة والجلال

وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن بليل :أنا ،وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم تزل تجري لهم السنة (٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالاهداء اليهم وقبول ماأهدوه منهم ليعرف ، مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحطّ عن منزلته وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول مايهديه اليه و كل يهدى على قدر بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه ومايحويه ملكه وتبلغه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى مايقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتى مع الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لازالت من الله نعمةٌ تجدِّدُها الأيام عندك والدهرُ
ولازالت الأعيادُ تمضى وتنقضى وتبقى لنا أيامُك الغُررُ الزُّهر
فانك للدنيا جمالٌ وزينةٌ وإنك للأحرار ذخرٌ هو الذخر
رأيت الهدايا كلها دونَ قدرِه وليس لشيء عند مقداره قدر
فلا فضلَ إلا وهو من فضل جُوده ولا برَّ إلا دونَهُ ذلك البرُّ
فأهديتُ من حَلْيِ المديح جواهراً منصلةً يزهي بها النظمُ والنثر
مدائح تبقى بعد مانفد الدهر وتبهى بها الأيامُ مااتصل العمر
شكرتُ لاسماعيل حُسنَ بلائه وأفضل ماتجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن عفان قال دخلت على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه كتابك وشعرك الى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا حاضر الى الحسن بن مخلد: أيها السيد النجيب عشت أطولَ الاعمار في زيادة من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لاتقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ماقبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة فى هذا اليوم والتمست التأسى بهم فى الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهى لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى الى كرائم مالى فوجدتها منك فكنت ان أهديت شيئاً كمهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه بشكرك وفرغت الى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين وانى ان جعلتهما هديتى لم أجدد لهذا اليوم براً ولالطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على مالم تبلغه الطاقة ولم أسلك[1] سبيلا ألتمس بها ماأعتد به فى مجازاتك الاوجدت فضلك قد سبقنى اليها فقدم لك الحق وأحرز لك السبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك تفى مايجب لك والعذر فى العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أُهدِ نفسى فهو مالكها ... ولهُ أصونُ كرائمَ الذُّخرِ

او أهدِ مالاً فهو واهبهُ ... وأنا الحقيقُ عليه بالشكر

أو أهدِ شُكرى فهو مُرتهنٌ ... بجميلِ فعلك آخرَ الدهر

والشمسُ تَستغنى إذا طلعت ... أن تستضىء بسنة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبى طاهر هذه المعانى بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين فى هذا الباب نظيراً فى رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميد أكثرهما معانى.

وأول من افتتح المكاتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندى فى طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حقٌّ فهو لاشكَّ فاعلهْ ... وإن عَظُمَ المولى وجلت فضائله

ألم ترنا نُهدِى إلى اللهِ مالَهُ ... وإن كان عنهُ ذاغنىً فهو قابله

ولو كان يُهدَى للقليل بقدرِهِ ... لقصر عن البحر عنك ونائله

ولكننا نُهدى إلى من نُجلهُ ... وإن لم يكن في وُسعنا مايُشاكله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعانى وكتب إلى ابن صالح بن يزداد : النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدى لك فى هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن نخليه من سننه[2] فنكون من المقصرين أو ندعى أن

---

(١) في الاصل «أسألك» . (٢) في النسخ مهملة من النقط .

في وسعنا مايفى بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقتصرنا على هدية تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهى الثناء الجميل والدعاء الحسن فقلت : لازلت أيها السيد الكريم دائم السرور والغبطة في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب للمعتصم : النفس لأمير المؤمنين والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقيه من كلام أحمد بن يوسف ، والدعاء الذى فى آخره لعلى بن عبيدة الريحانى لم يزد سعيد بن حميد فيه شيأ .

وأحسن ماسمعت من الدعاء قول على بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسرَّه وأطوله وملأه من العز أمدَّه وأكمله وألبسه من الانعام أسبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عباد فصول فى التهانى قليلة النظير منها ما كتب يهنىء بالوزارة : انا أهنىء أطال الله بقاء سيدى الوزارة بإلقائها الى فضله مقادتها وبلوغها فى ظله ارادتها وانحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من كفايته بغرة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر اليها حتى قرت لديه قرارها وأثقبت بيديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقا من استشراف أيادى النقص لها وحرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو فهى وليدة ذراه قد آلت لاتخطت خطته وعاهدت لابرحت ساحته فالحمد لله الذى أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون فى ذيول الخيبة ويتسقطون فى فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى وليه بحقين قديم وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الاستاذالربيع الذى يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انفاده وتقديره والأزمان محسودة بانحيازها الى امضائه وتدبيره فما اكتسى الدهر حلة أبهى من حصول عنانه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال آمراً ناهياً سامياً عالياً تتهنأ الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذعيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه فغيثه متشبه بكفه واعتداله مضاه لخلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهاداة بما يحضر ما خلا الكتب التى لايترفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنابه مورودا بالعلم ومتحملا عنه بالغنم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حلله التى استعارها من شيمته ومبدياً حليه التى أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ماا كتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقائه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سعادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والأمل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهناء سيدى الموهبة التى ساقها اليه ومدّ رواقها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولى البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتبائه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدى محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله ميامن أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب فى فصل له يهنىء فيه عضد الدولة وقد ولد له ابنان توأمان: وصل كتاب الأمير بالبشرى التى أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن تسنح موحـدة حتى تيسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان فى قـرن وطلع من النجيبين أبى القاسم وأبى كالنجار أدام الله عزهما طالعا ملك ونجما سعد وشهابا عز وكوكبا مجـد فتأهلت بهما رباع المحاسن ووطئت لهما أكناف المكارم واستشرفت اليهما صـدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الامانى فأجابتـه مصحبة وحمدته حمداً مكافئاً جسيم ماأتاح وعظيم ماأفاد وا كتنفنى من السرور مافسح مناهج الغبطة وسهل موارد وسمت ماورد اتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزعجت قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتمام ماأدناه من الاميرين السيدين من سعادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولاترتقي اليها الافـكار سموا وسلطان تضيق البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما[1] أفضل ماتقسمه السعود وتعلو به الجدود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد الفخر ويرحما صروف الدهر ويقبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .

وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشـير أن آنسها الله وحرسها بذكر مالقاه كرم مولانا ورقاه اليه من مراتب تشريف لاتكمل القرائح لاقتراحها واستدعائها ولاتتسع الخواطر لالتماسها واقتضائها فحمدت الله ولىّ الحمد والشكر وأخذت بالحظ من قوة القلب وانشراح الصدر وسألته أن يطيل بقاء مولانا فى العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاسـتاذ بركة مادرعه من شرف لايرحل مقيمه ولايتحيف عميمه انه فعال لما يريد .

وكتب فى تهنئة بالسلامة من الغرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حمانى عن سماع المكروه إلا فى ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

---

(١) هذه الـكلمة غير منقوطة فى النسخ .

وجدت فى التماسك به بصيرة ولامن ترك التهالك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه عجلا الى خبر البشرى فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ماقوبلت به النعم وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحترى تهنئة للمتوكل ببلوغ المعتز يقول فيها :

يا كالىءَ الاسلامِ في غَفلاته ومقيمَ نَهجيْ حجه وجهادهِ
يهنيك فى المعتزِّ بشرى بَينت فينا فضيلةَ هديهِ ورشادهِ
قد أدركَ الحلمَ الذى أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلادُ ملكك مخبرٌ بقريبِ عهدٍ كان من ميلاده
تمت لنا النعماءُ فيك مُمتعا [1] بعلوِّ همته ووَرْىِ زناده
وبقيتَ حتى تستضىءَ برأيه وترى الكهولَ الشيبَ من أولاده

وقلت فى تهنئة بمولود :

قد زادنى عدد الكرام كريمُ محضٌ صريحٌ فى الكرام صميمُ
عالى المحلة لا يزالُ كأنه للعز قرنٌ والسماك نديم
فلأمره التتميم [2] كيف تصرفت حالاته ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رُزقته حظٌ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهرُهُ بنمائه حتى يكرَّ الدهرُ وهو أروم
إن الهلالَ يصيرُ مدة كاملاً ويهد سد الليل وهو بهيم
وهو الوجيهُ إذا تبدَّى وجههُ وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجهٌ كتنوير الرياض وتحته خلقٌ لحسودِ الرياح وخيم
فلأهله شرفٌ به مُتوطدٌ ولديهمُ شرفٌ أشمُّ عميم
فاقرر به عيناً فان خلالهُ تصفو وتسلسُ أو يقال نسيم

---

(١) فى ديوان البحترى « تمت لك النعماء فيه ممتعاً » . (٢) فى الاصل مهملة .

وحده التصميم حين تلاحقت أقرانه ولشاده التقديم

ومن أعجب ماجاء فى التهنئة والتعزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيد ان عبدالملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشيد ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له : ولد لأمير المؤمنين فى هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبدالملك فقال : ياأمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيد : أهذا الذى زعموا أنه يصنع الكلام مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت فى تهنئة بمولود :

فاستقبل الخيرَ فى نجيب عما يَعيبُ الورى نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ يَملك أبصارَ ناظريه
يعلأها [1] بهجة اذا ما كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقته كاملاً سوياً تكثر علات عائبيه
جنى لذيذ المذاق حُلوٌ يقربُ من كفِّ مجتنيه
وعن قليلٍ يصيرُ شهما يشقى به جد كاشحيه
ألا فعش فى ضمانِ خيرٍ حتى ترى الشيبَ من بنيه

وقلت فى تهنئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه فانك قد فصلتَ بالتبر جوهرا
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلا وطيرتهُ في الأفق نَشراً مُعطرا
هو اليمنُ لم يعدمك محبوبةً دنت ومكروهة شطت وصعباً تيسرا

ومن عجائب المعانى تهنئة لأبى اسحق الصابى مشوبة بالعقد [2] لرجل زوج أمه: قد جملك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما انك لاتتبع الشهوة فى محظور تحله فكذلك لانطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

---

(١) فى الأصل « بملاذها بهجة » . (٢) في الأصل « بالعقربة ».

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة ـ نفس الله لها فى مدتك وأحسن بالبقية منها امتاعك ـ وبين فلان ماعلمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيتها ومشقة فيها تجشمتها وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك بارضائها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأنبت والسلام . قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى علياً وفاطمة عليهما السلام في بيت فردعليهما الباب وقال «جدعَ الحلالُ أنفَ الغيرة» .

وهنأ بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذى له عند خلقه فى الأحوال التى يتصرفون فيها والطبقات التى ينتقلون بينها والمراتب التى يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق حوائجهم فى تصاريف نشوهم الطفولية والايفاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ والاكتهال والانتهاء والكمال وجعل لكل واحد منهم فى كل حد من الحدود وسنٍّ من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة فى السعى والهمة وغاية في الطلب والبغية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محظوطاً من الاضطراب بزيادة فى بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواته منتهاها يناقص سائره وينافى نظائره فيفتضح بالزيادة فى الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته حتى اذا تعالى فى المراتب أمد النهاية وتوافت اليه أقسامه فى الكفاية كمل الله احسانه اليه وأتم إنعامه عليه ولله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذى كساك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع أهل الهوى ماجللك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك فى متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعيا ويستغنى عمن يصحبه حافظاً وجملك بما جمل من صورتك وكمل من اداتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى عنك ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاخطار تستوى معهم فى المجالس الحافلة

وتجرى مجراهم في المشاهد الجامعة مسموعاً قولك اذا قلت مصغى لك اذا نطقت آمناً من انصراف الأبصار عنك لقرب ولادك ونبوّ الاسماع من حديثك لقلة الثقة بسدادك وجارياً مجرى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالمحنة وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه كل واحد منكما من رفد يمده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه من مواليد اليه من ترك ابقائه في السطوة عليه ولو كان عاريا من هذه الكسوة الشريفة والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستصغار القلوب والألسن وبالطمع أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لايحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من حريمه قدرة على مايدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها في جمال غشاك وكمال أتاك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك واستدراراً للمزيد في احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنئة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها تتفاوت بيننا بما يسوء ويسرّ وينفع ويضرّ وبلغنى من نفوذ قضاء الله في شيخك رحمه الله تعالى ماأزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل في زمرة الأموات والله يأسو كلمك ويسد ثلمك وقد فعل ذاك بأن أتاح الله لك بعد أبيك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً وإيثاراً لك وبراً وقد لعمرى وفقت حين وصلت بحبلك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها الله ظله لئلا تفقد من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل مجتمعا بعد فراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك مواد الوحشة ويكفيك ثواب ماقضيته من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .

وكتب تهنئة بقدوم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاءها وزادها محاسن ترفل في حللها وتتبختر في حليها واكتنفها بميامن يمرع جنابها ويفتح بالخيرات أبوابها مااستأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة في

تقريب ركاب مولانا أطال الله بقاءه وكبت أعداءه وكب حساده وزادهم رغماً بزيادته تعالى إياه نعماً لايرحل مقيمها ولا يتحيف عميمها مااختلف العصران وتعاقب النيران واستقبل به فى وفدته ماينقاد له أقصر الاسار ويحتوى عليه أربعة غايات الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لايبلغ نداه ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستغرق نعمهُ ويستوفى فواضله وقسمه وأنى ذلك وهى متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية لايتخطى إلى شكر بعضها إلا يتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها والحمد لله الذى أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلا وأوجب به مزيدا والصلاة على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿كتاب المبالغة﴾

في أوصاف خصال الانسان المحمودة من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الثانى من كتاب ديوان المعانى ﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قالته العرب قول مسلم ابن الوليد [١] :

---

(١) هو الملقب بصريع الغوانى، تأدب فى الكوفة وعظم شأنه في الشعر، مات بجرجان .

يجودُ بالنفس إن ضَنَّ الجوادُ بها   والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ

وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة[١] :

تجودُ بنفسٍ لايجادُ بمثلها   فأنتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله عند العطاء فقد جاد بنفسيه كلتيهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه وإن لايكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم[٢] :

طلبت هديةً لك باحتيالي   على ما كانَ من حسي ونسي

فلما لم أجِدْ شيئاً نَفيساً   يكونُ هدية أهديتُ نفسي

وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى اليه هدية : لا أعلم بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني انا موقر من بلائه وفي الطاعة له كيده وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما ألطفه من ماله وقد بعثت اليه مايصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذلته وخدمته . وقال أبو تمام :

ولو لم يكن في كفهِ غيرُ نفسهِ   لجادَ بها فليتقِ اللهَ سائلُهْ

وقد أنكر خلف بن خليفة اهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أتانا اخٌ من غيبةٍ كان غابها   وكنتُ إذا ماغابَ أنشدُه الركبا

فقلتُ لهُ هل جئتنا بهدية   فقال بنفسي قلتُ أتحفْ[٣]

هيَ النفسُ لاآسى عليها إذا نأتْ   ولا أتمنى ما حييتُ لها قُربا

إذا هي وافت من ثمانينَ قامةً   فلا السهلَ اقاها الالهُ ولا الرحبا

---

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لامرىء القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ ببغداد وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب عليه فنفاه الى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها .   (٣) كذا في النسخ ولعله سقط «بها التربا» أو نحوه ولم نجدها في الأغاني ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة (١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود من قول زهير * كأنك معطيه الذى أنت سائله * لأن للغنيمة (٢) حلاوة ليست للعطية . وأجود ماقيل عندى قول أبي العتاهية (٣) :

لو قيلَ للعباسِ ياابن محمدٍ   قل «لا» وأنت مخلدٌ ماقالها

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدى حدثنا محمد ابن حبيب ، وعن الصولى أيضاً عن ابراهيم ، بن المعلى عن ابن حبيب قال قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباس ياابنَ محمدٍ   قل «لا» وأنت مخلدٌ ماقالها

إن السماحةَ لم تزل معقولةً   حتى حللتَ براحتيك عِقالَها

وإذا الملوكُ تسايرت فى بلدةٍ   كانوا كواكبها وكنت هلالَها

فلم يثبه فقال :

هززتُك هزّةَ السيفِ المحلى   فلما ان ضربتُ بك انثنيتُ

فيها مِدحةً ذهبت ضَياعاً   كذبتُ عليك فيها وافتريتُ

فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن فى حتفه قال فمر أبو العتاهية باسحق بن العباس فقال لهاسحق أنشدنى شيئاً من شعرك فانشده :

ألا أيها الطالبُ المستغيثُ   بمن لا يفيدُ ولا يَرفدُ

الا تسأل الله من فضله   فان عطاياه لا تنفد

إذا جئت أفضلهم للسؤال   ردَّ وأحشاؤه تُرعد

كأنك من خشيةٍ للسؤالِ   في عينه الحيةُ الاسودُ

---

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدى ، ومعن بن زائدة ، وهارون الرشيد ، توفى سنة ١٨١   (٢) في النسخ «الغنيمة» .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتغل بالشعر ومذاهب الفلاسفة ، ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من لُؤمهم فانى أرى الناسَ قد أصلدوا
وإنى أرى الناسَ قد أبرقوا بلؤم الفعالِ وقد أرعدوا

ثم مضى فقيل لاسحق ماهذا الشعر إلا فى أبيك فقال اسحق أولى له أن عرض نفسه وأحوج أبى العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقعدته . ومثل قوله * كذبت عليك فيها وافتريت * قول على بن جبلة وقال له أبو دلف أنا تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :

أبو دلفٍ كالطبل يَذهب صوتُهُ وباطنهُ خلوٌ من الخير أخربُ
أبا دلف ياأ كذبَ الناسِ كلهم سواى فانى فى مديحك أكذبُ

وأخذ البحترى قوله * كانوا كواكبها وكنت هلالها * فقال فى المتوكل :

اذاغبتَ عن أرضٍ ويممتَ غيرها فقد غابَ عنها شمسها وهلالهُا
غدت بك آفاقُ البلادِ خَصيبةً وهل تمحلُ الدنيا وأنتَ ثمالها [١]

فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال فى عينه الحية الأسود

فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجهُ ليل مظلم وحفيفُ نافحة وكلب موسد
وأخوك محتملٌ عليك ضغينة وخسيفُ قومك لائمٌ لا يَحمدُ
والضيفُ عندك مثل أسودَ سالخ لا بل أحبهما اليك الأسود

ومن جيد ماجاء فى خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامساك قول ديك الجن :

قالوا السلامُ عليكِ ياأطلال قلتُ السلامُ على المحيل مُحال
عاج الشقىُّ مرادُه دِمَنُ البلى ومرادُ عينى قُلة وحِجالُ
لأنادمن [٢] الراحَ وهي زلال ولأطرقنَّ البيتَ فيه غزال
ولأتركن حليلها وبقلبه حُرقٌ وحشوُ فؤاده بلبال

---

(١) فى الأصل «ثمارها» . (٢) فى الأصل (لاغاد من) .

وليشفين (١) حي فم وحي يد وكلاهما لي بارد سلسال
ماذا الغنى والبخل مالك من غنى وكذاك ياذا المال مالك مال
أطلق يديك فان بين يديك ما يرديهما ووراء حالك حال
قد تسلم الأوكال وهي موا كل للترهات وتقتل الأبطال
ورجال هذى النائبات وانبرأوا شططاً من الأيام فهي رجال

وقلت: ماذا يسرك من مال تجمعه أوما يغمك منه اذ تفرقه
ولم يكن لك مال يوم تكسبه لكنه لك مال يوم تنفقه
تحب من أجله الدنيا وتورثها وسوف توبقك الدنيا وتوبقه
سترته عن عيون الناس كلهم ولست تعلم أن الدهر يرمقه
ان لم تبكر اليه فى نوائبه فسوف يطرقه ركضاً فيرهقه

وقد أحسن القائل:

اذا أعجبتك خصال امرىء فكنه تكن مثل مايعجبك
فليس على الجود والمكرمات حجاب إذا جئته يحجبك
هو المال ان أنت لم تخترب أباح لك الدهر مايخربك

وإذا كان أفضل الجود ماكان مع الحاجة على حسب مامدح الله تعالى به الانصار فقال (وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ) وأجود ماقيل قول عروة بن الورد (٢):

فلا تشتمني يا ابنَ ورد فانني تعودُ على مالي الحقوقُ العوائدُ
ومن يؤثر الحقَّ النؤوبَ يكن به خَصاصةُ جسم وهو طيان ماجد

وقال عبد الملك بن مروان ماودِدت ان أحداً من العرب ولدني إلا قائل هذه الأبيات.

---

(١) فى الأصل (ولا يشفى). (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً، قال عبدالملك بن مروان: من قال أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد.

ومن جيد ماقيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبى دهرُنا اسعافَنا فى نفوسنا   فأسعفنا فيمن نُحبُّ ونُكرمُ
فقلت له نعماكَ فيهم أتِمّها   ودَعْ أمرَنا ان المهمَّ المقدَّم

وهذا غاية لأنه جعل أمر الممدوح أهمّ له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ماقيل في جود على قوم دون قوم قول البحترى :

سحابٌ عدانى جودُهُ وهو غامر   وبحرٌ خطانى فيضه وهو مفعم
وبرقٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغربا   وموضعُ رجلى منهُ أسودُ مظلمُ

ومن أجود ماقيل فى كبر الهمة قول بعض العرب :

لهُ هِممٌ لا مُنتهى لكبارها   وهمتهُ الصغرى أجلُّ من الدهرِ
له راحةٌ لو أن مِعشارَ جُودها   على البرّ كان البرُّ أندى من البحر

أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعتْ فى فؤاده هِمم   ملءُ فؤادِ الزمانِ إحداها

وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبى احدى همه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ فى طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجيبتين وضع المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندى وأما تطأطئى في الطاق الكبير فان همتى أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ماقيل فى كبر الهمة قول على بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعب ... وهمتي أكبرُ من قلبي

فاستخر اللهَ وخذ مُرهَفاً ... وافتك بأهل الشرقِ والغربِ

ولا تمت ان حضرت ميتةٌ ... حتى تميتَ السيفَ بالضرب

ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عرقاً في خيلهِ ... أعلم منه بجداء ابله [1]

قد لعبت أيدي النوى بشملهِ ... ممتعاً مضطلعاً بحملهِ

مُنصلتاً كالسيفِ عند سلهِ ... مولودةٌ همتهُ من قبله

قد دانَ ذو الفضل له بفضلهِ ... كالصابِ من يذقه لا يستحلهِ

إلا بأن يسكن تحتَ ظله

وقال : همةٌ تنطحُ النجومَ وجدٌّ ... ألف للحضيضِ فهو حضيضُ

أبلغ ما قيل في يمن النقيبة [2] قول الاعشى :

ولو رحت في ظلمة قادحاً ... حصاةً بنبع لأوريتَ نارا

الحصاة مع النبع لا تورى قال فأنت من يمن نقيبتك لو قدحت بهما لأوريت .

وقال بعض الأعراب :

يذكرني سعداً دعاءٌ بالقرى ... لو أشرف القومُ على أرضِ العدى

واختلطَ الليلُ بألوان الحصى ... وأرسلوا سعداً الى الماء سرى

من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعين وراء شأوه ... الى العلى والمكرماتِ مطرح

قد شح بالعرض وجاد باللهى ... لحوى المجد بما جاد وشح

فاذا همّ بأمرٍ ناله ... فسواءٌ جدَّ فيه أو مزح

---

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقيبة : النفس ، يقال فلان ميمون النقيبة إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا مابدت فيناعطاياهُ عقبت   وكم بادىء الحزنِ غير معقب

ولما يغرره تقلب دهره   فقلت لعلَّ الدهرَ لم يتقلب

ويدنو له المطلوبُ حتى كأنما   كواكب ضوء الصبح في كل مطلب

أبلغ ماقيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :

سأشكرُ عمراً إن تراخت مَنيتي   أياديَ لم تُمنن وإن هي جلتِ

فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ   ولامظهر الشكوى إذا النعلُ زلت

رأى خلتي من حيثُ يخفي مكانُها   فكانت قذى عينيه حتى تجلت

قوله « قذى عينيه » لايقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا قذيت عينه صرف الهمة إلى نقذتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من حيث يخفي مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو فى هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :

إذا ليلةٌ نابتك بالشكوِ لم أبت   لشكواك إلا ساهراً أتململُ

كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى   طُرقتَ به دونى فعينى تهمل

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمى (١) :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالى   أحتفى كان فيها أم سواها

قالوا أربعة من الشجعان تتبين دلائل الجبن فى شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة عنترة (٢) فى قوله :

فاذا شربتُ فاننى مستهلكٌ   مالى وعرضى وافرٌ لم يكلمِ

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى   وكما علمتِ شمائلى وتكرمي

---

(١) هو الشاعر الفارس كان سيدا في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل الفتح وكان ممن ذم الخمر فى الجاهلية .

(٢) هو عنترة بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليما على شدة بطشه اجتمع بامرىء القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلا ... تمكو فريصته كشدق الأعلم

هلاّ سألتِ الخيل يابنة مالكٍ ... إن كنتِ جاهلة بمالا تعلمى

يخبرك من شهد الوقيعة أننى ... أخشى الوغى وأعفُّ عند المغنم

ومدجج كره الكماةُ نزالهُ ... لا ممعن هرباً ولا مستسلم

سبقت يداى له بعاجل طعنة ... ليس الكريم على القنا بمحرم[1]

نبئت عمراً غير شاكر نعمتى ... والكفرُ مخبثة لنفسِ المنعم

ثم قال: إذ يتقون بى الاسنةَ لم أحم ... عنها ولكنى تضايق مقدمى

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنترة هجيناً أمه أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عادتها فى الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ سلاحا وصنع مهراً فأغارت طيء على عبس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه أباه وأمه ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لاانصرف بأهلى وأترك جيرانى فكر عليهم فقتل منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لايحسن العبد الكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلحقه أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنترة يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية تسمى زبيبة وقال النبي ﷺ « ماسمعتُ بأعرابى فاشتهيتُ أن أراه إلا عنترة » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب[2] فى قوله :

ولقد أجمعُ رجلىَّ بها ... حذرَ الموتِ وإنى لفرور

ولقد أعطفها كارهةً ... حينَ للنفسِ من الموت هرير

كل ما ذلك منى خلق ... وبكل أنا في الروع جدير

فقال « وإنى لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لقرور » بالقاف

---

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لايمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله «كل ماذلك مني خلق» على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله «ولقد أجمع رجلي بها» والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على اصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة ان يتقدم وغالب ظنه ان يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك وإنما الشأن في أن يحمد غب إقدامه وفي قريب من ذلك قوله :

فجاشت إليَّ النفسُ أولَ مرة ... فرُدت على مكروهها فاستقرتِ

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلعاء روى لنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدي كرب وخالد بن الصعقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصعقب فحملت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدّث فقال عمرو ياهذا إذا حدثت بحديث فاسمع فانما نرهب هؤلاء المعدية . مسترعفين أي متقدمين ، وقوله حلا أبا ثور أي قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أي لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك مايزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسَّعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :

وادهمَ حببت [(١)] حلبابه ... فياجارتا أنت ماأهولا

فطالبتها بضعها فانثنت ... بوجه تهول واستغولا

---

(١) في النسخ زيادة (قد) قبل (حببت) .

وكنت إذا ماهممتُ اعتزمت ... وأخرى اذا قلتُ أن أفعلا

وقال آخر :

أخو قَفرات حالفَ الجنَّ واتقى ... من الانس حتى ماتقضت رسائله

له نسبُ الانسيِّ يعرفُ نحله ... وللجنِّ منـهُ خَلقه وشمائله

وقال عبيد بن أيوب :

فللهِ درُّ الغولِ أي رفيقـه ... لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر

وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشعر منهم الفرزدق كان يكنى شيطانه أبا لبينى وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل في حلقه فقال قصـيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعـزف *

وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر ... شيطانه انثى وشيطانى ذكر

وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليـلة . ورووا أن لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصـل بين أثر الذكر والانثى والذر اذا دب على الصفا فى الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبى حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليـك . وسأل الحجاج [1] قاصاً عن اسم بقرة بنى اسرائيـل قال حنتمة فقـال له رجل من أولاد أبى موسى الاشعرى في أى كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال اسمع أبياتاً قلتها :

اذا أنتَ لم تنصف أخاكَ وجدتَهُ ... على طرفِ الهجرانِ ان كان يعقلُ

ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيمهُ ... اذا لم يكن عن شَفرةِ السيفِ مزحلُ

ثم دخل معن بن أوس المزنى فأنشد * لعمركَ ماأدرى وانى لأوجلُ * حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ماهـذا ياأبا بكر فقال أنا أصلحت المعانى وهو

---

(١) فى الأصل « الحجاج بن حنتمة » .

آلف الكلام وهو بعد ابن ظُبْرى وما قال من شيء فهو لى وكان عبد الله بن الزبير مسترضَعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة [1] حيث يقول :

وقولى كلما جَشأتْ وجاشتْ　　مكانَكِ تحمدى أو تستريحى

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ماعلمت ابنك؟ فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فانه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة ولقد رأيتني ليلة صفين ومايحبسني إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لى عفتى وأبى بلائى　　وأخذى الحمدَ بالثمن الربيح

واعطائى على المكروهِ مالى　　وضربى هامةَ الشيخ المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت　　مكانكِ تحمدى أو تستريحى

لأدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ　　وأحمى بعدُ عن عرضٍ صحيح

بذى شطب كلونِ الملح صافٍ　　ونفس لاتقرُّ على القبيح

قالوا والذى يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكتيبةِ لا أبالى　　أحتفى كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبلُ هوج ، والذى يدل على أن التثبت والتأنى وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس فى غمارِ الموتِ مُنغمس　　إذا تألى على مكروهه صدقا

غشيتهُ وهو فى جأواء باسلةٍ　　عضباً أصابَ سواءَ الرأس فانفلقا

بضربةٍ لم تكن منى مخالسةً　　ولا تعجلتها جبناً ولا فَرَقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ماقيل في التقدم فى الحرب قول زهير :

---

(١) الخزرجي المشهور .

ليث بعـثر يصطادُ الرجالَ إذا ماالليثُ كذب عن أقرانهِ صدقا
يطعنهمُ ماارتموا حـتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ماضاربوا اعتنقا

وصفه بالتقدم على كل حال . وقال أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين ابن حُمام(١) :

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجد لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومُنا ولـكن على أقدامنا تقطر الدما

ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت يموته شريفاً .

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن على قال قال المهدى لابن داب أنشدنى أحسن ماقيل فى وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه يجر شواء بالعصا غير منضج
دعوت إلى ما نابنى فأجابنى كريمٌ من الفتيان غيرمزلج(٢)
فتى يملأ الشيزى(٣) ويروى سنانهُ ويضربُ فى رأس الـكمىّ المدجج

فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعى وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :

نصلُ السيوفَ إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق

ورأى بعض العرب سيفاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتى إلى الصين .

وأبلغ ما قيل في سعة الخطو فى الحرب قول أبى تمام :

خطوٌ ترى الصارمَ الهندىَّ منتصراً به من المـارنِ الخطىّ منتصفاً

---

(١) هو ابن ربيعة سيد بنى سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ، يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل فى الأغانى أنه ادرك الاسلام .

(٢) مزلج كمعظم : الناقص والدون من كل شىء . (٣) الشيزى بالكسر خشب أسود للقصاع أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ماقيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسٍ لا يجادُ بمثلها   أقلى شكوكا إننى غيرُ مدبر

وأجود ماقيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبى تمـام :

قـلوا ولـكنهم طابوا فأنجـدهم   جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ

إذا رأوا للمنايا عارضـاً لبسوا   من اليقينِ دُروعاً مالهـا زردُ

ناءٍ عن المصرحِ الادنى فليس لهم   إلا السيوفُ على أعـدائهم مـدد

وأجود ماقيـل في وصف الفتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين قول مسلم بن الوليد فى يزيد بن مزيد الشيبانى :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرداً   أو مائلَ الرأسِ أومسترخىَ الطولِ

حاط الخلافةَ سيفٌ من بنى مطر   أقام قائمـهُ من كان ذا مَيل

سـدَّ الثغورَ يزيد بعـد ماانفرجت   بقائم السيف لا بالختـل والحيـل

موف على مهج في يوم ذى رهجٍ   كأنه أجـلٌ يسعى إلى أمـل

ينالُ بالرفق مايعيا الرجالُ به   كالموتِ مستعجلاً يأتى على مهـل

يكسوالسيوف نفوس(١) الناكثين به   ويجعل الهام (٢) تيجان القنا الذبل

يغـدو فتغـدو المنايا فى أسنته   شوارعاً تتحدى الناسَ بالأجل

قد عودَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها   فهن يتبعنـهُ فى كلِّ مرتحـل

إذا انتضى سيفهُ كانت مسالـكهُ   مسالكَ الموتِ في الأبدان والقلل

الزائديُّـون قومٌ فى رماحهم   خوفُ المخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجل

كبيرُهم لاتقومُ الراسياتُ له   حلماً وطفلهمُ فِي هـدى مكتهـل

إسلم يزيدُ فمـا فى الملكِ من أوَدٍ   إذا سلمتَ ولا فى الدينِ من خلل

---

(١) فى هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » اشارةلنسخة فيها كذلك . وهى موافقة لما فى ديوان مسلم.   (٢) في النسخ « الهامة » .

والفخر فمالك في شيبانَ من مثل كذاك مالبنى شيبانَ من مثل
لله من هاشم فى أرضه جبلٌ وأنتَ وابنك ركنا ذلك الجبل

وقوله : سلَّ الخليفةُ سيفاً من بنى مطر يمضى فيخترقُ الاحشاءَ والهاما
كالدهر لا ينثنى عمايهمُّ به قد أوسعَ الناسَ إنعاماً وارغاما
تظلمَ المال والاعداء من يده لازالَ للمالِ والاعداءِ ظلاما
إذا بدا رفع الاستار عن ملك تكسى العيون به نوراً واظلاما
تمضى المنايا لما تمضى أسنته كأن فى سرجه بدراً وضرغاما

وله أيضا :

يلقى المنية فى أمثال عدتها كالسيل يقذفُ جلوداً بجلود
كالليثِ بل مثلهُ الليثُ الهصورُ إذا غنى الحديد غناءً غير تغريد

وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبى تمام :

فما بلّ فى مستنقع الموتِ رجله وقال لها من تحتِ أخمصك الحشرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردَّه عليهِ الحفاظُ المرُّ والخلقُ الوعرُ
غدا غدوةً والحمد نسجُ ردائهِ فلم ينصرف إلا وأكفانُهُ الأجر

أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبتغى اللحدَ ولا أبغى الكفنْ من هاهنا محشرُ عوفِ بن قطنْ

وأجود ماقيل في سكون الجأش في الحرب قول البحترى :

لقد كانَ ذاك الجأشُ جأش مسالمٍ على أنَّ ذاك الزىَّ زىُّ محاربِ
تسرَّعَ حتى قالَ من شهدَ الوغى لقاء عداءٍ [1] أم لقاء حبائب
وصاعقة في كفه ينكفى بها على أروسِ الاقران خمس سحائب

وهذا البيت أجود ماقيل فى معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

---

(١) فى النسخ « أعداء » والوزن لايستقيم بها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبى العيناء قال قال الاصمعى أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الحطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يَعدم جوازِيَهُ   لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس

وقال المحدث فى معناه * ماضاع عرف وان أوليته حجراً * وقال الافوه[1] :

والخير تُزدادُ منهُ ما كفيتَ[2] بهِ   والشرُّ يكفيكَ منهُ قلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيدالله الابرصى :

الخيرُ يبقى وان طالَ الزمانُ به   والشرُّ أخبثُ ماأوعيتَ من زاد

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهرى أخبرنا عمر بن شبة حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بحديث عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شىء ماخلا اللهَ باطلُ   وكلُّ نعيم لامحالةَ زائلُ

وكل أناس سوفَ تدخلُ بينهم   دويهيةٌ تصفرُّ منها الانامِلُ

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهرى أخبرنا أبو زيد حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن عثمان بن مظعون كان فى جوار الوليد بن المغيرة وكان لايؤذى كما يؤذى أصحابه يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم ولبيد ينشدهم * ألا كل شىء ماخلا الله باطل * فقال عثمان صدقت ثم أنشد لبيد رأس البيت * وكل نعيم لامحالة زائل * فقال عثمان كذبت فأسكت القوم ولم يدروا ماأراد ثم أعادثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال لبيد ماهكذا كانت مجالسكم فنزا رجل من قريش فلطم عين عثمان فأحضرت فقال

---

(١) هو صلاءة بن عمرو الاودىّ أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها وسادتها وفرسانها . (٢) وفى رواية « لقيت » .

له الوليد كنت فى ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذى لقيت عينك غنيا فقال بل كنت الى الذى لقيت فقيراً وعينى التى لم تتطلع الى مثل مالقيت صاحبتها فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لا أرب لى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :

ألا تسألان المرءَ ماذا يُحاولُ　　أنحبٌ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ

حبائلُهُ مبثوثةٌ بسبيله　　ويَفنى اذا ماأخطأتهُ الحبائلُ

اذا المرءُ أسرَى ليلة ظنَّ أنهُ　　قضى عملاً والمرءُ ماعاشَ عامل

وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نَرُوحُ ونَغدُو لحاجاتنا　　وحاجةُ من عاش لاتنقضى

وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته العرب قال الناس يقولون ـ كل امرىء فى شأنه ساعى ـ وأنا أقول :

كأن مُقلّا حين يغدو لحاجة　　الى كلِّ من يلقى من الناس مذنبُ

وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليك فى الأكرومتين فانما　　يسودُ الفتى من حيثُ يسخو ويشجع

زرعتُ رجاءً فى ذراك مُبكراً　　وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ

أجود ماقيل فى القناعة قول الشاعر :

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دون حاجة　　فدعها لأخرى لينٌ لك بابُها

وان قرابَ البطنِ يُغنيك ملؤه　　ويكفيك سوآت الأمورِ اجتنابها

أخذه ابن الرومى فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ　　يوماً كذبَ الشهوه

فكل ماشئت يغنيكَ　　عن العذبةِ والحلوه

وطأمن شئتَ يغنيك　　عن الحسناء في الذروه

فكم أنساك ماتهوا　　ه نيلُ الشىءِ لم تهوه

وقال ابن هرمة :

إذا مطمعٌ يوماً غزانى غزوتهُ كتائب ناس كرّها واطرادها
أمصّ ثمادى والمياه كثيرة أعالج منها حضرها وا كتدادها
وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأى ان ترضى النفوس ثمادها

وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبى ذؤيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغبتها وإذا تردُّ الى قليلٍ تقنع

وقد أحسن أبو العتاهية فى قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبدا دون ماترضى بأدنى مالديك

وذمَّ بعضهم القناعة فقال هى خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها مِحالةدون الانطواء على الجوع ولا نكير دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به إلا الأذلاّن عير الحى والوتدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمته وذا يُشجُّ فلا يَرثى له أحدُ

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد فى قوله :

إذا اللئيمُ مطَّ حاجبيه وذادَ عن حريم درهميهِ
فاترك عنانَ البخل فى يديه وقم الى السيفِ [1] وشفرتيه
واستنزل الرزقَ بمضربيه إن قعدَ الدهرُ فقم اليه

وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردَّنى إلى جانب منها يلينُ ويسهل [2]
وأقنعُ لا أن القناعة لى هوى ولكنَّ صونَ العرض بالحر أجمل

وقال ديك الجن :

لاتقم للزمانِ في منزلِ الضيم ولا ترتبطكَ رقةُ حالِ
وإذا خفتَ ان يراهقك العدم فمد بالمثقفات العوالى
وأهن نفسكَ الكريمةَ للموت وقحم بها على الأهوال

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) فى الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للموتُ أجملُ بالحرِّ من العيشِ ضارعاً للرجال
أي ماءٍ يجولُ في وجهك الحرِّ إذا ما امتهنتهُ بالسؤال
ثم لا سيما وقد عصفَ الدهرُ بأهل الندَى وأهل النوال
فقليلٌ من الورَى من تراهُ يُرتجى أن يصونَ عرضاً بمال

وفى المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن دريد أنشدني أحمد بن المعذل[1] لأخيه عبد الصمد[2] :

رأت عدمي فاستراثت رحيلي سبيلك إن سواها سبيلي
يرجى اليسار لها بالقفول لعلَّ المنيةَ قبل القفولِ
لعمر التي وعدتك الثراءَ بجدوَى الصديقِ وبر الخليلَ
لقد قذفتْ بك صعبَ المرامِ واستجملت لك غير الجميل
سأقنى العفاف وأغنى الكفال فليسَ غنى النفس جودُ الجزيل
ولا أتصدى لشكر الجوادِ ولا استعدُّ لذمِّ البخيل
وأعلمُ أن بنات الرجاءِ تحلُّ العزيزَ محلَّ الذليل
وأن ليس مستغنياً بالكثيرِ من ليسَ مُستغنياً بالقليل

قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيته نبي الشعر. وقال البصير :

قلتُ لأهلي وراموا أن أميرهمُ بماء وجهي فلم أفعلْ ولم أكدِ
لا تجمعوا أن تهينوني وأكرمكم ولا تمدُّوا الى نيل اللئامِ يدى
تبلغوا وادفعوا الحاجاتِ ما اندفعت ولا يكن همكم فى يومكم لغد
فربَّ ملتمسٍ ماليس يُدركهُ ومدركٌ ما تمنى غير مجتهد

أبلغ ماقيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فنهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غبرة

---

(١) في الأصل «ابن المعتزل» . (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ في البصرة .

فقالوا لرقيبهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزارة ولا بأس ثم رأوا غبرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلا كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهم أمرى بمنعرجِ اللِّوَى فلم يستبينوا الرشد إلا ضُحى الغدِ
فلما عصونى كنتُ منهم وقد أرى غَوايتهم أنى[1] بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غَزيةَ ان غوت غويتُ وان تَرشُد غَزية أرشُد

وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة فى هذا الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غى وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقته على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبى ربيعة ورُوى لغيره :

وذى ودٍّ أملتُ اليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميعا
أطافَ بغيه ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الامرَ الفظيعا
أردتُ رشادَهُ جَهدى فلما عصى وأبى ركبناها جميعا

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوَّزى :

تنخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولاهشِّ
فلما أبى نصحى سلكتُ سبيلهُ وأوسعتهُ من زور قول ومن غشِّ

وقال آخر :

ألم تعلما يا ابنى رجاجةَ أننى أغشُّ اذا ماالنصحُ لم يُتقبل

ومن جيد ماقيل فى النصيحة قول مخيس بن أرطاة :

عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصحُ مرُّ
ومابى أن أكونَ أعيب يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاق بَرُّ
ولكن قد أتانى أنَّ يحيى يُقالُ عليه فى نقعاء شرُّ

---

(١) فى النسخ « أو أنى غير » .

فقلتُ له تجنبْ كلَّ شيء　　يُقالُ عليك إن الحرَّ حرُّ

ومثل ماتقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إن أخا الصدقِ الذى لن يخدعك　　ومن يضرُّ نفسهُ لينفعك

ومن اذا صرفُ زمانٍ صدعك　　شتتَ شملَ نفسه ليجمعك

وان غدوتَ ظالما غدا معك

فسَّروه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ماقال عمر بن أبى ربيعة « ركبناها جميعا »

وقال ابن ميادة فى النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرِ حزم　　فقلت هشيمةٌ من أهل نجد

نهيتك عن رجال من قريش　　على محبوكةِ الأصلابِ جرد

ووجداً ماوجدتُ على رباح　　وما أغنيت شيئاً غير وجدى

وقال العباس بن جرير :

إرعَ الاخاءَ أبا محمـد الذى يصفو وصنهُ

واذا رأيتَ منافساً　　في نيل مَكرُمَة فكنهُ

ان الصديقَ هو الذى　　يرعاك حينَ تغيبُ عنه

وإذا كشفتَ غطاءَهُ　　أحمدتَ ما كشفتَ عنهُ

مثل الحسام إذا انتضا　　هُ أخو الحفيظةِ لم يخنه

يسعى لما تسعى له　　كرماً وإن لم تستعنه

ومن أبلغ ماقيل فى ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقضِ من صحبةِ زيدٍ أربى　　فتىً اذا نبهتهُ لم يَغضبِ

أبيض بسامٍ وإن لم يعجبِ　　ولا يَضن بالمتاع المحقب

موكل النفسِ بحفظِ الغيب　　أقصى رفيقين له كالاقرب

وهذا خلاف ماقيل ✿ من غاب غاب نصيبه ✿ وقلت فى قريب منه :

بذلتُ من شكرى مالم يبذل لماجدٍ أجملَ إذ لم أجمل

يحمل من ثقلىَ مالم يحمل فمزَّ في عينىَ حين ذلَّ لى

إن جمالَ الحرّ فى التجمل وقد يكونُ العزُّ فى التذلل

والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ماجاء فى هذا النحو قول أوس :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى يلومُكَ إن ولى ويرضيكَ مُقبلا

ولكنهُ النائى إذا كنتَ آمنا وصاحبك الادنى إذا الأمرُ أعضلا

أبلغ ما قيل في التأنى وأجوده وأشده اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفقعسى :

تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول

وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إنَّ هذا الدِّينَ مَتِينٌ فأوغِلْ فيه بِرفقٍ فانَّ المنبتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى » وتقول العرب شر السير الحقحقة ، وهى شدة السير . وقلت فى نحو قول المرار :

وحطّ بها أكوار خوصٍ لواغب يقللُ إكثار الذميل ذميلها

نغض عبرة حلَّ الفراقُ عقالها وأقلقَ هجران الحبيبِ مقيلها

فلا غروَ إن فاضت دموعُ متيمٍ على الدار يسقى ظلهن طلولها

ومن المشهور فى التأنى قول القطامي :

قد يُدركُ المتأنى بعض حاجتهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزللُ

وقال غيره :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدهِ ولم يدر مايلقاه حين يُبادرُ

وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفا مردوداً وكثيراً مايقع « كل » فى الشعر قلق المكان كوقوعه فى بيت ابن طباطبا :

فيالائمى دعنى أغالى بقيمتى فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يُحسنونهُ

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع فى بيت أحسن منه فى بيت أبى العتاهية :

أعلمت عُتبةُ أننى منها على أجل مطل

وشكوتُ ما ألقى اليها والمدامعُ تستهل

حتى إذا برمتْ بما أشكو كما يشكو الأذل

قالت فأى الناسِ تعرفُ ما تقولُ فقلتُ كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فمطبوعٌ ومسموعُ

ولا ينفعُ مسموع إذا لم يكُ مطبوع

أجود ماقيل فى الاختيار قول ابن المعذل أظنه :

إذا لم تَقدحى زَنديْك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

وأول الأبيات :

رأتنا أمُّ عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زريُّ

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

سلى بى تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلجُ بُختريُّ

وانى حين تختلف[1] العوالى الى الابطالِ أكيس قسوريُّ

كلبنى للندَى والبأسِ انى بكل بسالة وندًى حَرِيُّ

ومثله قول الآخر :

زِنى القومَ حتى تعرفى عندَ وزنهم اذا رُفِع الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر تقله) معناه اختبر من شئت تجد دون ماتظنه فيه وتطلع على ماتكره منه فتبغضه ، وليس فى جميع ماقيل في هذا المعنى أبلغ منه ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

---

(١) فى الأصل «يختلف».

دعتني الى فضلِ مَعروفكم وجوهٌ مناظرُها معجبه
فأخلفتمُ ما توسمته وقلَّ حميدٌ على التجربه
وكم لمعة خلتها رَوْضَةً فألفيتها دِمنةً مُعشبه
ظلمتكمُ لاتطيبُ الفروعُ إلا وأعراقها طيبه
وكنت حسبت فلما حسبت عفى على الحساب مع المحسبه
فهل تعذروني كعذريكم بأنَّ أصولكم المذنبه
جزيتُ موازينكم بالسواء وعُذرٌ بعذر فلا مَعتبه

وقد قال الناس : الطمأنينة قبل التجربة حمق ؛ والمثل السائر * لاتحمدنَّ امرأً حتى تجربه * سمعت عم أبي يقول ماسمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد * الشكر كفؤ النعمة * ولا أطرف من قول البحترى * الشكر نسيم النعمة * وأنا أقول لم يسمع أجمع فى الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ماقيل فى الشكر من الشعر قول يحيى بن زياد الحارثى أنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

حلفت بربِّ العيسِ تهوى بركبها الى حرمٍ ماعنه للركبِ معدلُ
لما بلغ الانعامُ في الفضل غايةً تفضلُ إلاغاية الشكر أفضل
ولا بلغت أيدى المنيلين بَسطةً من الطولِ إلا بسطةُ الشكر أطول
ولا ثقلت في الوزنِ أعباءُ منة على المرء إلا منة الشكر أثقل
فمن شكرَ المعروفَ يوماً فقد أتى أخا العرفِ من جنس(١) المكافاة من عل

وقال الآخر : فعلتَ خيراً كثيراً وأنت أكثرُ منه
ونحنُ أكثرُ منه لشكرنا لك عنه

وأجود ماقيل فى عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

---

(١) فى نسخة « حسن » مكان « جنس »

سعيتُ ابتغاءَ الشكر فيما صنعت بى   فقصرت مغلوباً وإنى لشاكر

قوله وإنى لشاكرمع قوله مغلوباً حسن الموقع ، وهو مأخوذ من قول الآخر :

فراق حبيب لم يَبِنْ وهو بائنٌ

لأنك تولينى الجميلَ بداهةً   وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر

فأرجعُ مغبوطاً وترجعُ بالتى   لهـا أولٌ في المكرُماتِ وآخرُ

وقول الآخر :

ولو أن لى في كلِّ منبتِ شعرةٍ   لساناً يبثُّ الشكر فيك لقصرا

وقول دعبل :

هجرُتك لاعن جفوةٍ وملالة   ولا لقلى أبطأْتُ عنك أبا بكر

ولكننى لما أتيتكَ راغباً   فأفرطتَ فى برِّى عجزتُ عن الشكر

فلآنَ [1] لا آتيك إلا معذراً   أزورُك في الشهرين يوماً أو الشهر

فان زدتَ فى برى تزايدتُ جفوةً   فلا نلتقى [2] حتى القيامة والحشر

وقول أبى نواس :

قد قلتُ للعباسِ مُعتذراً   من ضعفِ شُكريه ومعترفا

أنتَ امرؤٌ قلدتنى نعماً   أوهت قوَى شُكرى وقد ضعفا

لاتسدينّ الىَّ عارِفَةً   حتى أقومَ بشكر ما سَلفا

وهو أول من أتى بهذا المعنى إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء الكلام فضل ألفاظه على معانيه . وقال البحترى :

هاتيك أخلاقُ اسماعيل فى تعب   من العلا والعلا منهن في تعب

أدأبتُ شُكرى فأمسى منك فى نصبٍ   اقصر فمالى فى جَدواك من أرب

لأقبلُ الدهرَ نيلاً لا يقومُ لهُ   شُكرى ولو كان مسديهِ إلىَّ أبى

لما سألتك وافانى نداك على   أضعاف شكرى فلم أظفر ولم أخِب

---

(١) أصله « فمن الآن » .   (٢) فى الأصل « نكتفي »

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداهُ باعُ شكرى قصورَ الزجِّ عن زلقِ اللسان
وآمى أن تطولَ يداى منهُ إلى ما لا يُطاوِلُهُ لسانى
كأن ندى يديه عناقُ بين فليس يَسرُّنى إلا شجانى
لهجتُ بذكره لأبينَ عنه فضاقَ بوصفه ذرعُ البيان
حنانى ثقله ولو أنَّ قوساً تلقى منكبيّ لما حنانى
فها أنا منه مفتقرٌ وغانٍ وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحترى :

إنى هجرتك إذ هجرتك وحشةً لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
أخجلتنى بندى يديك فسوَّدت مابيننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتنى بالجودِ حتى أننى متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةٌ غدت فى الناسِ وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راحَ وهو جفاء
ليواصلنك ركبُ شعرٍ سائر يرويه فيك لحسنهِ الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً أبدا كما تمت لك النعماء
فتظلُّ تحسدك الملوكُ الصيد بى وتظل تحسدنى بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرنى سوء رأيك فيَّ فما أهتدى لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تقطعنى من حسن رأيك فأضوى ولا تسقطنى عن حيطتك فأتوى . وقريب من المعنى الأول قول البحترى :

مَنْ مُعينى منكم على ابنِ فُراتِ ومكافاةِ ما أنالَ واسدَى
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقى رجعتنى لَهُ أياديه عبدا

سمعت عم أبى يقول ماسمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن مسمار : ماأدرى النعمة الله فيما بسط علىَّ أفضل أم نعمته فيما زوى عنى لجعل مامنعه نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم فى المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافاقة إلى طولك فليست لى طاقة بما حملتنيه من برك وما أجد لنفسى معقلا ولا أعرف لها متملا إلا فى الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فجبر نقيصته بالاعتراف والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلىّ بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع فى معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل عارض الشمس وتمسك بعنان البدر فآذن بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده ومرور جدده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لى الغناء بصورته وقابلنى بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحت عن ساحتى خطوته وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطمع فى أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص الىّ منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بحقوق الأنواء إذا تحلى بيواقيت الأنوار ولآلىء الأنداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبوجعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه اليها على باب الأصمعى فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال انى سأنزل فى رجعتى الى الاصمعى ثم سيحدثنى ويضحكنى فاذا ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حُباً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار ورآه على مصلى بالٍ وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لايضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعى شيئاً مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسايره من استرعى الذئب ظلم ومن زرع سبخة حصد الفقر إنى والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ماحفلت بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لايكذب ولله درنصيب حيث يقول :

فعادوا فأثنوا بالذى أنتَ أهلهُ ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر فى هذا الفصل من المعانى بما لم يأت به أحدقبله وشرحه شرحاً ليس مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومى فى هذا المعنى فقال :

حال تبيحُ بما أوليتَ من حَسنٍ وكل ماتدعيه غيرُ مردود
كلى هجاءٌ وقتلى لايحلُّ لكم فما يداويكمُ منى سوى الجودِ

وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما يجرى فى باب الشكر وهو من أبدع ماقيل فى معناه ماأنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولى قال أنشدنا أحمد بن اسماعيل الخطيب لنفسه :

وانى وان أحسنتُ فى القولِ مرَّةً فمنك ومن آثارك امتار هاجسى
تعلمتُ مما قلتهُ وفعلتهُ فأهديتُ غصناً من جناى لغارسى

أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهانى :

لا تُنكرن اهداءَنا لك منطقاً منك استفدنا حُسنهُ ونظامهُ
فاللهُ جلَّ وعزَّ يشكرُ فعلَ من يتلو عليه وَحْيَهُ وكلامهُ

وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المكارم ضخمةٍ غادرت فيها ماملكتَ قتيلا
فرأيتَ أكثرَ مابذلتَ من اللهى نزراً وأصغرَ ماشكرت جزيلا

وقد أحسن ابن الرومى :

هاجرتُ عنك الى الرجا ل فكانَ عرفهمُ كنكرك
ورجعتُ من كثب اليكَ مفرغاً نفسى لشكرك
ولما أروم بما أقو ل زيادةً فى رفع ذكرك
لكنه حقٌ أوفيه عوانك بعد بكرك

كم نعمةٍ لك ملء فكــــرى لا تلاحظهــا بفــكرك

(أحسن ما قيل فى الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن ابن الرياشى عن أبيه عن الأصمعى قال قال أبو عمرو أحسن ماقيل فى الصبر قول أبى خراش[1]:

تقولُ أراهُ بعدَ عروة لاهيا وذلك رزءٌ لو علمت جليل

فلاتحسبى أنى تناسيتُ عهدهُ ولـكنَّ صبرى يا أميمُ جميل

وبعـده: ألم تعلمى ان قد تفرقَ قبلنا خليــلا صفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

وقال الأصمعى أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبى ذؤيب:

وتجلدى للشامتــين أريهمُ أنى لريبِ الدهرِ لا أتضعضعُ

حتى كأنى للحوادثِ مروةٌ بصفا المشقر كل يوم تقرع

وقوله: وإنى صبرتُ النفسَ بعدَ ابن عنبس وقد لجَّ من ماء الشؤون لجوجُ

لأُحسبَ جلداً أو لينبأ شامتٌ وللشرِّ بعد القارعات فروج

وأجود ماقاله محدث فيه قول ابن الرومى أنشدناه أبو أحمـد عن ابن المسيب رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي:

أرى الصبرَ محموداً وفيــه مذاهب فكيف إذا مالم يكن عنهُ مَذهبُ

هناك يحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبٌ وما كان منــهُ كالضرورةِ أوجب

فشدَّ امرؤٌ بالصــبر كفــاً فانه له عصمةٌ أسبابها لا تقضب

هو المهرُبُ المنجى لمن أحدقت به مكارهُ دهرٍ ليس عنهنَّ مهربُ

لبوسُ جمالٍ جُنةٌ من شماتــة شفاءُ أسي يثنى به ويثوب

فياعجباً للشىء هــذى خــلالهُ وتاركهُ مافيه من الحظِّ أعجب

وقد يتظنى الناسُ انــ أساهمُ وصبرهمُ فيه طباعٌ مركب

وانهما ليسا كشىءٍ مصرَّفٍ يصرفهُ ذو نكبــة حين ينكب

فان شاءَ أن يأسى أطاعَ لهَ الأسى وان شاء صبراً جاءهُ الصبر يجلب

---

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو، أسلم وعاش الى زمن عمر.

وليس كما ظنوهما بل كلاهما ... لكل لبيب مستطاعٌ مسبب
يصرفه المختار منها فتارةً ... يرادُ فيأتى أو يزادُ فيذهب
إذا احتجَّ محتجٌ على النفس لم يكد ... على قدر مايمنى له يتعتب
وساعدها الصبرُ الجميلُ فأقبلت ... اليها له طوعاً جنائب تجبب
وإن هو مناها الاباطيلَ لم تزل ... تقاتلُ بالغيب القضاء فتغلب
فتضحى جزوعاًان أصابت مُصيبة ... وتمسى هلوعاً إذ تعذر مطلب
فلا يعذرنَّ التارك الصبر نفسه ... بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ماقيل فى ذم الحقد قول ابن الرومى :

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواءَ له ... يبرى الصدور إذا ما جمرُهُ حرثا
فاستشفِ منه بصفح أو معاتبةٍ ... فانما يبرىء المصدورَ ما نفثا
واجعل طلابك بالاوتار ماعظمت ... ولا تكن لصغير الأمر مكترثا

ثم قال يمدحه :

وخيرُ سجيات الرجالِ سجيةٌ ... توفيك ما تُسدى من القرضِ والفرضِ
وما الحقدُ إلا توأمُ الشكر في الفتى ... وبعضُ السجايا ينتسبنَ إلى بعض
فحيثُ ترى حقداً على ذى اساءةٍ ... فثمَّ ترى شكراً على حسنِ القرض
ولولا الحقودُ المستكنات لم يكن ... لينقض وتراً آخرَ الدهرِ ذو نقض

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح فى قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء الخير والشر عندى أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر مظنةالنصر . وقال الآخر : الصبرمطية لاتكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت عم أبى يقول : الصبرشرية تشمرارية[1] وقال * نفرج أيام الكريهة بالصبر * وقال آخر : * وهل جزعٌ يُجدى علىَّ فأجزُع * فجعل الصابر الصبر ضرورة لعلمه أن الجزع غير مجد . وقلت :

---

(١) الشرى : شجر الحنظل و الأرى : العسل .

قالوا صبرتَ وما صبرتُ جلادةً　　لـكن نقلةِ حيلتى أتصبرُ

وليس فى الحيوان شيء أصبر من الحمار والجمل وذلك أنهما يحملان الحمل الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب « أصبر من ذى ضاغط » وهو أن يضغط موضع الابط أصل الـكركرة حتى يدميه . ويقولون :

أصبرُ من عود بجنبيه جلب　　قد أثر البطانُ فيه والحقب

قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن ابان بن عيينة بن حصن :

أصبرُ من ذى ضاغطٍ مُعَرَّكِ　　ألقى يوانى صدره للمَبركِ

ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من القشف واليبس . وقالوا حيلة من لاحيلة له الصبر . وسمعت والدى يقول لعن الله الصبر فان مضرته عاجلة ومنفعته آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة فى العاقبة ولعلها تفوتك لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عمن تحبه صبرُ　　ونفعُ من لامَ فى الهوى ضرر

من كان دون المرادِ مُصطبراً　　فلستُ دون المرادِ أصطبر

منفعة الصبرِ غيرُ عاجلةٍ　　وربما حالَ دُونها الغير

فقم بنا نلتمس ما آربنا　　أقامَ أولم يقم بنا القدر

ان لنا أنفساً تسودنا　　أعانهن [1] الزمان أو يذر

وابغ من العيشِ ماتسرُّ به　　ان عذل الناس فيه أوعذروا

وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها فى الحـلم ماسمعت عم أبى يقول الحليم ذليل عزيز وذلك أن صورة الحليم صورة الذليل الذى لاانتصار له واحتمال السفه والتغافل عنه فى ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحليم مطية الجهول لاحتمال جهله وتركه الانتصاف منه . وقال الأوَّل :

---

(١) فى الاصل «اعانهن من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتمُّ الحلمُ للمرءِ راضياً اذا كان عندَ السخطِ لايتحلمُ
كما لايتمُّ الجودُ للمرء موسراً اذا كان عندَ العسرِ لايتكرمُ

ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذى تصبر عليه وقال الشاعر :

لن يدركَ المجدَ أقوامٌ وان كرُموا حتى يذلوا وإن عَزّوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مُسفرةً لاصفح ذُلٍّ ولكن صفح أحلام

وسمعته يقول الحلم عقال الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع عنه أسبابها وان أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا فى هذا المعنى :

وتخرج نفسُ المرءِ عن وقع شتمةٍ ويشتمُ ألفاً بعدها ثم يَصبرُ

ولاأعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله انى لأرفع نفسي أن يكون ذنبٌ أورثه من حلمي وماغضبي على من أملك أوماغضبي على من لاأملك . يريد انى اذا كنت مالكا للمذنب فانى قادر على الانتقام منه فلم ألزم نفسي الغضب وان لم أكن أملكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسى ولاأضره . وقال الشاعر فى الحلم والاغضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :

مغض على العوراء لو لاالحلمُ غيرهُ انتصارُه

وأسمع بعضهم الشعبيَّ فقال له ان كنتَ صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك . وهذا أعجب ماجاء فى هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل فى الحلم من الشعر ماأخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزمُ نفسى الصفحَ عن كلِّ مُذنبٍ وان كثرت منهُ علىَّ الجرائمُ
وما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثةٍ شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاوم
فأما الذى فوقى فأعرفُ فضلهُ وأتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازم
وأما الذى مثلى فان زلَّ أو هفا تفضلتُ إنَّ الفضلَ بالعزِّ حاكم
وأما الذى دونى فان قالَ صُنتُ عن إجابتهِ عرضى وان لامَ لائمُ

قسم هـذا الشاعر ثم فسر فأحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ماروى في الحلم ماأخبرنا به أبو أحمـد عن رجاله قال جيء قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن أخ له كتيفا وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤٌ لا يعترى خُلُقي ... دَنَسٌ يفـيرُهُ ولا أفنُ

من مِنقر في بيتِ مَكرُمَـةٍ ... والفرعُ ينبتُ فوقهُ الغصن

خطباءُ حـينَ يقولُ قائلهم ... بيضُ الوجوهِ مصاقعٌ لسنُ

لايفطنونَ لعيبِ جارهم ... وهُمُ لحفظِ جوارهم فطن

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ماقيل فى ذلك قول مروان بن أبي حفصة [1] :

ثلاثٌ بأمثـالِ الجبـالِ حباهمُ ... وأحلامهم منها لدَى الوزنِ أثقلُ

وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المتلمس :

لذى الحلم قبل اليوم ماتقرَع العصا ... وما عـلم الانسانُ إلا ليعلمـا

ومن أشرفِ نعوت الانسان أن يدعى حليما لأنه لايدعاه حتى يكون عاقلاً وعالماً ومصطبراً محتسباً وعفوّاً وصافحاً ومحتملا وكاظماً ، وهذه شرائف الاخلاق وكرائم السجايا والخصال . وقد خوالف هؤلاء فقيل فى خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسنٍ ماأقبحَ الجهـلَ بالفـتى ... ولَلحـلمُ أحياناً من الجهلِ أقبحُ

إذا كانَ حلمُ المرءِ عَوْنَ عدوِّهِ ... عليه فانَّ الجهلَ أعفى وأروحُ

وقال غيره :

قليلُ الأذى إلا عن القرن في الوغى ... كثيرُ الأيادى واسعُ الذرعِ بالفضل

ويحـلم مالم يجلب الحـلمُ ذلةً ... ويجهلُ ماشدت قوى الحلم بالجهـل

وقال غيره :

---

(١) في النسخ «حفص» في مواضع .

ترفعتُ عن شتم العشيرةِ اننى　　رأيتُ أبى قد كفَّ عن شتمهم قبلى

حليمٌ إذا ما الحلمُ كان جلالةً　　وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى

وقال غيره : * إذا الحلم لم ينفعك فالجهل أحزم * وقالوا ليس شىء خيراً من الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن ماجاء فيه قول بعضهم :لو أن المسىء لى عبد لأخ لى لرأيت تغمده والصفح عنه إجلالاً لقدر مولاه واعظاماً لحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .

وفى ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفكُّ من سعدٍ الينا　　قطوعُ الرحم بادية[1] الأديم

ونغفرها كأن لم يفعلوها　　وطولُ العفو أدربُ[2] للظلوم

أجود ماقيل فى المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمى قال دخل بشار على ابراهيم بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله فى أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها فى أبى مسلم ، أولها :

أباجعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائم　　وما سالمٌ عما قليلٍ بسالم

على الملك الجبارِ يقتحمُ الردى　　ويصرعُهُ فى المأزقِ المتلاحم

كأنك لم تسمع بقتلِ متوجٍ　　عظيم ولم تعلم بهلك الأعاجم

تقسم كسرَى رهطهُ بسيوفهم　　وأمسى أبو العباسِ أحلام نائم

وقد ترد الأيام عزاً وربما　　وردن كلوماً باديات الكشائم

ومروانُ قد دارت على نفسه الردى　　لاجرامه لا بل قليل الجرائم

وأصبحت تجرى سادراً فى طريقهم　　ولا تتقى أشباه تلك الفقائم

تجردتَ للاسلامِ تعفو رسومه　　وتعرى مطايا لليوث الضراغم

فمازلتَ حتى استنصر الدينُ أهله　　عليك فعاذوا بالسيوفِ الصوارم

---

(١) فى النسخ غير منقوطة . (٢) لعله (آدب) .

لحى الله قوماً رأسوك عليهم ... ومازلتَ مرؤساً خبيثَ المطاعم
أقول لبسام عليه جلالةٌ ... غـداً أريحياً عاشقاً للمكارم
من الفاطميينَ الدعاةِ إلى الهدى ... جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم
سراجٌ لعينِ المستضيء وتارةً ... يكونُ ظلاماً للعـدوِّ المزاحم
إذا بلغَ الرأى المشورةَ فاستعن ... برأى نصيح أو نصيحةِ حازم
ولاتجعلِ الشورَى عليكغضاضةً ... فان الخوافي قوةٌ للقوادم
وماخيرُ كفٍّ أمسكالغلُّ أختها ... وما خيرُ سيفٍ لم يؤيد بقائم
وخلِّ الهوينا للضعيفِ ولا تـكن ... نؤوماً فانَّ الحزمَ ليس بنائم
وحارب إذا لم تعطَ إلا ظُلامة ... شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالم

هذا ما أورده أبو هلال العسكرى وفى بعض الـكتب زيادة في هذه القصيدة وهى :

فأدن على الشورى المقرب نفسه ... ولا تُشهدِ الشورى امرأً غير كاتم
فانك لاتستطردُ الهـمَّ بالمنى ... ولا تبلغُ العليا بغير المـكارم
وما قارعَ الأقوامَ مثلُ مشيع ... أريبٍ ولا جلى العمى مثلُ عالم

وما خير كف ـ البيت . قال أبو بكر فحدثنى الجمحى قال سمعت المـازنى يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشار هذه أحب إلىَّ من ميميتى جرير والفرزدق . وقيل لبشار ما أحسن أبياتك فى المشورة فقال المستشير بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه فقيل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد التى لاشبيه لها قول عبد الملك بن صالح في ذم المشورة : ماستشرت أحداً إلا تـكبر على وتصاغرت له ودخلتنى الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون مهيب فى الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الـكبير وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحائه . فذم المشورة كما ترى وهى ممدوحة بكل لسان . وقال رومىّ لفارسىّ نحن لا نملـك من يشاور فقال الفارسى نحن لا نملك من

لا يشاور ،وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .

ومن أوجز ما قيل فى الطمع قول بعضهم إذا طمعت ملات . ويقولون الطمع طبع، والطبع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمـع يدعو إلى طَبع وغُفةٌ من قوام العيش تكفينى

والغفةُ القوت وأصلها الفأرة [1] وسميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة[2] :

ألا تُمتى عميرة أن رأتنى عزفت النفس عما لم ينالا

أحزم كلمة سمعناها عن العرب قولهم« إن ترد المـاء بماء أكيس » معناه ينبغى أن تحتفظ بمـا عنـدك حتى تصل إلى غيره ولا تلق مافى يدك رجاء لمـا هو أكثر منه فلعلك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لايرسل الساق إلا ممسكاً ساقا » أى لايترك معتمداً إلا اذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لايترك ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أنّى أتيحَ لها حرباء تنضبة [3] لايرسل الساقَ إلا ممسكاً ساقا

أجود ماقيل في الحياء قول الخنساء :

ومخرقٌ عنه القميص تخالهُ بين البيوتِ من الحياءِ سقيما

حتى إذا رفعَ اللواء رايتهُ تحت اللواءِ على الخميسِ زعيما

أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً فى صرامتهم وطول أنضيةِ الأعناقِ والقمم

اذا غدا المسكُ يجرى فى مفارقهم راحوا كأنهمُ مرضى من الكرم

---

(١) فى الأصل تصحيف فى بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعا ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل عليها قطنة فعرف بها . وفي الاصل (ثابت بن فطنه) .

(٣) فى أمثال الميدانى «بلت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كريمٌ يغضُّ الطرفَ فضلُ حيائه ... ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوانِ

وكالسيف إن لاينته لان مسه ... وحداه ان خاشنته خشنان

وقال أبو دهبل :

تزرُ الكلامِ من الحياءِ تخالهُ ... صمتاً وليس بجسمه سقم

عقمَ النساءُ فلا يلدن شبيههُ ... إن النساءَ بمثله عقم

غيره : انى كأنى أرى من لاحياءَ لهُ ... ولا أمانةَ بين الناسِ عُريانا

أجود ماقيل فى تفضيل الجد على العقل والاخبار بأن الحظ والعقل لايجتمعان قول الاول:

ومالبُّ اللبيبِ بغير حظ ... بأغنى فى المعيشة من فتيل

رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ ... وهيهاتَ الحظوظُ من العقول

والعرب تقول «اسع بجَدٍّ أودع» .

أجود ماقيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعا . فجعل اليأس مما فى أيدى الناس سخاء لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت وحرصت تاقت الى ماليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبى حازم فقال:

ومنتظر سؤالك بالعطايا ... وأفضل من عطاياه السؤال

اذا لم يأتك المعروفُ طوعاً ... فدعهُ فالتنزه عنه مالُ

وماأحسب انى سمعت فى هذا المعني أحسن من هذا وقلت :

ألا إنَّ القناعةَ خيرُ مال ... لدى كريمٍ يَروحُ بغيرِ مال

وان تصبر فانَّ الصبر أولى ... بمن عثرت به نُوَبُ الليالى

تجمل إن بُليتَ بسوءِ حالٍ ... فانَّ من التجملِ حسن حالِ

أجود ماقيل فى مضاء العزم وثبوت الرأى والفطنة من الشعر القديم قول أوس بن حجر :

الألمعيُّ الذي يظنُّ بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وقالت الحكماء لا ينتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه. وكان عمر رضي الله عنه يقول إذا أنا لم أعلم مالم أر ماعلمت مارأيت. وقلت:

أمانك مصروفٌ الى كل راهبٍ وسيبك موقوفٌ على كل راغب

تباشرتِ الدنيا بجدواك واكتفت فلم تتباشر بالغيوثِ الصوائب

تبسمَ منك الدهرُ عن زائن[1] له وعين عليه فى اختلافِ النوائب

بصيرٌ له دونَ العواقبِ فكرةٌ تكشف عن رأى وراءَ العواقب

ليشكركَ مجدٌ لاتزال تحوطهُ وتحميهِ بالنصلين عزمٍ وقاضب

كأنى اذا أمسكتُ منك بعُروةٍ أخذت باهدابِ الغيومِ السواكب

وليس فى المضاء والعزيمة أجود من قول أبى تمام:

وركب كأطراف الاسنةِ عرسوا على مثلها والليلُ تسطو غياهبه

لأمر عليهم ان تتمَّ صدورهُ وليس عليهم أن تتمَّ عواقبه

مأخوذ من قول الأول:

غلام وغى تقحمها فأودى وخانَ بلادَهُ الزمنُ الخؤون

وكان على الفتى الاقدامُ فيها وليس عليهِ ماجنتِ المنون

وقوله: وقدعلمَ الافشينُ وهوالذى به يُصانُ رداء الملك من كل جانب

بأنك لما استخذل الأمر[2] واكتسى اهابى سيفى فى وجوه التجارب

تجللتهُ بالرأى حتى أريته به ملءَ عينيه مكانَ العواقب

سللت له سيفين رأياً ومنصلاً وكلٌّ لنجمٍ فى الدجنةِ ثاقب

وكنت متى تهزز لخطب تغشه[3] ضرائب أمضى من رقاق المضارب

وقال: وسارت به بين القنابل والقنا عزائمُ كانت كالقنا والقنابلِ

(١) في هامش النسخة (راقب له) اشارة لنسخة فيها كذلك.

(٢) فى الديوان (النصر). (٣) في الأصل (لحظ تعيشه).

ومن جيد ماقيلَ فى كتمان السرّ قول الأول :

تلاقت حيازيمى [1] على قلب حازم … كتوم لما ضمت عليه أصابعهْ

أواخى رجالاً لستُ أطلعُ بعضهم [2] … على سرّ بعضٍ ان قلبى واسعه [3]

وقال الآخر: سأكتمه سرى وأحفظُ سرّهُ … ولا غرنى أنى عليه كريمُ

عليم فينسى أوجهول يذيعهُ … وما الناس إلا جاهل وعليم

والمثل السائر :

إذاضاقَ صدْرُ المرءِ عن سِرّ نفسهِ … فصدْرُ الذى يستودُع السر أضيقُ

أحسن ماقيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضلُ قسم الله للمرءِ عقلهُ … فليسَ منَ الخيرات شىءٌ يقاربه

إذا كمّلَ الرحمنُ للمرء عقله … فقد كملت أخلاقه وضرائبه

يعيشُ الفتى بالعقل فى الناسِ انه … على العقل يجرى علمهُ وتجاربه

ومن كان غلاباً بعقل ونجدة … فذو الجدّ في عقل المعيشة غالبه

يزين الفتى في الناس صحة عقله … وان كان محظوراً عليه مكاسبه

ويزرى الفتى [4] فى الناس قلةُ عقله … وان كرمت أعراقه ومناسبه

ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقر أوضع للفتى … ولم أرَ مثلَ المالِ أرفع للنذل

ولم أرَ من عدمٍ أضرّ على الفتى … إذا عاشَ بين الناسِ منعدم [5] العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم رايةالعقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرناأحمد بن عبد الواحدأخبرناأحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى قال قال قُس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه [6] وأفضل العلم وقوف

---

(١) في الأصل (حيادىمى) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) فى النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .

(٥) فى الأصل (من عدم) . (٦) فى نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المـال ماقضيت منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت فى جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى مافيها فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمامة وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرمى من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ماقال الاعرابى وقد قيل له حدّ لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحمق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلاما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصفدى كان الحجاج أحمق بنى مدينته في بادية النبط ثم حماهم دخولها فلمـا رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق ويخرق ولا يرفق ، وقال بعضهم مادخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال مكثه فى ولايته واشتد فى سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أدبه، وقال له عبد الملك ان الرجل لايكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بحذافيره وجمعه بزوبره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لايخبر بعيب نفسه وقال بعضهم لايعرف الرجل حقيقة مااشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لايجد رائحته من نفسه وقلت فى ذلك :

لو تمَّ شيءٌ منَ الدنيا لذى أدبٍ ... لا نضاف مال إلى علمى وآدابى
فتمَّ جاهىَ عنـدَ الناسِ كلهم ... وطابَ عيشىَ في أهـلى وأصحابى
عز الـكمالُ فلا يحظى بهِ أحدٌ ... فكلُّ خلـقٍ وان لم يدرِ ذوعاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لايكون فى مغرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لايجرى على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعراقهِ يجرى المذكى وليس على تكلفهِ وجهده

وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل عليّ رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال بم عرفت عقله قال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن فى الشتاء واللبيس (١) في الحر والجديد فى القر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إليَّ من قول الأول : علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شانه . وقال بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل فى الباب ما أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد فى التفرج بالمنادمة إلى الاخوان والتسلي بمناممة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأبثثتُ عمراً بعضَ مالى جوانحى وجرعتهُ من مرِّ ما أتجرعُ

ولا بدَّ من شكوى إلى ذى حفيظة إذا جعلت أسرارُ نفسى تطلع

ومن أجود ماقيل فى ترك الشيء اذا أدبر قول بعض الاعراب :

إذا ضيعتَ أولَ كل أمر أبت اعجازُهُ إلا التواءَ

وإن حملتَ أمرك كلَّ وغد (٢) ضعيف كان أمرُكما سواءَ

وإن داويتَ دنيا بالتناسى وباللّيان أخطأت الدواءَ

وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتك لا تستطيعها فخذ طرفاً من غيرها حين تسبقُ

فذلك أحرى أن تنالَ جسيمها وللقصد أهدى فى المسير وألحقُ

ومن أجود ماقيل فى المهابة من قديم الشعر ماينسب إلى الفرزدق وهو لغيره في على بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يغضى حياءً ويغضي من مهابته فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ

جعله مهيباً فى السكون والاغضاء ولو جعله مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

---

(١) فى النسخ غير منقوطة، واللبيس : الثوب قد أكثر لبسه فأخلق كما فى القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر فى بعض العلماء هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجوابَ فما يراجعُ هيبةً والسائلونَ نوا كسُ الاذقان

هدى التقىّ وعزُّ سلطانِ النهى وهو المهيبُ وليس ذا سلطان

ومن أحسن تشبيه جاء فى الهيبة قولهم (كأن على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب تسكن جوارحه فكأن على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :

أضمرُ في القلبِ عتاباً لهُ فان بدا أُنسيتُ من هيبته

ومثل هذا في النسيب كثير وشبيهه قول الأول :

أهابُكَ إجلالاً وما بكَ قُدرةٌ عليَّ ولكن ملءُ عينٍ حبيبها

وماهجرتك النفسُ أنكَ عندها قليلٌ ولا أن قلَّ منكَ نصيبها

لاترى أجود من قوله « ملءُ عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبلغ ولعلك لاتجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأُ العين . وهيبة تملأُ الصدر . وقال وتملأُ عين الناظر المتوسم * وقال ابن الرومى :

فى فتيةٍ من ولدِ المنصورِ أملأُ للعين من البدورِ

وقال آخر * إذا ذكرت أمثالها تملأُ الفما * وقد أجاد أبو تمام في صفة الهيبة والمخافة فقال :

ثبتُ المقامِ يرى القبيلةَ واحداً ويُرى فتحسبهُ القبيلُ قبيلا

وقال :

قد أترعت منه الجوانحُ هيبةً (١) بطلت لديها سورةُ الأبطال

لو لم يزاحمهم لزاحمهم لهُ ما فى قلوبهم من الأوجال

ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيشٌ إذا غدوتُ وحيداً ووحيد فى الجحفل الجراء

---

(١) فى ديوان أبى تمام « رهبة » .

وقلت فى نحو ذلك :

قبيلكمُ فى العزّ يعلو قبائلاً ... وواحدكم فى المجدِ يكثر معشرا

وقال الأشجع فى ابراهيم بن نهيك وقد ولى المعونة :

شدّ الخطامَ بأنفِ كلّ مخالفٍ ... حتى استقامَ له الذى لم يخطم

لايصلح السلطان إلا هيبة ... تلقى البرىءَ بفضلِ جرم المجرم

منعت مهابتك النفوسَ حديثها ... بالشىء تكرهه وإن لم تعلم

ونهجتَ من حزمِ السياسة منهجاً ... فهمت مذاهبهُ الذى لم يفهم

وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبشمى عن المبرد :

وأتيت حياً فى الحروب محلهم ... والجيش باسم أبيهم يستهزم

يقول به الجيش يستهزم إذا ذكرفليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :

ليبك وكيف خيل ليل مغيرة ... تساقى الحمامَ بالرُّدينية السمرِ

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة ... دعوها وكيفا والجياد بهم تجرى

ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا ... وحربك يلتظي لهبا

وأى كتيبة لاقتك ... لم تستحسنِ الهربا

لجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية

ومماهو بليغ فى باب المهابة قول الاشجع :

وعلى عدوك ياابنَ عمّ محمد ... رصدان ضوءُ الصبح والاظلامُ

فاذا تنبهَ رعتهُ وإذا غفا (١) ... سلت عليه سيوفك الاحلامُ

فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :

قاسيتُ فيهِ الهمومَ والألما ... وصرتُ فيه بينَ الورى علما

أكون يقظان فى تذكرهِ ... حتى إذا نمتُ كانَ لى حلما

---

(١) فى الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ « نُصرت بالرُّعب » وما وصف أحد هيبة صاحب السلطان اذا بدا كما وصفها البحتري في قوله :

اذا مامشى بين الصفوفِ تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشم سميدع
يقومون من بُعدٍ اذا أبصروا بهِ لأبلج موقورِ الجلالةِ أروع
ويدعونَ بالاسماءِ مثنى وموحداً اذا حضروا بابَ الرّواق المرفع
وان سار كفَّ اللحظ عن كل منظر سواه وغضّ الصوتُ عن كل مسمع
فلستَ ترى إلا إفاضةَ شاخص اليهِ بعينٍ أومشير بأصبع

وقوله: تراءوك من أقصى السماطِ فقصروا خُطاهم وقد جازوا الستورَ وهم عجل
ولما قضوا صدرَ السلامِ تهافتوا على يدِ بسام سجيتهُ رسل
إذا أسرعوا في خطبة قطعتهمُ جلالةُ طلقِ الوجهِ جانبهُ السهل
اذا نكسوا أبصارَهم من مَهابة ومالوا بلحظ خلتَ انهم قبل

وقال أبو بكر الصولي وهو من البليغ :

اذا مابدا والقومُ فوقَ سروجهم تناثرتِ الاشرافُ منهم على الارض

وقال البحتري :

ومبجل وسطَ الرجالِ خفوفهم لقيامِه وقيامهم لقعودهِ
فاللهُ يكلؤهُ لنا ويحوطهُ ويعزهُ ويزيدُ في تأييده

أبلغ ماجاء في وصف العلم قول علي رضي الله تعالى عنه : قيمة كل امرىء مايحسنه .
وشذ به بعضهم فقال: قيمة كل امرىء علمه .

ولا أعرف في مدح العلم وعدّ خصاله أبلغ من كلامه رضي الله تعالى عنه خاطب به كميل بن زياد أثبته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد ابن الزيداني حدثنا علي بن حكيم الاذري حدثنا الربيع بن عبد الله المدني حدثنا عبد الله بن حسن عن محمد بن علي عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي علي رضي الله تعالى عنه فلما أصحرنا قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها

فاحفظ عنى ماأقول لك : الناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدان به تكتسب به الطاعة فى حياتك وجميل الاحدوثة بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل مات خزان المال والعلماء باقون مابقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة هاه ان ههنا لعلماً جماً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً [1] غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أومنقاداً لحملة الحق لابصيرة له فى احنائه فيقدح الشك فى قلبه عند أول عارض من شبهة ، أولا ذا ولاذا فمنهوم باللذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين أقرب شبهاً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لاتخلو الأرض من قائم بحجة إماظاهر وإماخائف لئلا تبطل حجة الله وتبيانه وكم وأين أولئك الأقلون عدداً الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا مااستوعره المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة الى دينه هاه شوقاً الي رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ماإذا غرقت بسفينتك سبح معك ، وقال الخليل :

افخر وكاثر بالقريحة إنها فخرُ المكاثر

واعلم بأنَّ العلمَ ما أوعيتَ فى صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضمنته صحف الضمائر » كان

---

(١) اللقن : السريع الفهم ـ كما فى القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودعَ العـلم قرطاساً فضيعـهُ ... وبئس مُستودَعُ العلمِ القراطيسُ

وقلت : تقل غناء عن جهول مغمر ... دفاتر تلقى فى الظروفِ وترفعُ

تروح وتغدو عنـده في مضيعـةٍ ... وكائن رأينا من نفيسٍ يضيـع

ومن المختار فى طلاقة اللسان قول الآخر :

اذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف ... لعىّ ولم يثن اللسانَ على هُجر

يصرّفُ بالقولِ اللسانَ كما انتحى ... وينظرُ فى اعطافِه نظرَ الصقر

ونحوه : لا خـيرَ في حشوِ الـكلا ... م اذا اهتديتَ الى عيوبه

وأجود ماقيل في إقامة الاعراب وترك التغيير ماأنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

ويعجبنى زىّ الفـتى وجـمالهُ ... ويسقط من عينىّ ساعةَ يلحنُ

عـلى أن للاعرابِ حداً ورُبمـا ... سمعت من الاعراب ماليس يحسنُ

ولا خيرَ فى اللفظ الـكريه استماعه ... ولا فى قبيح اللحن والقصدُ أزينُ

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ماسمعت فى السؤال قول عبدالله بن العباس وقد سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا الحسن بن على بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا على بن موسى الرضى حدثنى أبى حدثنى أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسن رضى الله تعـالى عنهم قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيـه أربعـة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ماجاء في السؤال من الشعر ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الانبارى عن أبيه :

شـفاء العىّ فى طولِ السؤالِ ... وعـدلك في المقالِ وفى الفـعالِ

وبحثك في الأمورِ عن المعانى ... وتخريج المقالِ من المقال

وقـولك بالصواب اذا أنارت ... شواهدُهُ ورفضـك للجدال

وصمتك حـينَ تَسمعُ من حكيم ... ليفهمك الصحيـحَ من المحـال

أجود ماقيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يابني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعزير د الأحزان وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضغين ومُلهٍ يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ماأخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبدالعزيز التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وماأنبأ عن شيء فهو أكبر منه .

ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ماأخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا بباب الأوزاعي وفينا اعرابي من بني عليم بن ضاب لايتكلم فقيل له بحق ماسميتم خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني إسماعيل

ابن عبيد الله قال قال جدى : الصمت منام العاقل والنطق يقظته ولا منام الا بيقظة ولا يقظة إلا بمنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرنى بعض أصحابنا قال ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجر على ذلك مدة حتى صرت إلى ماترى . وسمى البيان سحراً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد المقدى أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائنى قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن الاهتم أخبرنى عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع فى أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه ليعلم منى أكثر من هذا ولكنه حسدنى . فقال عمرو : أما والله يارسول الله انه لزمر المروءة ضيق العطن أحمق الوالد لئيم الخال وما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الأخرى رضيت فقلت أحسن ماأعلم وسخطت فقلت أسوأ ماأعلم فقال رسول الله ﷺ (ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) وانما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مراماً وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه فى كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل فى بابه ماأخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنى الطيب بن محمد الباهلى قال موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التميمى على أبى العباس السفاح وعنده أخواله من بنى الحارث بن كعب فقال له ماتقول في أخوالى قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم لخصالاً مااجتمعت في غيرهم من قومهم انهم لأطولهم أمماً وأكرمهم

شيماً وأطعمهم طعماً وأوفاهم ذمماً وأبعدهم هماً هم الجمرة فى الحرب والرفد فى الجدب والرأس فى الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت فزاد أخواله في الفخر فغضب أبو العباس لاعمامه فقال أفخر ياخالد فقال أعلى أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفاخر أقواماً هم من بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملكتهم امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثنى ابن المزرع قال سمعت عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو تفكر فى جمع معايبهم واختصار اللفظ فى مثالبهم بعد ذلك المدح المهذب سنة لكان قليلاً فكيف على بديهٍ لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل المزاح سباب النوكى . وأجود ماقيل في تخوف عاقبته قول أبى نواس :

انه نار وقدح القادح وأى جـد بلغ المازح

ومثله : صارَ جـداً مافرحت به رُبَّ جدٍ جرَّهُ لعبُ

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر فى موقعهِ المزح فى موضعهِ كالجدِّ فى موضعهِ

أجود ماقيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقرى يوصى ولده وقومه وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعاينته وقال يابنى أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولايجهل الصغير حق الكبير وأكرموا مسلمة بن عبدالملك فانه نابكم الذى عنه تعبرون ومجنكم الذى به تستجيرون ولاتقطعوا من دونه رأياً ولاتعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن يوسف فانه الذى وطأ لكم المغابر وذلل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر وإياكم والتقاطع والتدابر . فقال قيس بن عاصم لبنيه :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ فى عمرى وإن لم يُمددِ
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسوَّد منكم وغير مسوَّد

إن القداحَ إذا جُمعنَ فرامها بالكسر ذو حَنق وبطش أيّد
عزت ولم تُكسر وإن هي بُدِّدَتْ فالوهنُ والتكسيرُ للمتبدد

ثم قام على بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد حضر من الأمر ماتريان فان كان في نفوسكما شيء من بيعة الوليد نزعتماه وجعلتما الأمر حيث شئتما قالا بل رضينا أكمل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو غيرها قلتما لمتما قبلي ثم رفع طرف فراشه فاذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لأعرفنك إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وابرز والبس جلد النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل متمثلا بقول الشاعر :

وهل من خالد اما هلكنا وهل بالموتِ ياللناسِ عار

ثم قال الحمد لله الذى لايبالى أصغير هلك فى ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام ابن عبد الملك :

وماكان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تهدما

فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلا قلت كما قال التميمى :

إذا سيدٌ منا ذرا حدٌّ نابه تخمط فينا نابُ آخر مقرم

فسمع مسلمة الصيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندى الذى يقول :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم

إذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها تلك السفاهة والظلم

وأسعى لكي أبنى ويهدم مصالحي ... وليس الذي يبنى كمن شأنه الهدم

يحاول رغمي لايحاول غيره ... وكالموت عندى أن ينال له رغم

فان أنتصر منه أكن مثل رائش ... سهام عدو يستهاض بها العظم

فبادر منى النأى والمرء قادر ... على سهمه مادام في كفه السهم

فان أعف عنه أغض جفناً على القذى ... وليس له بالصفح عن ذنبه علم

حفظت الذى قد كان بينى وبينه ... وهل يستوى حرب الأقارب والسلم

فما زلت فى لين له وتعطف ... عليه كما تحنو على الولد الأم

لأستل منه الضغن حتى سللته ... وإن كان ذا ضغن يضيق به الحزم

فقالوا ياأمير المؤمنين من قائل هذه الأبيات فما أحسنها وأرضاها قال معن ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ماقيل فى المعروف قول النبى ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى عم أبى عن أبيه قال قال العتابى كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لى فأقبل يحيى بن أكثم فقمت اليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سبيلى قلت ان الله قد أتحفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأبى على ولكل شىء زكاة وزكاة الجاه رفد المستعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضل المعروف فضل جاهك تعود به على من لاجاه له) فقعدت ودخل فما لبث ان خرج الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فتذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ماأضاعه جحود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته هنأته واذا صغرته عظمته واذا سترته تممته ان بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناه ونخره فمهما أتيت من معروف فانما أتيته لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفاً وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيمَ أنتم » فقالوا نتذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروفُ كاسمه وأولُ من يدخلُ الجنةَ المعروفُ وأهلهُ » .

ومن أجود ماقيل في بذل المعروف وان كان قليلاً ماأخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو الى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نعفيها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سنيّ يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيومها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الاخوان فيها فانتجعتك وأنا بانتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحى من اعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسارِ على العباس ممدودُ ... وقلبهُ أبداً بالبخلِ معقود
انَّ الكريمَ ليخفي عنك عسرتهُ ... حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله عللٌ ... زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سود
اذا تكرهت أن تعطي القليلَ ولم ... تقدر على سعةٍ لم يظهر الجود

بثَّ النوالَ ولايمنعك قلتهُ   فكل ماسدَّ فقراً فهو محمود

قال فشاطره ماله حتى بعث اليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ماجاء فى هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمروٍ لك المثلُ المعلى   وجدُّ عدوك التربُ الذليلُ
رأيت المطلَ ميداناً طويلاً   يروضُ طباعَهُ فيه البخيل
فما هذا المطالُ فدتك نفسي   وباعك بالندَى باعٌ طويل
أظنك حينَ تقدرُ لي نوالاً   يقلُّ لديك لى منهُ الجزيل
فلا تقدر بقدرك لى نوالاً   ولا قدرى فيحقرُ ماتنيل
وأطلق ماتهمُّ بهِ عساهُ   كفانى أيها الرجلُ النبيل
وإلا فالسلامُ عليكَ منى   نبت دارٌ فاسرعَ بى الرحيل
إذا ضاقت على أملٍ بلادٌ   فما سدت على عزمٍ سبيل

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى   ولكنهُ خيمُ الرجال وخيرها

ومن عجيب المعانى فى عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث الكلابى على يزيد بن المهلب فقال له أيها الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب أن لاتفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتنى فقال قد أمرت لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أماما سألتك بوجهى فأقبله منك وأما ما ابتدأتنى به فلا حاجة لى فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لأنى رأيت الذى أخذت منى بمسألتى إياك بوجهى أكثر مما نالنى من عرفك وكرهت الفضل على نفسي . فقال له يزيد أسألك بحقك على لما رأيتنى أهله من انزال الحاجة بى إلا قبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقيل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل ومعي ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لآخر متى يكون البليغ عيياً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحول : ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأني أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت معروفاً قط لأني أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :

فانك لا تدري إذا جاءَ سائلٌ أأنتَ بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجة ان منعتهُ من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق الذم لنضع كلاً منهما في موضعه ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكر من أحبه فقال (نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ووصف من مقته فقال (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) فذم قوله وفعله وعاب شيمته وخلقه وهتك بالشتم عرضه وسود بالذم وجهه جزاءً بما اكتسب من ذميم الفعال ووفقاً لما أطلقه من اسم المقال نكالاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير الداعي إلى الله باذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿هذا كتاب المبالغة﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعانى ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول فى المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ماأخبرنا به أبو القاسم عن العقدى عن أبي جعفرعن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فِراقٌ جميلٌ خيرٌ من صحبةٍ على دَخَنْ » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقددخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ماجاء في ذلك قول أبى ذؤيب :

تريدينَ كيما تجمعيني وخالداً ... وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك فى غمد

يقول لأم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو ـ وقيل وهب بن جابر ـ هويها فامتنعت عليه فخرج يوماً يتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ ياشبيهةَ امِّ عمرو ... اذا عاينتنا لا تأمنينا

فعينك عينها اذ تنظرينا[(١)] ... وجيدُك جيدُها لو تنطقينا

وساقك ساقها [(٢)] ولأمّ عمرو ... خدلجة يضيقُ بها البرينا

ورأسك أزعر ولأم عمرو ... غدائر ينعفرنَ ويثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أيفع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة فى الأصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم [١] فلم تلبث ان علقت خالداً وتركت أباذؤيب فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسكَ فاحفظها ولا تُبْـد [٢] للعدى من السرِّ ما يُطوَى عليهِ ضميرُها
رعى خالدٌ سرِّى ليالىَ نفسُهُ توالى على قصدِ السبيلِ أمورها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيهُ وفى النفس منهُ غدرة ونجورها [٣]
لوى رأسهُ عنى ومال بودِّهِ أغانيجُ خَوْدٍ كان فينا يزورها
تعلقهُ منها دلالٌ ومُقلةٌ تَظلُّ لأصحابِ الشقاءِ تُديرها
وما أنفسُ الفتيانِ إلا قرائن تبينُ ويبقى [٤] هامها وقبورها

فأجابه خالد :

لايبعدن اللهُ حلمك اذ غزا وسافرَ والاحلام جمٌّ عثورُها
لعلك إما أمُّ عمرو تبدلت سواك خليلاً شاتمى تستخيرها [٥]
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سُنة من يسيرها

وهذا جواب لانرى أقطع منه لأنه ذكر أنه انما جوزى بمثل فعله :

فان التى فينا زعمتَ ومثلها لفيك ولكنى أراك تجوزها [٦]

---

(١) خالد هـذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمـه ، على مافى ديوان أبى ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد ابن محرِّث من بنى تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مغلق ، أدرك الجاهلية والاسلام قدم المدينة على النبي ﷺ وهو فى مرضه فمات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفى فى خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلا ؟ قالوا حياً قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) فى نسخة «تفش» .

(٣) فى ديوان أبى ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثنى).

(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه، معناه تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أي تعـدل عنها . وفي الديوان (تجورها) .

ألم تنتقذها من ابن عويمر   وأنت صفىٌّ نفسه وسجيرها

فان يك يشكو من قريب مخانة [1]   فتلك الجوازى عقبها و نصورها

وفيه يقول أبو ذؤيب :

يُرَى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا   فذلك سكينٌ على الحلقِ حاذق

ثم ان وهباً بعث ابنه عمراً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمرو علانيتها ولخالد سرها فجاء خالد ليلاً وعمرو معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً فركب فى جمع فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه :

لعمرو أبى الطيرِ المربة غدوة   على خالدٍ ان قد وقعنَ على لحم

كليه وربى لن تعودى بمثله   عشيةَ لاقته المنيةُ بالردم

فانك لو أبصرتِ مصرعَ خالدٍ   منعت [2] الستارَ بين أظلمَ فالحزم

علمت بأن الباب ليست ؟   ولا البكر لاضمت يداك على غنم

ضروب لهاماتِ الرجالِ بسيفهِ   إذا التفتِ الأبطالُ مجتمع الحزم

ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل :

لحى اللهُ من لاينفع الودُّ عندهُ   ومن حبلهُ إن مُدَّ غير متين

ومن هو إن تحدث له العينُ نظرةً   تقضب لها أسباب كل قرين

ومن هو ذو لونين ليس بدائم   على العهدِ خوانٌ لكل أمين

ومن هو عند العينِ أما لقاؤهُ   فحلوٌ وأما غيبهُ فظنون

وكتب بعض الكتاب : لو كنت أعلم أنك تعتب إذا عاتبتك سلكت فى ذلك مذهباً لاأبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة فى غير شكوى والتعريف فى غير تعنيف والاحتجاج فى غير تنكيت ولا توقيف ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقائله فيه منتفع وأشبه البر بالعقوق مااستكرهت

(١) فى ديوان أبى ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفى النسخ نقص كلمات فى الابيات استدركناها من الديوان . (٢) فى النسخ غير منقوطة .

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمغن في المودةِ شافعٌ   إذا لم يكن بينَ الضلوعِ شفيعُ

وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تباعاً غدواً إليك ورواحا حتى ملني البكور وسئمني التهجير وشكاني الطريق ولحاني الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب وتستقبلني ردة البواب :

ولاخيرَ في ودِّ امرىء متكارهٍ   عليك ولا في صاحبٍ لاتوافقه

وهذا ذرء [1] عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمانه الصبر فان عطفك حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذى كان بيننا ولا أقول كما قيل :

فما ملني الانسانُ إلا مللتهُ   ولافاتني شيءٌ فظلت له أبكي

ولا أقول كما قيل :

وإني على عهدِ الأخلاءِ دائم   ولستُ إذا مالَ الصديقُ على حرفِ

إذا أنالم أصفح وأغضض على القذى   فلا انبسطت في الحادثاتِ إذاً كفي

ومن ألطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إليّ أبو فلان كتاباً منك فيه ذرء عتاب كان أحلى عندى من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب فلك العتبي ولبيك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً اليه ولو شئت مع ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك ألزم لقلت ولكني أسامحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندى مرضية وشيمك لديّ مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لقصرت العنان عما أجريت اليه من هذا العتاب وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم [2] أتيناكم نعودكمُ   وتذنبونَ فنأتيكم ونعتذرُ

ولا ترى كلاماً ألطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست أقتضي الوفاء بكثرة الالحاح فأثقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغتنم

(١) في القاموس : ذرءٌ من خبر : شيء منه. (٢) في الاصل (إذا مرضنا)

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب » . وقلت :

أمنعاً إذا جئتكم أستعير ... فكيف إذا جئت أستوهب
ومثلى إذا كان في معشرٍ ... فللمرء عندهم منكب
يُقرَّب مثلى إذا ما نأى ... ويكرم مثلى إذا يقرب
عتبتك للودّ لا للقلى ... وواصل صديقاً ما تعتب

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

اذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ... ضاقت علىّ برحبِ الارضِ أوطانى
فان صددتُ بوجهى كى أكافئه ... فالعينُ غضبى وقلبى غيرُ غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف فى قوله :

كنا نعاتبكم ليالىَ عودكم ... حلو المذاقِ وفيكمُ مستعتبُ
فالآن اذ ظهرَ التعتبُ منكمُ ... ذهبَ العتابُ وليس عنكم مذهب

ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ لحاجةٍ ... مقضيةٍ أو برٌّ ينفعُ
واعلمْ بأنى لا أسرُّ بحاجة ... إلا وفى عمرى بها مستمتع

ومن جيد المعاتبات قولُ أبى تمام فى أبى دلف :

يا أيها الملكُ النائى بغرّته (١) ... وجودهُ لمرجى (٢) جوده كثبُ
ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لى أملاً ... انّ السماء تُرجّى حين تحتجب
مادونَ بابك لى باب ألوذُ به ... وما وراءك لى مثوى ومطلب

وقوله فى أبى سعيد :

لعمرك لليأسُ غيرُ المريثِ ... خيرٌ من الطمع الكاذب
وللريبُ تحصره بالنجاح ... خيرٌ من الأملِ الخائب

وقال يعاتب موسى بن ابراهيم الرافعى فى ضنه عنه بجاهه :

---

(١) في الاصل « برؤيته » . (٢) كذا فى ديوان أبى تمام ، وفى الأصل « لراعى » .

سأقطع أرسانَ العتابِ بمنطق ... قصيرُ عناءِ الفكر فيـهِ يطولُ

وانّ امرأً ضنت يداهُ على امرىءٍ ... بنيـلِ يدٍ من غـيره لبخيل

أخذه من قول مسلم:

وأحببتُ من حبها الباخلـينَ ... حـتى رمقتُ ابن سـلم سعيدا

اذا سـئل عرفاً كسا وجهـه ... ثياباً من البخل صفراً وسودا (١)

يغارُ على المالِ فعلَ الجوادِ ... وتأبى خلائقه أن يسودا (٢)

وقول أبي تمام:

لآلِ وهبٍ أكفٌّ كلما اجتديتْ ... فعلنَ في المحلِ مالم تفعل الديمُ

قومٌ تراهم غيارَى دُونَ مجدهم ... حتى كأنَّ المعالى عندهم حرم

ومنها: دنيا ولـكنها دنيا ستنصرم ... وآخرُ الحيوانِ الموتُ والهرم

ومنها: فلا تقل قدمٌ أزرى ببهجتهِ ... لبس العلا طالما يزرى به القدم

وقد أحسن ابن الرومى وأجاد فى قوله لقوم إستعان بهم فأعانوا خصمه:

تخذتـكمْ درعاً وترساً لتدفعوا ... نبالَ العدى عنى فـكنتم نصالها

وقد كنت أرجو منـكم خيرَ ناصر ... على حين خذلانِ اليمين شمالها

فان أنتمُ لم تحفظوا لمودتى ... ذماماً فـكونوا لاعليها ولا لها

قفوا موْقفَ المعذور منى بمنزل ... وخلوا نبالى للعدى ونبالها

هى النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً ... وإلا ففنمٌ أن تزولَ زوالها

عفاءٌ على ذكر الحياة إذا حمت ... على المرء إلا رفقها وسمالها

وهذا مثل قوله أيضاً:

عفاءٌ على الدنيا إذا مستحقها ... بغاها ولن يرجى لديه منوعها

وسأل بعض الرؤساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال:

أتبخلُ بالقرطاسِ والخطِّ عن أخ ... وكفاكَ أندى في العطايا من المزنِ

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من اللؤم حمراً وسودا» . (٢) فى الديوان «أن يجودا»

فلا يكن المبذول للوم[١] سمه وقرطاسه بين الصيانة والخزن

وهى طويلة. وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر والحر للفعل الجميل شكور

لكن رأيت بباب دارك جفوة فيها لصفو صنيعة تكدير

مابال دارك حين تدخل جنة وبباب دارك منكر ونكير

غيره : [٢]سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا

إذا لم أجد يوماً إلى الاذن سلما وجدت إلى ترك المجىء سبيلا

وقول أبى تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الاول

وإنى لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحاملات رجاء

وقد أحسن أبو تمام في معاتبة ابن أبى دواد واستبطائه إياه فى قوله :

رأيت العلا معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً [٣] وقر قرارها

وكم نكبة ظلماء تحسب ليلة تجلى لنا من راحتيك نهارها

فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول عارها

فلا تمكنن المطل من ذمة الندى فبئس أخو الأيدى الكبار[٤] وجارها

فان الأيادى الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها

ومانفع من قد بات بالأمس صادياً[٥] إذا ما سماء اليوم طال انهمارها

وخير عدات المرء [٦]محتضراتها كما أن خيرات الليالى قصارها

وما العرف[٧] بالتسويف الا كخلة تسليت عنها حين شط مزارها

---

(١) (للوم) ساقطة من الأصل فاستدركناها من ديوان ابن الرومى المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبى العميثل ، وفيه (يخف) مكان (يلين)و (اللقاء) فى موضع (المجىء) . (٣) فى ديوان أبى تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » . (٥) فى الأصل « ضارياً » .

(٦) فى ديوان أبى تمام « الحر » . (٧) في الديوان «وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء، وفي قوله أيضاً لمالك بن طوق وقد حجبه :

قل لابن طوق رحا سعد إذا خبطت نوائبُ الدهرِ أعلاها وأسفلها
أصبحتَ حاتمها جوداً وأحنفها حلماً وكيسها علماً ودغفلها
مالي أرى الحجرة الفيحاء[1] مقفلةً عني وقد طالَ ما استفتحتُ مقفلها
كأنها جنةُ الفردوسِ معرضةً وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلها

وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته .

وكتب الصاحب أبو القاسم[2] إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه اليه : كتابي وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبته يطير من يدي لخفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس عندي أنك تملّ صديقاً صدوقاً وشفيقاً شقيقا ولا عندي انك تكل ولو ملأت الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجو نظاما ولا عندي انك تقلّ وبحر فضلك فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثر وقد أقللت فتسأمني كما سئمت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالعني بأخبارك وعوارض أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنتَ عاتبتَ الصديقَ ولم يكنْ يودُّك لم يعتبك حينَ تعاتبه
ومن يرعَ شرقيَّ البلادِ سَوامهُ وغربيها يملكه ؟ صاحبه
ومن يخلط الماءَ الزُّلالَ بآجنٍ من الماء تخبث ما تطيب مشاربه

وكتبت جواباً عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من دنيء الخطاب ووضيع الدعاء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حطت الدعاء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته المألوفة وأنت على منزلتك لم تزدد نقيرا وأنا فى درجتى لم أنقص قطميرا فكيف لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عيبك مالا يتصور لديك وكفاك من شر نفسك ماهاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد : من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر الهلال بدراً ولا الشبل ليثاً ولا الغصن ساقا ولا القطوف معتاقا . والعرب تسمى الكبر تيهاً وهو الحيرة لأن صاحبه لا يهتدى لرشاد ولا يصل إلى سداد ولو لم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلى بقبح سمته ورسمه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذى يضرك ولا ينفعك ويحطك ولا يرفعك استفادة الاخوان الذين هم أبلغ فى الخير والشر من البيض الحداد وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان جسيم ، وقد قال الأول :

مابالُ من أولهُ نطفةٌ وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض بنى هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولربَّ مولى لايغضُّ جماحَهُ طولُ العتابِ ولاعناءُ العذَّل
يطغى عليك وانتَ تلاءُمُ شعبه والسيف يأخذ من بنانِ الصيقل
ضاقَ الزَّمان فضاقَ فيه تقلبى والماءُ يجمع نفسه في الجدول

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلازم النازلون محلهُ ؟ فمنزلكم للحمدِ والشكرِ منزلُ
رأى الناسُ فوقَ المجد مقدارَ مجدكم فقد يسألوكم فوقَ ما كان يسأل
وقصر عن مسعاكمُ كلُّ آخرٍ وما فاتكم ممن تقدَّمَ أوَّل

بلغتُ الذى قد كنتُ آمله لكم ... وان كنتُ لم أبلغ بكم ماأؤمّل
ومالىَ حقٌ واجبٌ غير أننى ... اليكم بكم فى حاجتى أتوسّلُ
فان أنتمُ أنعمتمُ وبررتمُ ... فقد يستتمُّ النعمةَ المتفضل
وان كنتمُ أوليتمونى تفضلاً ... جميلاً فانَّ العودَ بالفضلِ أفضل
وكم مُلحفٍ قد نالَ منكم رغيبةً ... ويمنعنا من أن نُلحَّ التجمل
وعودتمونى قبل أن أسأل الغنى ... ولا يكمل المعروفُ والوجه يبذل

وقال ابن الرومى :

من الحيفِ تخسيسُ[1] النوال ومطاله ... فعجلْ خسيساً أوفأجّل موفرا
وكن نخلةً تلوى وتسنى عطاءها ... وإلا فكن عفصاً أقلّ وبسرا

وقال : ياشبيهَ البدرِ فى الحسنِ ... وفى بُعد المنال
جُدْ فقدْ تنفجرُ الصخرةُ ... بالماءِ الزّلال

وله فى المعاتبات مالا أعرف لغيره ـ قال :

ياابن الوزير الذى تمّتْ وزارتهُ ... لاتجمعنَّ علىَّ العارَ والنارَا
ان كنتُ أحسنتُ فى وصفى مآثركم ... فأثّروا فىّ بالاحسانِ آثارا
وإن أكن قلت مالاأستحقُّ به[2] ... منكم ثواباً فردُّوهُ وماسارا
انّ المديحَ اذا ماسارَ مُنفرداً ... من الثوابِ كسى من قالهُ عارا
فقد يعزُّ بليغ فى بلاغته ... وقد يظنُّ سوى المختار مختارا
أسهبتُ فيكم لكى أعلى فطأطأنى ... تقصيركم بى فقد أزمعتُ إقصارا
انَّ السلاليمَ لاتبنى أطاولها ... يوماً ليهبطَ بانيهنَّ اغوارا
لكنْ ليصعدَ انجاداً تشرّفهُ ... حتى يمدَّ اليها[3] الناس أبصارا
وقد هبطتُ بما شيدتهُ لكمُ ... من حالقٍ ولعلَّ الله قد خارا

---

(١) فى الأصل « تطفيف » وفى ديوان ابن الرومي « تخسيس » .

(٢) فى الديوان « أو كنت قد قلت مالاأستحق به » . (٣) فى الديوان (إليه)

كم هابط صاعد من بعد مهبطه[١] وغائر منجد من بعد ما غارا

ثقلت في كفة الميزان فانكدرت تهوي وشال خفاف الناس[٢] أقدارا

صبراً فكم ناهض من بعد وقعته يوماً وكم واقع من بعد ما طارا

لابني سمير[٣] صروف غير غافلة يحسن نقضاً كما أحسن امرارا

وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم فلم أنافي نعماك ردف وهم صدر

ولم يصف من شيء صفاء طويتي فلم شربهم صفو ولم مشربي كدر

وما جاء مدح مثل مدحي فيكم فلم كسبهم مد ولم مكسبي جزر

ومالي لا أنفك أنعى مسنداً ولي منكم ظهر وما مثلكم ظهر

لعمري لقد غوثت غير مقصر لتجبر من مالي وقد أمكن الجبر

وكم قائل أبلغت فيما تقوله فقلت له غنيت لو ساعد الزمر

وقلت: قد كنت توليني الحسنى وتكرمني وكنت أشكر ما تأتي من الحسن

فما بدا لك في جود ومكرمة تجري من المجد مجرى الروح في البدن

ارجع الى الحالة الأولى فان لنا شكراً يكون لها من أوفر الثمن

وحسن أحدوثة لو كنت تبصرها حسبتها غرة في جبهة الزمن

أزكى من المسك في أصداغ غانية كأنها قمر أوفى على غصن

وللصاحب بن عباد في الاستزادة والعتاب أبيات لم يعر بي من شعره أجود منها فمنها:

سيشهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع

يزعزعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يزعزع لعلع

وقد طرف البحتري في قوله يستبطيء محمد بن العباس الكلابي:

المئة الدينار منسية في عدة أشبعتها خلفا

لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفى

---

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته). (٢) في الديوان (القوم).

(٣) ابنا سمير: الليل والنهار لأنه يسمر فيهما أي يتحدث — كما في جنى الجنتين.

ان كنت لاتنوى نجاحاً لها فكيفَ لا تجملها ألفا

وقوله : عمرتَ أبااسحقَ مَصاحِ العمرُ ولا زال مَزهواً بآبائك(١) الدَّهرُ

فأنتَ ندى نحيا به حيث لا ندى وقطرٌ يرجَّى جودُهُ حيثُ لاقطر

على أننى بعدَ الرِّضا مُتسخطٌ ومستعتبٌ من خطةٍ سهلها وعر

وقد أوحشتنى ردَّةٌ لم أكن بها بأهلٍ ولا عندى بتأويلها خبر

فلم جئت طوعَ الشوقِ من بعدغايتى الى غيرِ مشتاق ولم رَدَّنى بشر

وما باله يأبى دخولى وقد رأى خروجىَ من أبوابهِ ويدى صفر

ومن جيد ماقيل فى حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجدُ كان عونى على المر ءِ تقاضيتهُ بتركِ التقاضى

وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم منى تقاضيا

وفى خلاف ذلك قول بعضهم : ثقتى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمى بشغلك يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

أنتَ أمضى من أن تحرَّكَ للمجدِ ولكنْ شراهةُ الشعراء

وفى خلافِ ذلك قول الآخر :

أروحُ وأغدو نحوكم فى حوائجى فأصبحُ منها غدوةً كالذى أمسى

وقد كنتُ أرجو للصديقِ شفاعتى فقدصرتُ أرضي أن أشفعَ فى نفسى

وقول الآخر: والموتُ خيرٌ من حياةٍ زهيدةٍ وللمنعُ خيرٌ من عطاءٍ مكدَّر

ومن مليح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وامساكي ليس باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وامساكي ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطبيين وطمع فىَّ من لا يدفع عن نفسه:

فان كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكل وإلا فأدركنى ولما أمزَّق

ومماجاء في ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعي القلى وسبب

---

(١) فى ديوان البحترى « بأيامك » .

السلوان وباعث الهجران . وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن الحاجة والحاجة أخت العداوة والعداوة أم القطيعة . وقال بعضهم : سبيل من يأخذ على أيدى الاحداث أن لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة . وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فاذا انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة . وقال آخر: حرك اخوانك ببعض العتاب لئلا يستمذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتنكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك . وهذا أقصد ما قيل فى هذا المعنى . وكتبت فى فصل لى : العتاب مقدمة القطيعة وطليعة الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبابك وانتقل عنه قبل أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقتصد فيه ولا تكثر منه فان الكثير من المحبوب مملول فكيف من المكروه والاقتصاد فى المحمود ممدوح فكيف من المذموم . وقال ابن الرومى :

أرَفِّه ما أرَفهُ فى التقاضى ... وليسَ لديكَ غيرُ المطلِ نقدُ
خلا وعد مددت اليه كفى [1] ... فأعرضَ دونهُ مطلٌ يمدُّ
إذا إنجازُ وعدك كانَ وعداً ... فيكفينى من الوعدين وعد

وقال : سألتُ قفيزين من حنطةٍ ... فجدتَ بكرٍّ من المنع وافِ
وأتبعتَ منعك لى بالحجابِ ... مهلاً هُديتَ ففى المنع كافِ
كأنى سألتك حبَّ القلوبِ ... ذاك الذى من وراءِ الشغاف

وقد أجاد الآخر حيث يقول :

وكنْ عندَ ما نرجوهُ منك فاننا ... جميعاً لما أوْليتَ من حسنٍ أهلُ
ولا تعتذرْ بالشغل عنا فانما ... تناطُ بك الآمالُ ما اتّصلَ الشغلُ

---

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط « مددت اليه عينى » .

﴿ الفصل الثانى من الباب الثالث فى الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

فغضَّ الطرفَ إنك من نُمير ... فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعرودُّوا أنهم افتدوامنه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومى بثعلبة بن سعدٍ ... ولا بفزارة الشعر الرِّقابا

فو الله ياأمير المؤمنين إنى لألبس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم[1] :

هممنا بالاقامة ثم سرنا ... مسيرَ حُذيفة الخير بن بدرِ[2]

فما يسرنا أن لنا بها أو به سود النعم . فقال هانىء بن قبيصة أولئك نحن ياأمير المؤمنين ، قال ماقيل فيكم ؟ قال قول جرير :

فغضَّ الطرفَ إنكمن نُميرٍ ... فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

والله لوددنا أننا افتديناه بأملاكنا ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك مارماحُ بنى نُميرٍ ... الصدور ولا قصار ؟

فو الله مايسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والتغلبيُّ إذا تنحنحَ للقرى ... حكَّ استهُ وتمثَّلَ الأمثالا

---

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر بتتبعه قاتلى أبيه وجده حتى قتلهما وقال فى ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد فى استه لم يحكها .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال مرت امرأة ببنى نمير فتغامزوا اليها فقالت يا بنى نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر : يقول الله تعالى (قُلْ لِلمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) وبقول الشاعر : * فغض الطرف إنك من نمير * فخجلوا وكان النميرى إذا قيل له ممن أنت ؟ قال من نمير فصار يقول من بنى عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو تَرمَى بلؤم بنى كليبٍ نجومُ الليلِ ما وَضحتْ لسارى

ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنَّسَ لؤمهم وضحَ النهار

وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبدَ القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجومُ لمن يرى

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتونَ فى المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثَى يبتنَ خمائصا

وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمى ولم يمت ـ وعمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط ـ وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا عفيف وأنت عاهر وأنا وفىٌّ وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة . فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الابل مائة يطعمها مَنْ تَبِعه ومائة يعطيها الحاكم ومائة يَعقِرها إذا حكم . فأبى هرم ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبيا أن يرحلا فخلا بعلقمة وقال له : أترجو أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً لسانٌ رمح عامر أذكر فى العرب من الأحوص وعمه ملاعب الأسنة وأمه كبشة بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحياء وأمك من

النخع وكانت أمه مهيرة وأم علاثة[1] من النخع ، ثم خلا بعامر فقال له أعلى علقمة تفخر أأنت تناوئه أعلى ابن عوف بن الأحوص أعفّ بنى عامر وأحلمه وأسوده وأنت أعور عاقر مشؤوم أما كان لك رأى يزعك عن هذا أكنت تظن أن أحداً من العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعا وحضر الناس للقضاء قال أنتما كركبتي البعير فرجعا راضيين . والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنتما كركبتي الجمل لقال كل منهما أنا اليمنى فيكان الشر حاضراً . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت؟ فقال اعفنى ياأمير المؤمنين فلو قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحلوا عن هرم لما أعياهم نحو عكاظ فلقيهم الأعشى منحدراً من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقد لى حبلاً قال أعقد لك من بنى عامر قال لاتغنى عنى قال فمن قيس قال لاقال فما أنا رائدك . فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل السماء؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتمانى ففعل فقام الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموهُ فقضى بينكمْ ... أبلج مثل القمرِ الزَّاهرِ
لايأخذُ الرِّشْوةَ في حكمه ... ولايبالى غبنَ[2] الخاسر
علقمُ ما أنتَ[3] الى عامرٍ ... الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخيلَ بخيل إذا ... ثارَ عجاج الكبه الثائر
ساد وألفى رهطه سادةً ... وكابراً سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فعقروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :

أتانى وعيدُ الحوص من آل جعفرٍ ... فياعبدَ عمرٍو لونهيتَ الأحاوصا

---

(١) بياض فى الأصل ، وذكر القصة صاحب الأغانى بغير هذه الرواية . (٢) «غبن» ساقطة من الأصل فاستدركناها من بلوغ الأرب . (٣) فى الأصل « لالنت » .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمكم وبحرك ساجٍ لايوارى الدَّعامصا
كلا أبويكم كانَ فرع دعامةٍ ولـكنهم زادوا وأصبحتَ ناقصا
تبيتونَ في المشتى ملاءً بطونـكم وجاراتـكم غرثى يبتنَ خمائصا
يراقبن من جوع خلالَ مخافة نجومَ العشاء القائمات القوامصا
رمى بك فى أخراهمُ تركك الندى وفضـل أقواماً عليك مراهصا
فعضَّ حديدَ الارض ان كنت ساخطاً بفيك وأحجارَ الكلاب الرواهصا

فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه فى العار . والعرب تعير بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحدٍ لنحنُ أغلظُ أكباداً من الابل

وقال جرير :

بكى دوألٌ لايرقأ اللهُ دمعهُ ألا انما يبكى من الذلّ دوأل

وكان الحطيئة مع علقمة ولبيد مع عامر [١] فقال الحطيئة :

ياعام قد كنتَ ذاباع ومكرمة لو أنَّ مسعاةَ من جاريتهُ أمم
جاريت قرماً[٢] أجادَ الأحوصان به ضخم الدسيعة فى عرنينه شمم
لايصعبُ الأمرُ إلاحيث يركبه[٣] ولا يبيتُ على مال له قسم

وقال: فما ينظر الحكام في الفصل بعدما[٤] بداواضـح ذو غُـرَّةٍ وحُجول

---

(١) كذا في النسخ ، وفى طبقات الجمحي (وكان الحطيئة مع علقمة بن علاثة حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفى رواية (جاريت فرعا) وفي ديوان الحطيئة :

جاريت قرماً أجادالاحوصان به جزل المواهب فى عرنينـه شمم

والأحوصان : الاحوص بن جعفر بن كلاب ـ واسمه ربيعة وكان صغير العينين ـ وعمرو بن الاحوص ، كافى جنى الجنتين في المثنيين للمحبى .

(٣) فى طبقات الجمحى وديوان الحطيئة (إلا ريث يركبه) .

(٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الحطيئة .

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان فى معنييهما ولكن الناس استخفوا قول الأعشى « علقم لانت الى عامر » فمر على ألسنتهم وسقط شعر الحطيئة .

أخبرنا أبو على بن أبى جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبوعبيدة العسكرى حدثنا محمد يعنى ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمعى قال قال عبد الملك ابن مروان لأمية [1] مالك وللشاعر إذ يقول :

اذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ وليثٌ حديدُ النابِ عندالثرائد [2]

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟ قال كان أهون علىّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يابنى أمية أحسابكم أحسابكم أنسابكم أنسابكم لاتعرضوا للهجاء [3] فان للشعر مواسم لايزيدها الليل والنهار إلا جدة [4] والله ما يسرنى انى هجيت ببيت الأعشى حيث يقول :

تبيتونَ في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ولى الدنيا بحذافيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حَق من يعتريهم [5] وعندَ المقلينَ السماحةُ والبذل

هكذا رواه لنا والبيت لزهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة فى الزبرقان بن بدر :

دَعِ المكارِمَ لا ترْحَلْ لبغيتها واقعد فانك أنتَ الطاعمُ الكاسى

وأخبرنى أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إياس ويحيى ابن زياد وحماد عجرد وجعفر بن أبى وزة فى مسجد الكوفة فامتروا [6] فى أهجى بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق فى جرير :

---

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصححناه من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) فى الاصل (للفصحاء)

(٤) فى الاصل (حيرة) . (٥) في الأغانى « رزق من يعتريهم » .

(٦) فى الأصل غير منقوطة .

أنتم قرارةُ كل معدن سوءة ولكلِّ سائلةٍ تسيلُ قرار

أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرةٌ ثمّ اطمأنت كذاك لكلِّ سائلةٍ قرارُ

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

مازال فينا رباطُ الخيل معلمة وفى كليبٍ رباطُ اللؤم والعار

قومٌ إذا استنبحَ الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولى على النار

قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن وجوهاً شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أمهم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها ، وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها ببولها بينهم وبين المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قلتها كانت تطفئها ببولها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحرحانَ غداةَ كبلَ معبد نكحتْ نساؤهمُ بغيرِ مهور

وقالت بنو كليب ما هجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألستَ كليبياً إذا سيمَ سوءةً أقرَّ كاقرارِ الحليلةِ للبعلِ

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهدى من القطا ولو سلكت سُبلَ المكارمِ ضلت

وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن فى طبقته لحكم على جميع مافي معناه. وبعده وهو أبلغ ماقيل فى الاحتقار والتقليل والجبن :

ولو أن حرقوصاً على ظهرِ نملةٍ تشدُّ على صفى تميم لولّتِ

ولو جمعت يوماً تميمٌ جموعَها على ذرةٍ معقولةٍ لاستقلتِ

ولوأنَّ أمَّ العنكبوتِ بنتْ لها مظلتها يومَ الندى لاستظلتِ

ولو أنَّ برغوثاً برفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلتِ

وأبلغ ماقيل فى الخمول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافيةٌ من خلقهِ خَفيتْ عنهُ بنو أسد
قــومٌ أقامَ بدارِ الذلِّ أولهم كما أقامتْ عليه خدمةُ الوتدِ (١)

وقال ابن الأعرابى قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق فى خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل ونمرق الى حكم تعدى فضل ضلالها

وقال ابن الأعرابى وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو انَّ ثعلبَ جمعتْ أحسابها يومَ التفاخرِ لم تزنْ مثقالا

وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابى :

اللؤم أكرمُ من وبر ووالدهِ واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
قومٌ إذا جرجان منهم (٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وقال النجاشى (٣) فى بنى العجلان :

قبيلة لايغدرونَ بذمةٍ ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماءَ إلا عشيةً إذا صدرَ الورّادُ عن كلِّ منهل

فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادَى أهل لؤمٍ ورقةٍ فعادى بنى العجلان رهطَ ابن مقبل

فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لايغدرونَ بذمةٍ ولايظلمونَ الناسَ حبةَ خردل

فقال ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :

ولا يَردونَ الماءَ إلاعشيةً إذا صدرَ الورّادُ عن كلِّ منهل

---

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدركناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ماحر جانيهم » .

(٣) فى الأصل هنا « النحاس » وفى موضع آخر (النخاش) والصواب «النجاشى» وهو شاعر أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه على مافى بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للسكاك ـ يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :

تعاف الـكلاب الضاريات لحومهم ويأكلن من عوفٍ وكعبٍ ونهشل

قال أحيا[1] القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :

وما سُمي العجلان إلا لقيلهم خذِ القعبَ واحلبْ أيها العبدُ واعجل

فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ماهجاهم ولـكن سلح عليهم فتهدد النجاشي وقال ان عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى المـاء بابله ومثل قوله :

* تعاف الـكلاب الضاريات لحومهم * قول البحتري :

وردَّدتُ العتابَ عليك حتى سئمت وآخرُ الودِّ العتابُ

وهانَ عليك سخطي حينَ تغدو بعرضٍ ليسَ يأكلهُ الـكلاب

ومن التناهي في الاحتقار والخمول قول بعضهم [2] :

قالوا الأشاقر تهجوهمْ فقلت لهم ما كنتُ أحسبهم كانوا ولا خلقوا

قومٌ من الحسبِ الزاكي بمنزلةٍ كالفقع بالقاع لا أصلٌ ولا ورقُ

انَّ الاشاقرَ قـد حلوا بمنزلةٍ لو يرهبونَ بنعـلٍ عنـدنا علقوا

لا يكثُرون وإن طالتْ حياتهـمُ ولو تبولُ عليهـم فأرةٌ غرقوا

وقول الآخر * لو يحلوا بالحرير ماوجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكادُ من رقةٍ ولؤم يخفى على الباريْ القديم

وقول أبي الهيذام :

ياجعفرَ بن القاسم بن محمدٍ مالي أراك عن الندى معزولا

إني أقولُ مقالةً تجري بها لوكنتَ من كرمٍ لـكنت قليلا

وقول أبي تمـام :

ما كنت أحسبُ أنَّ الدَّهرَ يمهلني حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

---

(١) في الأصل «أحية» (٢) نسبت في العقد باختلاف في بعض الألفاظ لزياد الاعجم .

ونحوه قوله: هبْ من له شيء يريدُ حجابَهُ   ما بالُ لا شيءٍ عليهِ حجاب

وقال * وأنت أنزر من لا شيء في العدد *

ومن مشهور ماقيل في بلوى الأخيار بالأشرار قول الأول :

فلو أنى بليتُ بهاشميّ   خؤلتهُ بنو عبد الدانى

صبرتُ على عداوته ولكن (١)   تعالى فانظرى بمن ابتلانى

وشكا رجل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فلك دخل فى العدد وخرج من العدد ، يقول هو يعد فى الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداةَ إلى نزهةٍ   وفينا زياد أبو صعصعه

فستةُ رهطٍ به خمسةٌ   وخمسةُ رهطٍ بهِ أربعه

وقلت فى معناه :

أنظر اليومْ ولا تعجبك كثرتهم   فانما الناسُ قلوا كلما زادوا

ولا يهولنك من دهمائهم عددٌ   فليسَ للناس فى التحصيل أعدادُ

عجبتُ من زُهدهم فيما يزينهم   والناسُ مذ خلقوا فى الخيرِ زهادُ

ومن التناهى في صفة الخمول قول عبد الصمد فى أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثمالةَ كلَّ حيٍّ   فقالَ القائلونَ ومن ثمالة

فقلتُ محمدُ بنُ يزيد منهم   فقالوا زدتنا بهم جهالة

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أمويسُ قل لى أينَ أنتَ من الورى   لا أنتَ معلومٌ ولا مجهولُ

أما الهجاءُ فدقَّ عرضك دونهُ   والمدحُ عنك كما علمتَ جليل

فاذهب فأنتَ طليقُ عرضك إنهُ   عرضٌ عززتَ بهِ وأنتَ ذليل

فجعله دون الهجاء والهجاء فوقه فلا يهجى لضعته وقلته .

ومن ههنا أخذ ابراهيم بن العباس قوله :

---

(١) وفى نسخة « لهان علىَّ ما ألقى ولكن » .

فكنْ كيفَ شئتَ وقلْ ماتشا   وأبرقْ يميناً وأرعد شمالا
نجا بك لؤمُك منجى الذباب   حمتهُ مقاذيرهُ أن ينالا

وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فان لايرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أنى لست أجد خبراً منها فى معناها وأجود ، وقد شرطت أن لاأضمن هذا الكتاب الا كل جيد اللفظ بارع المعنى ، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تتناوله من قرب .
وأنشد الجاحظ :

ووثقتَ أنك لاتسبُّ   حماكَ لؤمكَ أن تُسبّا

وقال الآخر : بذلةِ والديك كسيتَ عزاً   وباللؤمِ اجترأتَ على الجوابِ

وقال غيره : دناءةُ عرضك حصنٌ منيع   تقيك اذا ساء منك الصنيعُ
فقلْ لعدوِّكَ ماتشتهى   فأنتَ الرَّفيعُ المنيعُ الوضيعُ

وقلت : لست الوضيعَ ولا الصغيرَ وإنما   أنتَ الوضيعُ عن الوضيع الأصغر
لاتفخرنَّ وإنْ غدوْتَ مقدَّما   فعلى جبينك سيمياء مؤخر

وقال أبو نواس :

ماكان لو لم أهجهُ غالب   قامَ لهُ هجوى مقامَ الشرفْ
يقولُ قد أسرفَ فى هجونا   وإنما زادَ بذاكَ السرفْ
غالبُ لاتسعى تبتغى العلا   بلغتَ مجداً بهجائى فقف
قد كنتَ مجهولاً ولكننى   نوَّهْتُ بالمجهولِ حتى عرف

فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم ، وقوله :

وما أبقيتُ من غيلانَ إلا   كما أبقتْ من البظرِ المواسى

ومن قديم الهجاء لمن لاينفع فى حياته وفى موته فجيعة قول بعضهم :

وأنتَ امرؤٌ منا خلقتَ لغيرنا   حياتك لانفعٌ وموتك فاجعُ

وقال ابن الرومى :

فلا تخش من أسهمي قاصداً   ولاتأمننَّ من العايرِ

ولكنْ وقاكَ معرّاتها تضاؤلُ قدرِكَ في الخاطرِ

وقال غيره:

إنى هجوتُ بكلِّ لفظٍ مقذعٍ زيداً وكان لهُ الهجاءُ مديحا

وقلت: ياأبا القاسم هل أبصرت شبهاً لك فى قبحك

ونظيراً لك فى شؤمك أو لؤمك أو شحك

إن من شبهك الكلب فقد بالغَ فى مدحك

وقلت: أهنتَ هجائى ياابنَ عروةَ فانتحى علىَّ ملامُ الناسِ فى البعدِ والقرب

وقالوا أتهجو مِثله في سُقوطهِ فقلتُ لهم جريتُ سيفى على كلبِ

وقال ابن الرومى:

خسأت كلباً مرَّ بى مرَّةً فقال مهلاً يا أخا خالدِ

حسبكمُ خزياً بنى آدم شِرْكتكم إياه في الوالد

ومثله ماأنشدناه أبو أحمد قال أنشدنى ابن لنكك [1] لنفسه:

وعصبة لما توسَّطتهمْ صارت [2] علىَّ الأرضُ كالخاتم

كأنهمْ من سوءِ أفهامهمْ لم يخرجوا بعدُ إلى العالم

يضحكُ إبليسُ سروراً بهم لأنهم عارٌ على آدم

وقلت: قلتُ للكلبِ حين مرَّ بىَ اخسأْ فكأنى كويتُ قلبكَ كيا

أترى اننى أُعدُّك كلباً أنتَ عندى إذا نبحتَ الثريا

ومن التناهى في الاستصغار والخمول قول زياد الأعجم:

إذا مااتقى اللهَ امرؤٌ وأطاعهُ فليسَ به بأسٌ وان كان من جَرْم

ولو جمعتْ جَرْمٌ على رأسِ نملةٍ لباتوا شِباعاً يضرطون من الشحم

ومن بليغ ماجاء فى الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألنى

---

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجى أهل زمانه بالمقطعات.

(٢) في رواية «ضاقت».

فلان عن رجل فقلت يساوى فلساً، فقال قد زدت فى قيمته درهمين .

ومن أبلغ ماقيل في الهجاء قول ذى الرّمة :

وأمثلُ أخلاقِ امرىءِ القيسِ أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها

ومالنتظرتْ غيابها لملمةٍ[1] ولااستؤمرت[2] فى حلّ أمر شهودها

اذا امرئيات حللن[3] ببلدة من الأرض لم يصلح طَهوراً صعيدها

وقال غيره : لعمركَ مابلى سرابيل عامرٍ من اللؤم مادامتْ عليـهِ ظهورها

وقال أبو سعيد المخزومى :

ياثابت بن أبى سـعيدٍ إنها دوَلٌ وأحراها بأن تتنقلا

هلا جعلتَ لنا كحرمةِ دعبـل فى استِ امِّ كلبٍ لاتساوى دعبلا

وقالوا أهجى بيت قاله محـدث بيت حماد فى بشار :

نُسبتَ إلى بردٍ وأنتَ لغيره فهبك ابرد نلت أمك[4] من برد

وأخبرنى أبو أحمد أخبرنى أبو الحسن الصيمرى عن أبى العلاء قال حماد عجرد

* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تهيأ لحماد في هجائى فى هذا البيت خمسة معان أوردها جرير فى الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وضعَ البعيث جدعتُ أنف الأخطل

ومن أجود ماهجي به الدعش قول دعبل فى مالك بن طوق :

الناسُ كلهمُ يسعى لحاجتـهِ مابينَ ذى فرح منها ومهموم

ومالكٌ ظلَّ مشغولاً بنسبتهِ يرمُّ منها خَراباً غـير مرموم

يبنى بيوتاً خراباً لاأنيسَ بها مابينَ طوقٍ إلى عمرِو بنِ كلثوم

---

(١) فى الشعر والشعراء (لعظيمة) . (٢) فى الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك) فاستدركناها من الأغانى وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوى [1] :

لو أنَّ موتى تميم كلهم نشروا ... وأنبتوك لقيل الأمرُ مصنوعُ
إنَّ الجديدَ إذا مازيدَ في خَلَقٍ ... تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مرقوعُ

وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحتْ مناظرُهمْ فحينَ خبرتهم ... حسنتْ مناظرهم لقبح المخبرِ

ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يغدروا ... أو يبخلوا لم يحفلوا
وغَدَوْا عليك مرجّلينَ ... كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع فى الأمهات والاخوات .

ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لنْ تلقى لهم شبهاً ... إلا التيوس على أقفائها الشعرُ
ان نافروا نفروا أو كاثروا كثروا ... أو قامروا الزَّنجَ عن أحسابهم قمروا
كأنَّ ريحهمُ فى الناس إذ خرجوا ... ريحُ الكلاب اذا مامسها المطر [2]

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (اذامامسها المطر) فجاء بتتميم حسن . وقالوا اقول جرير * نتفت شواربهم على الابواب * وقالوا اقول حسان:

أبوكَ أبو سُوءٍ وخالك مثلهُ ... ولستَ بخيرٍ من أبيك وخالكا
وإنَّ أحقَّ الناسِ ان لا تلومَهُ ... على اللؤم من ألفى أباهُ كذلكا

ومن الافراط فى صفة البخل قول ابن الرومى فى سليمان بن عبدالله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندَى ... فقد يئسَ الناسُ من فتحهِ
فلو كانَ يملكُ أمرَ استهِ ... لما طمعَ الحشُّ في سلحهِ

---

(١) فى الأصل (النبوى) ولعل صوابه (النسوى) نسبة الى نسا التى يجوز فيها نسوى ونسائى ؛ وهو ابراهيم بن إسماعيل بن يسار النسائى شاعر ابن شاعر .

(٢) فى ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ماقيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بنى كليب نجومُ الليل ما وَضحتْ لسار

ولو لبسَ النهارُ بنى كليبٍ (١) لدَنسَ لؤمهم وضحَ النهار

وما يغـدو عَزيزُ بنى كليبٍ ليطلبَ حاجـةً إلا بجارِ

وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الافراط فى الهجاء قول الآخر :

لو اطَّلعَ الغرابُ على تميم وما فيها من السوآتِ شابا

وقول الآخر :

سَل اللهَ ذا المنِّ من فضلهِ ولا تسألنَّ أبا وائـلهْ

فمـا سألَ اللهَ عبـدٌ لهُ فخـابَ ولو كانَ من باهـلهْ

وقال الآخر : ولو قيل للـكلبِ ياباهلى لأعْـوَلَ من قبح هذا النسبْ

وأنشدنى أبو أحمد أنشدنى أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهى أبيات مشهورة أوردتها لأنى لست أجد مثلها فى معناها :

ولمـا رأيتك لافاسقاً تهابُ ولا أنتَ بالزَّاهــدِ

وليسَ عَـدُوّك بالمتقى وليس صـديقك بالحـامد

أتيتُ بك السوقَ سوقَ الرَّقيقِ فناديتُ هل فيك من زائد

على رجـلٍ غادرٍ بالصـديقِ كفورٍ لنعمائهِ جاحد

فمـا جاءنى رجـلٌ واحـدٌ يزيدُ على درهم واحد

سوى رجلٍ حار منـه الشقا وَحلَّـتْ به دَعْـوةُ الوالد

فبعتك منـهُ بـلا شـاهد مَخافَـةَ أدرك بالشاهـد

وأبتُ الى مـنزلى سالمـاً وَحـلَّ البـلاءُ على الناقـد

وقد أحسن التصرف فيها فمـا قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ماقيل فى البخل قول ابن الرومى :

(١) فى الأصل « بنو كليب » والتصحيح من منتهى الطلب فى أشعار العرب .

يُقـتّرُ عيسى على نفسـهِ ... وليسَ بباقٍ ولا خالدِ
فـلو يستطيعُ لتقتيرهِ ... تنفس من منخر واحد
رضيتُ لتشتيت(١) أمواله ... يدىوارثٍ ليسَ بالحامد

والناس يظنون أن ابن الرومى ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ أن فلاناً كان يقير(٢) احدى عينيه ويقول ان النظر بهما فى زمن واحد من السرف .

ومن الفرد الذى لا شبيه له قول بعضهم :

الى اللهِ أشـكو انى بتُّ طاهراً ... فجاءَ سلولىٌّ فبالَ على رجـلى
فقلتُ اقطعوها باركَ اللهُ فيـكمُ ... فانى كريمٌ غير مدخلها رحلى

وقلت : وقفت لديكمْ للسلام عليكمُ ... وقوفى على أطلالِ سلمى وعاتكه
يرومك تسليم العفـاة كأنه ... بوادرُ طعنٍ فى الضلوع مواشكه
وما فيكمُ حرٌّ يكرمُ ضيفهُ ... ولكن إذا ما ساء أكرم نائله
وان كنتمُ ناساً وما أنتمُ بهِ ... فان القرودَ والكلابَ ملائكه

وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرفنى سبقت اليه . وقال بعضهم :

سمعت المديح أناساً دون مالهم ... رد قبيح وقول ليسَ بالحسن
فلمْ أفز منهمُ إلا بمـا حملتْ ... رجلُ البعوضةِ من فخّـارةِ اللبن

وهذا كما تراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ماتعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبى طاهر لدعبل :

أتقفلُ مطبخاً لا شيءَ فيهِ ... من الدُّنيا تخافُ عليه أ كل
فهذا المطبخ استوثقتَ منه ... فـما بالُ الكنيفِ عليهِ قفلُ
ولـكن قد بخلتَ بكلِّ شيءٍ ... فحتى السلاح منكَ عليك بخل

وأنشدنا : وإنَّ لهُ لطباخاً وخبزاً ... وأنواعَ الفوا كهِ والشراب
ولكن دُونَه حبسٌ وضربٌ ... وأبوابٌ تطابقُ دُونَ باب

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتر » .

يذودونَ الذُّبابَ يمرُّ عنه　　　كأمثالِ الملائكةِ الغضاب

وقال الخليل بن أحمد :

لا تعجبنَّ لخيرٍ زلَّ عن يدهِ [١]　　　فالكوكبُ النحسُ يسقي الأرضَ أحيانا

وقال أبو تمام :

صدِّقْ أليَّتهُ [٢] ان قال مُجتهداً　　　«لا والرغيفِ» فذاك البَرُّ من قسمه

وإن هممتَ به فافتكْ بخبزته　　　فإن موقعها من لحمهِ ودمه

قد كانَ يعجبني لو أنَّ غيرتهُ　　　على جرادقةٍ كانتْ على حرمه

وقال آخر : يَزْدادُ لؤماً على المديح كما　　　يَزدادُ نتنُ الكلابِ بالمطر

وقال :　　　خبزُ الأميرِ عشيَّةً　　　يَغدُو عليهِ يُلاعبه

وإذا بدا لجليسهِ　　　أفضى إليه يعاتبه

وتحوطُه أحراسُهُ　　　وتذبُّ عنهُ كتائبه

فالزورُ يُصفعُ عندهُ　　　والضيفُ ينتفُ شاربه

وقال آخر: فتى لرغيفهِ قرط وشنف　　　واكليلانِ من دُرٍّ وشذر

إذا كسر الرَّغيف بكى عليهِ　　　بكا الخنساءِ إذ فجعتْ بصخر

ودونَ رغيفهِ قلعُ الثنايا　　　وحَرْبٌ مثل وقعةِ يوم بدر

وقال آخر: إنَّ هذا الفتى يصون رغيفاً　　　ما إليه لآكلٍ [٣] من سبيل

هو في سفرتين من أدمِ الطا　　　ئف في سلتين في منديل

خُتمتْ كلُّ سلة برصاص　　　وسيورٍ قددنَ من جلد فيل

في جرابٍ في جوفِ تابوتِ موسى　　　والمفاتيحُ عندَ ميكائيل

وقال :　　　لنا سيدٌ واحدٌ ماجدٌ　　　يقتل في الجود آباءَهُ

لئيمٌ إذا جاءهُ طارقٌ　　　فقد جاءَه كلُّ ما ساءه

---

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من العقد .

وهل يطعمُ الناسَ فى خبزه   إذا كان يمنعهم ماءَه

فما ولغ الكلب فى لؤمه   لما زال يقذفُ أمعاءَه

وسمعت عن أبى حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكرى أبلغ ماقاله محدث في البخل قول بعضهم :

الحابس الرَّوْثَ فى أعفاج بغلته   خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافير

وأجود ماقيل فى البخل قول بعضهم :

وعدتَ فأكدتَ المواعيد بيننا   وأقامت إقلاع الجهام بلا وبل

وأجررت لى حبلا طويلا تبعته   ولم أدر أنَّ اليأسَ فى طرف الحبل

وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلى [1]   وقدر الرَّقاشيين زهراء كالبدر

يُبيتُها للمعتفى بفنائهم   ثلاثا كنقط الثاء من نقط الحبر

إذا ماتنادوا للرَّحيل سعى بها   أمامهمُ الحولىّ من ولد الذر

ولو جئتها ملأى عبيطاً [2] مجزراً   لأخرجت مافيها على طرف الظفر

غيره: يحصنُ زَاده عن كلِّ ضرس   ويُعمل ضِرسَه في كلِّ زاد

ولا يَرْوِى من الآداب [3] شيئاً   سوى بيتٍ لأبْرَهَةَ الايادى

قليلُ المالِ تُصلحهُ فيبقى   ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد

وقلت فى مثله :

يطعمُ دُونَ الشبع أولادَهُ   ويختمُ البُرْمَةَ والجفنه

لم يَرْوِ إلا خبراً واحداً   قد تَذْهبُ البطنةُ بالفطنة

وقال آخر: ظلمتك اذ سألتك ماءَ كرم   وماءُ الكرم للرَّجلِ الكريم

وقلت : لك بُرْمَةٌ نَزَّهتها   من أن تدَنسَ بالدَّسَمْ

بيضاءَ يُشرقُ نورُها   كالبدرِ في غَسقِ الظلم

---

(١) الصلى بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط : أى صحيح طرى. (٣) فى رواية «الاشعار»

لوكانَ عرضك مثلها كنتَ المَمدَّح فى الأمم
أو كانَ فعلك مثلَ قو لك كنتَ تاريخَ الكرم

ومن أبخل بيت قيل :

وما رَوَّحْتَنا لتذبَّ عنا ولكن خفتَ مرزئةَ الذباب

وقال أبو نواس يصف قدراً :

يغصّ بحلقوم الجرادَة صدرها وينضحُ مافيها بعود خلال
وتغلى بذكر النارِ من غير حرّها وتنزلها عفواً بغير جِعال (١)
هي القدرُ قدرُ الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامى عام كلّ هزال

وقال ابن الرومي :

رأى البخلَ طبّاً فهو يحمى ويحتمى فلستَ ترى فى بيته غير جائع

ومن أجود ماقيل فى زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومى :

إذا غمرَ المالُ البخيلَ وجَدْته يزيد به يبساً وان ظنّ (٢) يرطبُ
وليس عجيباً ذاك منهُ فانّهُ اذا غمرَ الماءُ الحجارةَ تصلبُ

وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :

رغيفك فى الحجابِ عليه قفل وحراسٌ وأبوابٌ منيعه
رأوا فى بيتهِ يوماً رغيفا فقالَ لضيفه هذا وديعه

وأنشدنا عنه :

له حاجبٌ دُونهُ حاجبٌ وحاجبُ حاجبهِ مُحتجب

وقال أبو تمام :

لاتكلفنّ وأرضُ وجهك صخْرَةٌ فى غيرِ منفعةٍ مؤونةَ حاجب

---

(١) فى الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال : الجِعال بالكسر : خرقة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبساً وان ظن) فاستدركناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لاتتخذْ باباً ولا حاجباً | عليك من وجهك حُجَّابُ
وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة | فركوبُه ظهرَ المنابرِ أعجبُ
وعجبت أن جعل ابن حزم حاجبا | سُبحانَ من جعلَ ابنَ حزم يحجب
وقال آخر: إحتجب الكاتب فى دَهْرِنا | وكان لايحتجبُ الحاجب
القومُ يخلون بحجابهم | فينكحُ المحجوبُ والحاجب

وقال آخر وأحسن:

وصاحبٌ أسرفتُ فى مدحه | وبخلهُ يُسرعُ تكذيبي
حجابهُ ألزمنى منزلى | وبخلهُ أحسنَ تأديبي

وقلت فى معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنبا | ولكنَّ دهراً لم يساعدك مذنب
وما الجهلُ إلا أن تقرِّظَ معشراً | خلائقهم يَشهدْنَ انك تكذب

وأنشدنا أبو أحمد:

لاخيرَ في صاعدٍ فأذكُرُهُ | والخيرُ يأتيك من يدى عمر
ليسَ لهُ ماخلا اسمهِ نسبٌ | كأنَّهُ آدمٌ أبو البشر

ومن أظرف ماقيل فى هذا الباب قول ابن الرومى:

لك وجهٌ كآخر الصكِّ فيهِ | لمحاتٌ كثيرة من رجال
كخطوطِ الشهودِ مشتبهاتٍ | معلماتٍ أن لستَ بابن حلال

وقلت: إن كانَ شكلك غير مُتفق | فكذا خلالك غيرُ مؤتلفة
من عصبةٍ شتى إذا اجتمعوا | شبهت داركم به عرفه
صورتَ من نطفٍ قداختلفت | فأتتْ خلالك وهى مختلفه
فورِثْتَ من ذا قبحَ منظرهِ | وورثت ذاك خناه[1] أو صلفه
عيرتنى أن رُحتُ فى سَمل | والدُّرُّ لاتزرى به الصدفه

---

(١) فى الأصل غير منقوطة .

وأجود ماقيل فى عظم الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :

* جسم البغال وأحلام العصافير * وقال ابن الرومي :

طولٌ وعَرْضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يحسنُ إلا وهو مَصْلوبُ

وقال وأحسن :

إذا فقتَ الذَّميمَ بحسنِ جسمٍ فلا يسبقك بالشيم الشريفة

فيصبح أفضلَ الرجلين نفسا وتصبح أعظمَ الرجلينِ جيفه

وأنشدنا أبو أحمد أنشدنى ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضُ أبي إسحقَ والموت

ويدعى العلمَ على أنهُ قد طارَ بالجهلِ لهُ الصوتُ

لا يلتقى والعلم فى مجلس أو يلتقى الادراكُ والفوتُ

وكتب ابن العميد :

وليت شعرى بأى حلى تصديت له وأنت لو توجت [١] بالثريا وتمنطقت بالجوزاء وتوشحت بالمجرة وتقلدت قلادة الفكة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت بأنوار الربيع الزاهر وشدخت فى جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح ثوباً وخضت أوضاح النهار خوضاً ما كنت إلا غفلا .

وأبلغ ماقيل فى صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبى حفص عن جعفر:

وثقيل أشدّ من غصص المو تِ ومن زفرةِ العذابِ الأليم

لو عصتْ ربَّها الجحيمُ لما كا نَ سِواهُ عقوبةً للجحيم

وأبدع ماقيل فى هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقلُ الجليسُ وإن كا نَ خفيفاً فى كفَّةِ الميزان

ولقد قلت حين طلّ على القو م [٢] ثقيلٌ أربى على ثهلان

(١) في الأصل «توجهت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين فى الأرض» وفي العقد الفريد «ولقد قلت إذ أظل على القوم» . وفيه «أباعمران» بدل «أباسفيان» .

كيف لم تحمل الأمانة أرضٌ   حملت فوقها أبا سفيان

أخذه ابن الرومي فقال :

أنتَ فضلٌ وفضلةُ الشيء لغوٌ   ثم أردفتَ ذلةَ التصغير
حُـقرَ الفضلُ ثم صُـغِّرْتَ عنهُ   زادك اللهُ ياصغيرَ الحقير
ثم عرَّجْـتَ فاحتوا لك انتقاصٌ   في اسم سوء وجسم سوء ضرير
ثم بردتَ فانتصفت من النا   ر ببردٍ يربى على الزمهرير
فقبولُ النفوس إياكَ عندى   آيةٌ فيك للطيفِ الخبير
إنَّ قوماً أصبحتَ تنفقُ فيهم   لعلى غاية (١) من التسخير
أو أناس غدوا وراحوا من الظَّرْ   فِ على حالةِ الفقير الوقير
فمتى ظفروا بزور ظريفٍ   أعجبتهم زخارفُ التزوير
كالأعاريب لم يروا درمك البـرِّ   فهم يعظمونَ خبزَ الشعير
وكذا القومُ لم يروا لجة البحـــــرفهم يكبرونَ ماء الغدير
ياثقيلاً على القلوب خفيفاً   فى الموازين دونَ وزن النقير
طر سخيفاً وقع مقيتاً فطوراً   كسفاة وتارةً كثبير

وله : وثقيل سبحانهُ من ثقيل   وتعالى عن كلِّ مثلٍ وندِّ
حمل الله أرضه ثقليها   وعلاها بثالث من أدِّ

وأجود ماقيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال سمعت المبرد يقول لم يقل فى تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول ابن أبى عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه فى كلمة :

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضله (٣)   وأنتَ جرادٌ ليس يبقى ولا يَذَرْ
له أثرٌ فى المكرماتِ يسرُّنا   وأنت تعفِّى دائماً ذلك الأثر

---

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط «لعلى خطة» وفى الأصل نقص كلمات إستكملناه من الديوان . (٢) فى نسخة « القرناء » . (٣) فى الأغانى (يعاش بوبله) .

لقــد قنعت قحطانُ خزياً بخـالد   فهل لك فيه يخزك اللهُ يا مُضر

فسمع المهدى بيته هذا فقال بل تكرمون وتؤثرون . وله فى مثل ذلك يقول فى قبيصة بن روح بن حاتم يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :

أقبيصُ لستَ وان جهدتَ ببالغ [(١)]   سعىَ ابن عمك فى الندى داود [(٢)]

شـتانَ بينك ياقبيصُ وبينـه   إنَّ المـذَمَّمُ ليس كالمحمود

داودُ محمـودٌ وأنتَ مُـذَمَّمٌ   عجباً لذاك وأنتما من عود

ولربَّ عود قـد يشقُّ لمسجـد [(٣)]   نصفاً وسائرُهُ لحشٍّ يهود [(٤)]

وقلت فى خلاف ذلك :

كم حاجـةٍ أزلتها   بكريم قومٍ أو لئيم

فاذا الـكريمُ من اللئيـــم أو اللئيم من الـكريم

سبحانَ ربٍّ قادرٍ   قدرَ البريَّةَ من أديم

فشريفهم ووضيعهم   سيان فى شرفٍ ولوم

قد قلَّ خيرُ غنيهم   فغنيهمْ مثلُ العديم

وإذا اختبرتَ حميدهم   ألفَيته مثلَ الذَّميم

لا(نفعَ فيه)[(٥)] للصغيـــرِ من الأمورِ ولا العظيم

أنظر الى كبرِ الجسو   م ولا تسلْ رفع الجسيم

وقالوا أنصف بيت قيل فى الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه   وعندَ اللهِ في ذاك الجزاءُ

أتهجوهُ ولستَ لهُ بكفءٍ   فشرُّ كما لخيرِ كما الفداءُ

---

(١) فى الأغانى (بمدرك) . (٢) في الأغانى (ذى العلا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدركناها من الأغانى .

(٤) فى النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغانى .

(٥) فى النسخ بياض ولعله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو مايقاربها وزناً ومعنى .

يقوله فى أبى سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :

أبوكَ أبٌ حرٌّ وأمكَ حُرَّةٌ　　وقد يلد الحرَّانِ غيرَ نجيب

فلا يعجبنَّ الناسُ منك ومنهما　　فما خَبَثٌ من فضةٍ بعجيب

وأخبرنا أبو على بن أبى حفص أخبرنا جعفر بن محمد قال أهجى ماقالت العرب قول الشاعر :

فصبراً على ذلِّ ربيع بن مالك　　وكلُّ ذليل خير عادته الصبر

تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلة　　وبئسَ الحليفان المذلةُ والفقر

. . . . .

ومن غير هذا الفن ماأخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح سمعنى أبو دلف أنشد :

لا يمنعنك خفضُ العيشِ في دَعَةٍ　　نزوع نفسٍ إلى أهل وأوطانِ

تلقى بكلِّ بلادٍ إنْ حللتَ بها　　أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

فقال هذا ألأم بيت قالته العرب . والنزوع ههنا رديء والجيد النزاع ، وإنما جعل هذا البيت أبو دلف ألأم بيت قالته العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمْهر : من علامات العاقل بره باخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابى : لاتشك بلداً فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيها قوابلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها جزعاً من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس .

وقلت : إذا أنا لاأشتاقُ أرضَ عشيرتى　　فليسَ مكانى فى النهي بمكين

من العقل أن أشتاقَ أوَّلَ منزلٍ　　غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين

وروض رعاهُ بالأصائلِ ناظرى　　وغصنٍ ثناهُ بالغداةِ يمينى

وانى لأنسى العهودَ إذا أتت ... بنات النوى دونَ الخليطِ ودونى

إذا أنا لم أرْعَ العهودَ على النوى ... فلست بمأمونٍ ولا بأمين

وسنذكر من هذا الباب طرفاً فيما بعد ان شاء الله تعالى [١] . ومما لاتكاد تجد أجود منه فى معناه ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال دخل بعض الشعراء على بعض الأمراء ببرقعيد [٢] فجعل ينشده وجعل الأمير يعاتب جارية بين يديه ولا يسمع منه فخرج وهو يقول :

أدبٌ لعَمرُك فاسدٌ ... مما تُؤدِّبُ بَرْقعيد

مَنْ ليس يعرف مايريـدُ ... فكيفَ يَعرفُ [٣] مانريد

من ليسَ يَضبطهُ الحديـدُ ... فكيفَ يضبطهُ القصيد [٤]

مالى رأيتك مرسلاً ... أينَ السلاسلُ والقيود

أغلا الحديدُ بأرضكم ... أم ليسَ يصطك الحديد

وقلت فى المعنى الذى تقدم :

قلَّ خيرُ ابن قاسم ... فغناهُ كعدمه

كادَ منْ خشية القرى ... يختبى فى حِرامه

جازَ في اللؤم حدَّهُ ... كأبيه وعمه

كاد يعديك لؤمُهُ ... لو تسميتَ باسمه

وقلت : قرانا بُقولاً إذ أنخنا ببابهِ ... فأصبحَ فينا ظالماً للبهائم

وقفنا عليهِ الرَّكبَ نسألهُ القرى ... ونحن على أعناق أغبر [٥] قائم

---

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثانى ص ١٨٦» .

(٢) بليدة في طرف بقعاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدرى) مكان (يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هى التى ذكرت فى معجم البلدان ، وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة يوسف البيامى . (٥) فى الأصل هنا (أعير) وسيأتى فى موضع آخر (أغبر) .

فصامَ وصوم الليلِ ليس بجائز وان جازَ في فقه [١] الاثام الاشائم

أجازَ صيامَ الليل حين استفزَّهُ تعاورُ ضيفٍ فى دُجى الليلِ عائم

فبتنا أديمَ الليلِ نطوى على الطوى كأنا على غبراءَ من ظهر واشم

وأطعمنا لما مرقنا [٢] من الدُّجى دحاريجَ لاتنساقُ في حلق طاعم

مُدَوَّرَةً سودَ المتون [٣] كأنها خصى الزَّنج لاحت تحت فيش قوائم [٤]

فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم

ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مارويناه للحطيئة ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ عنى لستَ بى أخبرَ منّى

أنا إنسانٌ برانى الله في صورةِ جنى

بل أنا الاسمجُ فى العيـــن فدَع عنكَ التظنى

أنا لا أسلم من نفـــسى فمن يسلم منى

وهجا أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :

وأحوس [٥] ولاجٌ علىَّ ورائحٌ رجاءَ نوالٍ لو أعين [٦] بجود

زَوَيتُ [٧] له وجهاً قطوباً عن الندى وأيأستهُ من وعدهِ بوعيد [٨]

فان كنتَ لاعن سوء فعلك مقلعاً فدونك فاستظهر بنعل حديد

فمندىَ مطلٌ لأيطير غرابَه مُطيرٌ ولا يدعى له بوليد

ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبرِ لشرٍّ منتظر ياشرَّ منتظر

---

(١) فى الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فيما سيأتى .

(٢) في الأصل (فرقنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) فى الأصل (قيس) .

(٥) في ديوان أبى نواس (وأخوس) بالخاء المعجمة ، ولعل ما في الأصل هو الأقرب . (٦) فى ديوان أبى نواس (لويمان) . (٧) فى الديوان (قطبت له).

(٨) فى الديوان (من نائل بوعيد) .

أنتَ اللئيم فان تصبر فمن قحة على الهوان وإن تجزع فمن خور
رأيتَ عيبك شعرى حين تامله شبيه عضّ أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن لم تترك شبهاً منه ولم تذر

وقال ابن الزمكدم :

وليلٍ كوجهِ البرقعيدىّ ظلمة وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نومٌ مشرّدٌ كعقل ابن هرون ورقة دينه[1]
على أولق فيه اختبالٌ[2] كأنه أبو جابر فى خبطه وجنونه

ومن أبلغ ماقيل فى الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورةٌ لحسبتها مسوَّمةً تدعوا عبيداً وأزلما

أى لو رأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا مسومة، ومثله قول عروة بن الورد :

وأشجع قد أدركتهمْ فوجدتهمْ يخافونَ خطف الطاير من كلّ جانب

ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كلّ شيء بعدهم خيلاً تكرُّ عليهم ورجالا

وقال أبو تمام :

موكل بفضاءِ الارضِ يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب

وأبلغ ماقاله محدث فى ذلك قول ابن الرومى :

وفارس أجبن من صفره يحول أو يعور من صفره
لو صاح فى الليل به صائحٌ لكانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جبنهِ فيرزق الجند به النصره

وقال فى سليمان بن عبدالله بن طاهر :

قِرنُ سليمانَ قد أضرَّ به شوقٌ إلى وجههِ سيدنفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

---

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهد ودينه) . (٢) فى المعجم (فيه الهعاب)

وقال فيه : هو الأسد الورد فى قصره ولكنه ثعلب المعركة

ومن ظريف ماجاء في ذلك قول أبى الغمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج عليه اللصوص فسلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانبارى :

طلّت تشجعنى ضلاً بتضليل وللشجاعة خطبٌ غير مجهول
هاتى شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لى بالنصر ماخاطرت نفسى لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعير البهاليل
لما بدتْ منهم نحوى ؟ تسرع الذّعر فى عرضى وفى طولى
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدى وانصمت أطوى الفلاميلا إلى ميل
الله خلصنى منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل

وهذا خلاف ماقاله المتنبى :

وإذا لم يكنْ من الموت بدٌّ فمن العجزِ أن تموتَ جبانا

وقال سعيد بن العاصى حين هرب مروان بن محمد :

لجَّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ لهُ عادَ الظلومُ ظليماً همّهُ الهربُ
انى الفرار وترك الحربِ إذ كشفت عنك الهوينا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلم فرعون العذاب وان تطلبْ نداه فكلبٌ دونهُ كلبُ

فشبهه بالنعامة فى الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :

نفرِجةٌ ينفرُ من ظلّ الشجرْ فؤادُهُ أنثى وضرسُه ذكر

والنّفرجة الجبان . ومن جيد ماقيل فى النظير قول بعضهم :

الكوكب الذنبيّ يخــبر بالعجائبِ بعد سبعه
خلعوا عليه وبجّلو ه وصار فى عزٍّ ومنعه
وكذاك يُفعَلُ بالجذو ر لنحرها في يوم جمعه

وقريب منه : وزارة العباس منكوسةٌ تقتلع الدّولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلعة يعجزُ عنْ لبسها
جاريةُ السوء إذا جربت ثيابَ مولاها على نفسها

وأكسل ما سمعناه ماأنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن سعيد الأموى لبعضهم :

سألت الله أن يأتى بسلمى وكان اللهُ يفعل مايشاءُ
فيأخذها ويطرَحُها بجنبي ويرقدها وقد كشفَ الغطاء
ويأخذنى ويطرَحُنى عليها ويرقدها وقد قضىَ القضاء
ويرسل ديمةً سحا علينا فيغسلنا ولا يلقى عناء

أخبرنا أبو أحمد عن أبى عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابى من أحمق الأعراب ؟ قال أعرابى سبق الناس الى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه ويقول : اللهم اقض حاجاتى قبل أن يدهمكَ الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحمق منه الذى يقول :

خلقَ السماءَ وأرضَه فى ستة وأبوك يمدد حوضه فى عام

وسألنى بعض الأدباء من أهل البصرة فقال أى الشعراء أشد حمقاً ؟ قلت الذى يقول :

أتيهُ على إنس البلاد وجنّها ولو لم أجدْ خلقاً لتهتُ على نفسى
أتيه فلا أدرى من التيهِ من أنا سوى مايقول الناس فىَّ وفي جنسي
فان صدقوا أنى من الانس مثلهم فما فىَّ عيبٌ غيرَ أنى من الانس

فقال ما عدوت ما فى نفسى . وقال بعضهم لابنه إياك والكِبْر وكيف الكبر مع النطفة التى منها خُلقْتَ والرحِم التى فيها حملتَ والغذاء الذى به غذيت .

ومن بليغ ماجاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحمد من السخاء والأدب مع الكبر والعجب . وقلت فى مثل هذا :

وعندَهُم مُذنبٌ منيب أحمد من محسن مدلّ

وأبلغ ما قيل فيصلابة الوجه قول الأعرابى : لو دُقّ بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافك لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
ياليتَ لى من جلد وجهك رقعة فأقدّ منها حافراً للأشهب

والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيته وجدت (لا) .

وقد أحسن ابن أبى العتاهية فى قوله :

قتلتْ (لا) فانها خلعتْ خلعةَ العدم[1]
فهى تستهلك الجميـــــل وتأتى على الكرم

وقول أبى تمـام :

وسابح هطل التعداء هتّان على الجزاء أمين غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه فخل عينيك فى ظمآن ريان
فلو تراه مسيحاًفى الحصى ريم تحت السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت ان لم تثبت أن حا فرهُ من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لاتلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضهُ
بذْلك كله امسا كه ويفوتُ بسطك فى المكارم قبضه
وكأن عرضك فى السهولة وجهه وكأنَّ وجهك فى الحزونة عرضهُ

وقال أبو الشمقمق :

صلابةُ الوجه سلاحُ الفتى ورِ قّةُ الوجهِ من الحرفه
من كانَ صلباً وجههُ محكماً فأنت منـــه الدّهر فى طرفه

ومن أبخل ماقاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهانى يخاطب غلامه :

إجعـل الزّوجَ من سراجك فردا واقتصد ياغـلامُ والقصد أجـدى

---

(١) فى الأصل (الحلم) .

ان يكنْ فقدك الضياء رديئاً فاقتصادي للزز أردى وأردى

وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ماقيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :

إذا ماجئتَ أحمدَ مستميحا فلا يغررْكَ منظره الأنيقُ

لهُ خلقٌ وليسَ عليهِ خلقٌ كبارقةٍ تروق ولاتريق

وممن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئت ياابنَ أبي تبّع بأمِّ الدَّواهي لدى المجمع

حلفتَ بأنك[1] من حميرٍ وليس اليمين على المدَّعي

وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسُ بآبائهم أتيتهمْ بالعجب العاجب

قلتَ وأرغمت أباً خاملاً أنا ابن أخت الحسن الحاجب

ومن أملح ماقيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أوْدَعْتهُ السرَّ فألفيتهُ أنمَّ منْ كأسٍ على راح

وقال السريُّ :

نثني عنك فاستشعرتَ هجرا خلالٌ فيك لست لها براض

وانك كلما استودِعْتَ سِرّا أنمّ من النسيم على الرِّياض

وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولاتمسك بالعهدِ الذي عَهدَتْ إلا كما يمسك الماءَ الغرابيل

وأخذه الحطيئة فقال :

أغربالاً إذا استودِعتِ سِرّا وكانوناً على المتحدِّثينا

والكانون: الرجل الثقيل ، قال الشاعر :

ليتَ الكوانينَ في زبل معلقة تحتَ الثريا بحبل ثم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بآبائك» .

وقد مر فيما تقـدم بيت الحطيئة .

ومدح ابن الرومى ابن المدبر [1] فردمديحه فقال فيه :

رَدَدْتَ علىَّ مدحى بعدَ مطل ... وقد دَنَّسْتَ ملبسه الجديدا

وقلت امدح بـه من شئتَ غيرى ... ومن ذا يقبل المدحَ الرَّدِيدا

ولاسيما وقـد أعلقتَ [2] فيـه ... مخـازيك اللواتى لن تبيـدا

ثم أخنى عليـه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الزَّنج بالاهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحترى مدحاً كثيراً فمن ذلك قوله :

ووجهٌ ضمانُ البشر فيه موقفٌ ... على النجح والحاجاتُ تترى عجالها

به من صفيح الهند وشمٌ تُبينهُ ... صفيحةُ وضَّاح يروق جمالها

متى ربدتها عزةٌ أو حفيظةٌ ... أعيد اليها بالسؤال صقالها

مـتى ترَها يوماً عليها دليلها ... تعجبك من شمس عليها هـلالها

وذكرها ابن الرومى فأفحش في قوله :

بوجه أبى اسحق صدعٌ كعرضة ... له قصـةٌ غـير الذى هو يظهـر

يخبر عنه أنه أثر ضربة ... ببعض سيوف الزَّنج حينَ يخبِّرُ

وماضربتهُ الزَّنجُ فى الوجهِ بل رأى ... أيورهمُ فانشقَّ فى وجهِهِ حرُ

في أبيات سخيفة فطالبه ابن المدبر أشد الطالب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول:

حقَّكَ الصفحُ عن ذُنوبى وحقى ... أنَّ قتلى مُحَلَّلٌ لكَ طلقُ

فاعفُ عن عبدكَ المسىءِ ولا تُبـطلْ بما يستحقُّ ماتستحقُّ

فعفا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نعماك عنـدى التى أقرُّ بها ... انك أصبحتَ لى من الغيرِ

وحبك الذمَّ لائقٌ بك ما ... أشبهَ خطم الخنزير بالقذر

أبديتَ فى أولياتِ لؤمك ما ... قذرتَ فى أخرياتهِ الآخرِ

---

(١) فى دائرة المعارف للبستانى (ابن المهدى). (٢) في الأصل (أعبقت) .

كالقطرانِ الذى يرى أبداً ... فى رأسهِ ماالقتنى من العكر

وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنىء رفيعاً والمعنى الرفيع وضيعاً . ومثل قول ابن الرومى قول الديلمى :

فى أوانِ الشبابِ عاجلنى الشيـبُ ... وهذا من أوَّل الدَّنِّ دُردى

وليس هذا بالمختار لابتذال لفظه . وقلت فى بخيل :

قفعَ البردُ ضيف عمرٍو فأضحى ... مثلَ من فيه يأخى زمانه
بات للبرد في طهارةِ سوء ... ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقرٌّ ... ولمولاهُ ذِلَّةٌ ومهانه
جمع الرأس بين رأسه ورجلى ... فكأنى فى بيته أرسانه ؟

وقلت : ضفت عمراً فجاءنى برغيف ... زادنى أكلهُ على الجوع جوعا
ثمَّ ولى يقولُ وهو كئيبٌ ... لهف نفسى على رغيف أضيعا
كانَ خداعةَ الضيوفِ ولكنْ ... رُبما أصبحَ الخدوعُ خديعا
كنتُ أنزلته محلاً رفيعاً ... فغدا ذلك الرفيعُ وضيعا
عجباً منه إذ أتيحَ هجاهُ ... كيفَ لم يمتنع وكان منيعا

(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد مابينها فى الأخلاق)

قال الأوَّل فى ذلك :

يزيد الخير إنَّ يزيد قومى ... سميك لايزيدُ ولاتزيد
يقودُ عصابةً وتقودُ أخرى ... فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبيهك فى الولادَة والتسمي ... ولكن لايجودُ كما تجود

ومثله : علىٌّ وعبدُ اللهِ بينهما أبٌ ... وشتانَ مابين الطبائع والفعلِ
ألم ترَ عبدَ الله يلحى على الندى ... عليّاً ويلحاهُ علىٌّ على البخل

ومثله : فانْ يكُ نجْرانا إلى جمع نسبة ... ففى الرأى والأخلاقِ مختلفان
وماأنتَ مثلى فى مقام أقومُهُ ... لدى البأس إلا أننا أخوَانِ

آخر: لئن وصلتْ أُبوَّتنا انتساباً لقد قطعتْ مرارتنا العقولُ
أبوكَ أبي وأنت أخي ولكنْ تباينت الطبائعُ والشكولُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قال لنا المكتفى بالله يوماً ماأهتك بيت من الشعر وأفجر قائل أتعرفونه ؟ فقال يحيى بن على المنجم قول أبى نواس:

ألا فاسقنى خمراً وقلْ لى هى الخمرُ ولاتسقنى سِرّاً إذا أمكن الجهرُ

فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقنى خمراً ، ولكن الحسين بن الضحاك الخليع قد قال ماهو أهتك من هذا قال وماهو ؟ فأنشدته:

أتبعتُ سُكراً بسكر وابتعتُ خمراً بقمر

فقال هذا لعمرى أهتك من ذاك . قال أبو هلال رحمه الله تعالى: وأبلغ الهجاء مايكون بسبب الصفات المستحسنة التى تخص النفس من الحلم والعلم والعقل وما يجرى مجرى ذلك ، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة ومافي معنى ذلك بايغاً مرضياً ؛ وينبغى أيضاً أن يتضمن الهجاء والمديح من نعوت المهجو والممدوح وأسمائهما وصفاتهما ماهما مشهوران به فاذا ذكر لم يخفيا .

أخبرنا أبوأحمدعن أبى بكربن دريدعن أبى عثمان[1] عن التوزى عن أبى عبيدة قال مدح مصعب بن عمير الليثى عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال[2]:

سيروا فقد جن الظلام عليكمُ فبئس امرؤ يرجو القرَى عندَ عاصم
دفعنا اليهِ وهو كالرخ خاطباً[3] فشدَّ على أكبادنا بالعمائم
ومالىَ من ذنبٍ اليهِ علمتهُ سوى أننى قد جئتهُ غير صائم
فلولا يدُ الفارُوق عندى رميتهُ بقافيةٍ يحدى بها في المواسم

---

(١) (أبى عثمان) غير موجودة فى الأصل فزدناها إعتماداً على ماورد فى أسانيد الكتاب فى غير هذا الموضع . (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة للحزين باختلاف في بعض الألفاظ . (٣) فى الاغانى «كالتيس طاعماً» .

فليتك من جرْم بن زبانَ أو بنى   نميم أو النوكى أبان بن دارم

أناسٌ إذا ما الضيفُ حلَّ بدارهم   غدا جائعاً غرثان ليس بناعم

فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمى عاصما حتى يقول: عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال:

جنبتها عاصماً منْ أنْ تلمَّ به   أعنى ابنَ عمرو بن عثمان بن عفانا

إذا أناختْ به الضيفانُ طارقة   جاءتْ بنوهُ إلى الضيفان ضيفانا

فبلغه ذلك فقال: الآن طوقنى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى. وقال بعضهم:

أرى ضيفك فى الدار وكَرْبُ الموت يغشاهُ   على خبزك مكتوبٌ سيكفيكهمُ الله

وقال بشار (١):

وضيفُ عمرو وعمروٌ يسهران معاً   عمرو لبطنته والضيفُ للجوع

آخر: نوالك دونهُ خرطُ القتاد   وخبزك كالثريا فى البعاد

ولو أبصرتَ ضيفاً فى المنام   لحرَّمتَ المنامَ إلى التناد

أرى عمرَ الرغيفِ يطولُ جدّاً   لديك كأنهُ من قوم عاد

وما أهجوك أنك كفء شعرى   ولكنى هجوتك للكساد

وقال آخر: رأى الصيفَ مكتوباً فظن لبخله   وتصحيفهِ ضيفاً فقامَ يواثبه

ورأيت فى ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت:

قد كانَ للمال ربا فصار فى البخل عبدَهْ   وصحفَ الصيفَ ضيفاً فقامَ يلطمُ خده

وقال أبو نواس: * على خبز إسماعيل واقيةُ البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثنى محمد بن عمران بن مطر الشامى حدثنى خالى الحسن ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبى سهل فى صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه:

خبزُ إسماعيل كالوشــــى إذا ماشُقّ يُرْفا

---

(١) من المولدين، كان رقيقاً ضريراً، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات.

عجباً من أثر الصنْـــعةِ فيه كيفَ يخفى
إنَّ رفاءك هذا ألطفُ[١] الأمة كفا
فاذا ألصق بالنصـــف من الحروف نصفا[٢]
ألطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى[٣]
مثل ماجاء من التنـــور ما غادر حرفا
ولهُ فى الماء أيضاً عملٌ أبدع ظَرْفا
مزجهُ العذب بماء الـــبئر كيْ يزداد ضعفا
فهو لا يسقيك منهُ مثل مايشرب[٤] صرفا

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعانى وهى كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضا :

على خبز إسماعيل واقيةُ البخل ... فقدحلَّ فى دارالأمان من الأكل
وما خُبزُهُ إلا كعنقاءِ مُغْربِ ... تصوَّرُ فى بسطِ الملوك وفي المثل
يحدِّث عنها الناسُ من غير رؤيةٍ ... سوى صورةٍ ما ان تمرُّ ولا تحلى
وماخبزُهُ إلا كآوى يرى ابنهُ ... ولم يرآوى فى الحزون وفي السهل[٥]
وماخبزه الا كليب بن وائل ... ليالىَ يحمى[٦] عزُّه منبتَ البقل
وإذ هو لايستبُّ خصمان عندهُ ... ولاالصوت مرفوعٌ بجدٍّ ولاهزل
فانْ خبزُ اسماعيـل حَلَّ به الذى ... أصابَ كليباً لم يكنْ ذاك عنْ ذلٍّ
ولـكن قضاءٌ ليسَ يسطاعُ رَدُّهُ ... بحيلةِ ذى مكرٍ ولادهى ذى عقل

وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذ هو لايستبُّ خصمان عندهُ * على قول مهلهل * واستبَّ بعدك يا كليبُ المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومى :

---

(١) فى ديوان أبي نواس « أحذق الامة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل بالنصف من الجردق نصفا » والجردق: الرغيف. (٣) فى الديوان (بمغرز أشفى) . والاشفى بالـكسر: المثقب. (٤) فى النسخ(يشرب)مكان (يسقيك)وبالعكس. (٥) في ديوان أبي نواس «فى حزون ولاسهل» . (٦) فى الديوان «ومن كان يحمي» .

وقينة أبرد من ثلجة　　تظلُّ منها النفسُ فى ضجة

كأنها من نتنها ثومةٌ　　لكنها في اللونِ أترجَّه

تفاوتتْ خلقتها فاغتدتْ　　لكلِّ من عطل محتجه [1]

كأنها والوشمُ فى جلدها　　زرنيخةٌ شيبتْ بليلنجه

خرَّاجةٌ للفسق دخَّالَةٌ　　تعجبها الدخلة والخرجه

كأنما فقحتها فحمةٌ　　فت عليها عابث ثلجه

وهى أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله ✲ فهى لمن عطل محتجه ✲
إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأُسقيتْ نعمى تسربلتها　　كم حجَّةٍ فيها لزنديق

وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحتَ فماذا اعتضتَ قلتُ لهم　　خرقَ النعالِ وإخلاق السراويل [2]

ذاك الأميرُ الذى طالتْ علاوتهُ　　كأنهُ ناظرٌ فى السيفِ بالطول

وكان جعفر طويل الوجه والقفا . وقال فيه أيضا ✲ قفا ملك يقضى الهموم على بثق ✲

وقلت :　سوداء يَذْرِفُ دمعها　　مثلَ الاتونِ إذا وكفْ

وكأنها منْ قبحها　　سلحُ العليلِ على الخزفْ

وقال أبو تمام :

فأشهدُ [3] ماجسرتَ عليّ إلا　　وزيدُ الخيلِ دونك فى الشجاعه

ووجهك إذ رضيت به نديما　　فأنتَ نسيجُ وحدك فى القناعه

ولو بدلتَهُ وجهاً إذا لم　　أصلِّ به نهاراً فى جماعه

ومن أعجب ماقيل فى كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مَرَّ عبدُ اللهِ فى السوق راكباً　　لهُ حاجبٌ من أنفه وهو مطرقُ

رعيت له من جانب السوق مخطة　　توَّهمت أنَّ السوق منها سيغرقُ

---

(١) فى الأصل « فهى لمن عطل محتجة » . (٢) فى ديوان أبى نواس « إبلاء السراويل » . (٣) فى ديوان أبى تمام « فأقسم » .

فأقذر به أنفاً وأقذر بربه على وجهه منه كنيفٌ معلقُ

وقال غيره : أنتَ في البيت وعرنينُـــك في البيت يطوفُ

ومن أقبح ماجاء فى قبح الاسنان قول جرير :

اذا ضحكت شبهت أنيابها العلى خنافس سودا فى صراة قليب

وانما خص الأنياب العلى دون السفلى لانها تبدو فى التبسم والتكلم وعند التثاؤب ، وهو كقول الآخر :

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لأفقرَ منى انى لفقـــيرُ

فشبه أسنانها بالخنافس وسعة فمها بالقليب ، والصراة : الماء الفاسد فشبه به فساد نكهتها .وأخبرنا أبوأحمد عن أبى بكرعن الرياشى عن ابن سلام قال دخلت ديباجة المدنيّة على امرأة فقيل لها كيف رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قربة وكأن ثديها دبة وكأن استها رقعة وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عرفه يقاتل ديكاً .

ومن بديع الهجاء بالتبزق والتمخط والبخر قول ابن الرومى :

تحسبُ مزكوماً وان لم تزكم من سدَّة في أنفك المورَّم

محشرج الصدر برَطلىّ بلغم إنْ لم تنخع مَرةً تنخم

نخامةً كالضفدع الموشّم دكناء رقطاء بقيح أودم

ممتخطاً بالكوع أو بالمعصم تضرطُ من أنفٍ وتفسو من فم

ذا نكهة من لم تمته يصدم حتى دعاك الملأُ ارحم ترحم

وقال جحظة (١) في البخر :

تنفسَ فى وجهى فكدتُ أموتُ وأعرَضَ عنى جانباً فحييتُ

ونسى ؟ حتى حسبتُ بأننى وربكما ياصاحبىَّ خربتُ

وقال بعضهم فى سرعة الكلام :

كأنَّ بنى رالانَ إذجاءَ جمعهمْ فراريجُ يلقى بينهنَّ سَويقُ

---

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي ، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة .

وقال دعبل في قصر الشعر :

فـوهاءُ شوهاءُ لهـا شـعرةٌ كأنها خمـلٌ عـلى مسح

وقال ابن المعتز فى أمرد ينتف :

وَخـدُّهُ مُشوكٌ مزوَّرُ التلويز كأنهُ قرنيـةٌ كثيرةُ الشونيز
وأنفهُ كسترةٍ مشترق الافريز[1] تحسبهُ اذابدا سماجة النوروز

وقلت : لعبَ الزّمانُ بحسن وجه محمدٍ لعبَ الصبا بالرَّبع حتى أقفرا
قد كانَ معروفَ الجمالِ فلم يَزَلْ ينتابُهُ[2] الحدثان حتى أنكرا
عهـدى بهِ متكفرٌ متعصفر ثم اغتدى متصندلاً متزعفرا
وكأنمـا صـدغاهُ في وجناتهِ جعـلان ينتابان سلحاً أصفرا

وقال ابن الرومي فى غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أنا كعبة النيك التى نصبتْ له فتلق منى[3] حيث شئتَ وكبر
فتبيتُ بينَ مقابلٍ ومـدابرٍ مثـلَ الطريقِ لمقبـلٍ أومدبر[4]
كأجيرى المنـشار يجتـذبانهِ متنازعـينِ فى فليج صنوبر

ولاأعرفه سبق الى هذاالمعنى وهو من أظرف معنى وأعجبه .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعانى :

رأيتُ فى دار حسين مشرعه وامرأةً قاعدة مربعة
لها بظورٌ فى استها مجمعه كأنها أترجةٌ مقمعه

وقال فى خصى أراد أن يتزوج بامرأة :

قل لنجح أخطأتَ بابَ النجاح إذ تعاطيتهُ[5] بلا مفتاح
لستَ بالسابح المجيدِ فدع عنـك ركوبَ البحارِ للسباح

---

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمة من النقط . (٣) فى ديوان ابن الرومى (فتلق منها) . (٤) فى الديوان (ولمدبر) . (٥) فى ديوان بن الرومى المخطوط (بل تعاطيته) .

فظع الحبّ بالخصيّ كما يفـــظع فقد المردى بالملاح
ليتَ شعرى بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسيرَ النجاح
أبوجه كأنه وجهُ قردٍ حائل اللونِ جامد المصباح
نمشة فوق صفرة فتراه كونيم الذُّباب فى اللقاح
إنما أنتمُ فقاحٌ فمهلاً ماغناء الفقاح في الأحراح
إنَّ من يعشق النساء بلا أيـــر كمثل الغازى بغير سلاح
لنْ يكونَ الطعانُ إلا برمح فدعوا[1] الطعن للطوال الرّماح
ثم قال : معشراً شبهوا القرود ولـكن خالفوها فى خفة الأرواح

وهى طويلة . ومن أعجب ماقيل فى البخر قول الخالدى في رجل حلق سباله بعد أن أطاله :

حلقتَ سبالك جهلاً بما يوارى من النـكرات القباح
فعذبت صحبك حتى المساء وعذبتَ عرسك حتى الصباح
فلا أبعد اللهُ ذاك السبال فقد كانَ ستراً على مستراح

وقال ابن السكن :

رجلٌ يعقُّ الـكأس كلَّ عشية ويعاقب المسواك كلَّ صباح

وقلت : قال لى صاحبي وقد صفقته نفحات الـكروس من في وصيف
لعنَ اللهُ ليلة بتُّ فيها مع رفيقى كأننا فى الـكنيف

وقد أبدع ابن الرومى فى قوله :

فسا على القوم فقالوا له إنْ لم تقم من بيننا قمنا
فقال لاعدتُ فقالوا له من يفس فيهِ ذا كما كنا

وقال أيضاً يذكر قينة :

مسمومة[2] الرِّيق إذا قبلتْ صحفت التقبيل تقتيـــلا

---

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتركوا) .

(٢) فى الاصل «مسحوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومى المخطوط .

قبلها جـــلمود عرارة يحسنُ للبخـــراءِ تقبيلا
فاحشةُ النقصانِ لـكنها قـد كملتْ بالبظر تـكميلا
أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطولِ البـظرِ تفضيلا
إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أعارتْ بظرها الفيـلا
غول يبيت الشرب من قبحها يرونَ في النوم التهاويلا
ماأحسنَ الأرقم طوقاً لهـا وأحسنَ الأسود اكليـلا
قد عَذَّبَ اللهُ أمراً نالها طورَيْنِ تعجيلاً وتأجيلا
لها ضراطٌ ريحهُ عاصفٌ يطفىء فى الليـــلِ القناديلا
حلت سراويلى على واسع ماخلتـــه إلا سراويلا
أحللت تنـكيلى بباب استها فـكان للتنـكيل تنـكيلا
لو رامت التوبةَ لم تستطعْ لسنة الشيطان تبـديلا
يابسة العـود وقد ذللتْ قطوفها للنيل تذليـــلا

وهى طويلة عجيبة ليس لأحد فى ملاحتها وعلوجودتها وكثرة معانيها شىء .

ومما قيل فى طول اللحية قول ابن الرومى :

ولحية لو شاءَ ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج (١)
بنسج مسحين لخان الدّارج (٢) وفَرّق الباقى على الـكواسجِ

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم ترَ أنَّ الله أعطاك لحيةً كأنك منها قاعدٌ في جوالق

وقال الآخر : ألم ترَ أنَّ اللهَ أعطاك لحيةً كأنك منها بين تيسين قاعدُ

وكان العوفى إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه واذا كلمه انسان من الجانب الآخر التفت اليه فخلصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الـكتاب

---

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص كثير فى الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) فى الديوان (الدبزج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :

لحيةُ قاضى القضاةِ لوجهدتْ مجهودَها لم تكنْ كمنفقته
إذا أرادَ الكرَى توسَّدَها فقد كفتهُ مكانَ مرفقته

وقال رقبة بن مصقلة لأبى شيبة القاضى : لوكانت لحيتك هذه من الذنوب لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلتُ : قلْ للمدلِّ بلحيةٍ موْفورَةٍ وسما ولحيةُ كلِّ ألحى جهلهُ
لايعجبنك طولُ نبذك إنَّه من طال لحيتهُ تكوسج عقلهُ

وقد أجاد ابن الرومى وأبلغ وجمع فى أبيات من المعانى مالم يجمعه أحد في هذا الباب وهو قوله :

ان تطلْ لحيةٌ عليك وتعرضْ فالمخالى معروفةٌ للحمير
علقَ اللهُ فى عذاريك مخلا ةً ولكنها بغيرِ شعير
لو غدا حكمها علىَّ لطارتْ في مهبِّ الرِّياح كلَّ مطير
ارع منها الموسى فانك منها شهدَ اللهُ في أثام كبير
أيما كوسج رآها فيلقى ربَّهُ بعدها صحيحَ الضمير
هو أحرَى بأن يشكَّ ويغرى باتهام الحكيم فى التقدير
ماتلقاك كوسجٌ قطُّ إلا جوَّزَ اللهَ أيما تجوير
لحيةٌ أهملتْ فطالتْ وفاضتْ فاليها تشيرُ كفٌّ المشير
مارأتها عينُ امرىء مارأتها قطُّ إلا أهلَّ بالتكبير
روعةٌ تستخفهُ لم يرعها من رأى وجهَ منكرٍ ونكير
فاتَّق الله ذا الجلال وغير منكراً منك ممكنَ التغيير
أوفقصر منها فحسبك منها قيد شبرٍ علامة التذكير
لو رآها النبيُّ يوماً لأجرى فى لحى الناس سُنَّةَ التقصير
واستحبَّ الاحفاءَ فيهنَّ والحلـ ـقَ مكانَ الاعفاءِ والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أحفُوا الشَّوارِبَ وأعفُوا عن اللحى[١] » .

وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدَةُ البعضِ منَ البعضِ

مضى الى السوق وعُثنونه أقامَ فى البيتِ فلم يمض

وهو إذا ما مَرَّ فى سكةٍ يملأها بالطول والعرض

يَدُوسُها الناسُ بأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجماز كان لبعض أصحابنا فى الظاهرة تل تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللبن وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء القالب فقلت له ليس فى قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إني سأخرجها من القالب قبل ضرب اللبن وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلا ، قال فلما رأيت حمقه قلت محتاج أن يضرب فى كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .

وقال الناجم : لابن شاهينَ لحيةٌ طولُهُ شطرُ طولها

فهو الدَّهرَ كلُّهُ عاثرٌ فى فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعانى والشرط المتقدم لتركت التشنيع الملفوظ من المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخيف الشعر لسقطت عنهم فوائد كثيرة ومحاسن جمة موفورة فى مثل شعر الفرزدق وجرير والبعيث والأخطل وغيرهم ولو لم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة إياها بذلك خطأ وهذا محال[٢] .

ومما قيل فى الدمامة وقصر القامة ما ينسب لأبى نواس وهو لغيره[٣] :

اذا استنَّ في قوهيةٍ متبختراً فقل جرذٌ يستنُّ في لبنٍ محضِ

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وغيرهم بألفاظ مختلفة ـ كما في كشف الخفا . (٢) ولكن للكناية محاسن ، وفى معنى الحديث الشريف ان الله يكره الفحاش البذىء اللسان . (٣) نسبها القالى فى الامالى لرجل من أهل الكوفة : وفيها : إذا راح فى قبطية متأزراً فقل جعل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرئت من استك بيضة لما انكسرت من قرب بعضك من بعض

وقال غيره : ألا يا بيدق الشطرنج في القيمة والقامه

وقال آخر : يعثر الناس في الطريق من دمامته ؟

وقال آخر : فقام الى الغلام أسى وغيظا بقد لم يزد فيه القيام

وقال ابن الرومي : أأنت تشتم عرضي وأنت في طول أيري

وقال الناجم : ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص

كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثمان والقرص

وقال : وعازب الرأي ضعيف مغرور مكاثر في العلم وهو مكثور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر : كأنهم كلي غنم الأضاحي إذا قاموا حسبتهم قعودا

وفي غير هذا المعنى قول الآخر :

إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فحم

وقال ابن الرومي في القبح والسواد :

وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالستر

كأنما تأوي اليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر

وقال ابن طباطبا في مجدور :

ذو جدري وجهه يحكيه جلد السمكه

أو جلد أفعى سالخت أو قطعة من شبكه

أو حلق الدرع اذا أبصرتها مشتبكه

أو سفر محبب أو كرش منفركة

أو منخل أو عرض رقعته منهتكه

أو حجر الحمام كم من وسخ قد دلكه

أو كور زنبور اذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء اذا ظهر فيه حبكه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكه
يبغضه من قبحه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جُدَرِيٌّ ما شأنها وهي شينُ ... كلُّ أثرفي ذلك الوجه نقشُ
بدلتْ من ضفائر وقرونٍ (١) ... حملَ أنف فيه لفرخين عشُّ

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهرُهُ وباطنه ... وأمرَّ مخبرهُ ومنظرهُ
شعرٌ تجدَّدَ في عوارضهِ ... مثل المكا الرطبِ تسفرُهُ

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم فصادف على بابه غلامين أسودين كالفحم متعممين بعمامتين حمراوين فامتحنهما فوجدهما من الأدب خاليين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيتُ بباب الدار أسْوَدَيْنِ ... ذَوَيْ عمامتينِ حمْرَاوَيْنِ
كجمرَتينِ فوقَ فحمتينِ ... قد غادرَ الروض قرير العين
جدٌّ كما عثمانُ ذُو النُّورَيْنِ ... فإنهُ أنسلَ ظُلمتين
يا قبحَ شينٍ صادرٍ عن زَيْن ... حدائد تطبعُ من لجين
ما أنتما إلا غُرابا بَيْن ... طيرا فقد وقعتما
ردا ذوي ا في المصرين ... المظهرين الحبَّ للشيخين
وخليا الشيعةَ للسبطين ... لا تبرما إبرامَ رَبِّ الدين
ستعطيانِ في مدى عامين ... صكاً بخفينِ الى حُنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

---

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كرت على اللؤم[1] بما ساده　　وساءه كرّتك الخاسرَهْ
أسهرتَ عينَ اللؤم منذ انطوتْ　　عليك أثوابُك بالساهرَهْ
قد كانت الدُّنيا شفتْ لوعتى　　منك ولكن أُخذْتَ بالآخره
يا أسدَ الموت تخلصتهُ　　من بين لحيى أسد القاهره
أجارك المكروهُ من مثله　　فاقرة نجتك من فاقره

وقال فيه : وتصوّر القبرُ الذى ضمنته[2]　　حتى ظننا أنهُ المقبور

فأتيح لأبى تمام مخلد الموصلى فهجاه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطائىُّ غادتهُ　　من المنى وقطمان من الكمر
حر الحلاق وبردُ الشعر اتلفه　　فجاءهُ الموتُ من حرٍ ومن حصر

ومما قيل فى البرد أيضاً قول بعضهم فى المبرد :

ويوم كنار الشوق فى القلب والحشا　　على أنَّهُ منها أحرُّ وأومد[3]
ظللتُ به عند المبرّد قائلا　　فما زلتُ فى ألفاظه أتبرد

وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل بيتين من شعره . ومن جيد ماقيل فى برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده ِ يجمد روحى　　ضَرَبَ اللهُ شقه بغنائه

وقال غيره : غنى لنا نصرٌ فقلنا له　　مصعبُ جرّاك على السبع
وحرّكَ العودَ بأطرافه　　فكان يحتاجُ الى الصفع
فقمت من مجلسه هارباً　　أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم :　　ومغنٍّ بارد النغـــمة مختلّ اليدين
ماراه أحدٌ فى　　دارِ قومٍ مرّتين
صوته أقطع للـذ　　ات من صيحة بين

---

(١) فى ديوان أبى تمام (على البخل) . (٢) فى الديوان (الذى أسكنته) .
(٣) الوَمد : الحرّ الشديد مع سكون الريح .

وقلت : قد أسمعتنا غناءً لا خلاقَ به   كما تحرّك آذان السنانير
حتى إذا ارتفعت فى الصوت لا ارتفعت   أهدت لسمعى تهديرَ الخنازير
وكلما انخفضتْ فيه مزمزمة   خلت الزنابيرَ تشدو فى القوارير
لا تحد عنه بأبوابٍ مصبعة   نصبتهنَّ شراكاً للمدابير

وقال ابن الرومى :

واذا غنت ترى في حلقها   كلّ عرقٍ مثلَ بيت الأرَضه

وقال الناجم : وقنية شتمها قنوتُ   أحسن أصواتها السكوت
مفقودة الكل غير بطن   مثقل فهى عنكبوت

وقال غيره : كأن أبا الحسين اذا تغنى   يحاكى عاطساً فى عين شمس
يلوك لسانه طوراً وطوراً   كأنَّ بضرسه ضرَبانَ ضرس

وقال المصيصى : وتحسب الندمان فى حلقه   دجاجةً يخنقها ثعلب
ماعجبي منه ولكننى   من الذى يعجبه أعجب

وقلت فى عواد : يقول لنا غيرما يضرب   ويضربُ غير الذى نحسب
ككيسان يكتبُ غيرَ الذى   يقول المحدّثُ والمكتب
فيكتبُ غيرَ الذى قاله   ويقرأ غير الذى يكتب
فصمتاً إذا شئتَ اطرابنا   فنحن إذا قلتَ لا نطربُ
ولا ناسى ؟ إذا جئتني   فانى إذا جئتنى أذهب

وقلت : تغنى لنا فجعلنا عليه   عمائم تنزع جلدَ القفا
جعلنا اللطامَ لها لحمةً   ونتفَ الشوارب فيها سدى

ومن جيد ماقيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحى قول البسامى :

قالوا تغيرَ عن ملاحته   قلتُ الزمان يريكمُ العبرا
يازهرةً ومحاسناً مُسخت   ماذا لحاه الشعر لو شعرا
قد كانت الأبصارُ تجرحه   واليوم يجرحها إذا حضرا

وقال سعيد بن حميد :

فالآن حين بدت بخدك لحية ذهبت بملحك ملء كف القابض

وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلقة الـرحمن عمـا خلقت

تب وخف الله على كفك ممـا اجترحت

هل لك عذر عنده إذا الوحوش حشرت

بلحية ان سئلت بأى ذنب نتفت

وقلت : حصلت فى سى ذا غلطة كأننى مشط ابن منصور

يالحية هتك أستارها بأصبع منه وأظفور

فخده من سح ؟ تارة وتارة من قشر بلور

فتارة كالمسك في لونه وتارة فى لون كافور

يعجبه المرد فيحكيهم حـكاية زور من الزور

يقول ما أحسن رب الورى إذ غرس الظلمة فى النور

وقلت : من شقوة المرد أن تبدو شواربهم مسودة قبل أن تبدوا عوارضهم

ياويحهم من لحى جدت مناقشهم فيهن أو لعبت فيها مقارضهم

قد أتيت فى هذا الفصل على مافيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث فى الاعتذار ﴾

الاعتذار أيدك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك و بين خالقك هلكة وفيما بينك و بين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلبة وهجنة فعليك به إذا واقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذللك فيه فربما استثير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة النذلة ورب محبوب فى مكروه * والمجد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لايثبت لباطله والحقيقة لاتقوم مع تخييله وتمويهه وان رده لايسمع مع الكذب اللائح فى

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذبياني في الاعتذار شعر فيه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشي المتجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال:

وإذا لمستَ لمستَ أخثم (١) جاثما ... متحيزاً (٢) بمكانه ملءَ اليد

وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ ... رابي المجسَّةِ بالعبيرِ مقرمد

وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصف ... نَزْعَ الحزَوَّر بالرشاء المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة مازال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الايقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سوَّدَتْ عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لا عظامياً . فانطلق النابغة الى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدهم عليه فأمنه وراسله في المصير اليه فصار اليه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلمْ أتركْ لنفسكَ ريبةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهبُ

لئنْ كنتَ قد بُلغتَ عني خيانَةً ... لمبْلغُك الواشي أغشُّ وأكذب

ولستَ بمستبق أخاً لا تلمُّهُ ... على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنهِهِ ... أتاني ودوني راكسٌ فالضواجع (٣)

---

(١) في الأصل «أجثم» . (٢) في الأصل (متحيراً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجع : موضع .

فبتُّ كأنى ساورتنى ضئيلةٌ … من الرُّقش فى أنيابها السمُّ ناقعُ
أتانى أبيتَ اللعنَ انك لمتنى … وتلك التى تستك منها المسامعُ

إلى أن قال :

فان كنت لاذو الضغن عنى مكذِّبٌ … ولا حالِفى على البراءة نافعُ
ولا أنا مأمونٌ بشىء أقولهُ … وأنت بأمر لامحـالةَ واقعُ
فانك كالليـل الذى هو مدركي … وان خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسع

وقال : أنبئت أنَّ أبا قابوس أوعدَنى … ولا قرار[1] على زأرٍ من الأسد
مهلاً فِداءٌ لكَ الأقوام كلهم … وما أُثمِّرُ من مال ومن ولد
لا تقذفَنِّى بركن لاكِفاءَ له … وان تأثَّفكَ الاعداء بالرِّفد [2]
ما قلت من سيء مما أتيت به … إذاً فلا رفعتْ سوطي الىَّ يدى
ها إنَّ ذى عذرة إلا تكن نفعت … فأنَّ صاحبها قد تاه في البلد [3]

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضرا مطرفة بالجواهر ، وقد ذكرنا الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول : لولم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلها وقصيدته فى صفة البركة ٭ ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها ٭ واعتذاراته فى قصائده إلى الفتح التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته فى دينار التى وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهى التى أولها ٭ ألم تر تغليس الربيع المبكر ٭ وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس فى زمانه فكيف وقد انضاف إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه فى قصائده . فمن اعتذاراته قوله فى قصيدته التى أولها ٭ لوت بالسلام بناناً خضيبا ٭ فقال فيها :

---

(١) في ديوان النابغة (ولا مقام) . (٢) أى احتوشوك فصاروا حولك كالاثافى ، والرفد جمع رفدة وهي العصبة (٣) فى ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النكد) .

فدَيْناكَ من أيِّ خطب عرا ... ونائبة أوشكتْ أن تنوبا
وإن كان رأيك قد حالَ فيَّ ... فلقيتني (١) بعد بشرٍ قطوبا
يريبني الشيء تأتى به ... وأكبر قدرك أن أستريبا
وأكرهُ أن أتمادى على ... سبيل اغترار فألقى شعوبا
أكذِّب نفسى بأن قد جنيت (٢) ... وما كنت أعهد ظنى كذوبا
ولو لمْ تكنْ ساخطاً لم أكنْ ... أذمُّ الزَّمانَ وأشكو الخطوبا
أيصبحُ وردىَ في ساحتيك ... طرقاً ومرعاىَ محلاً جديبا
وما كانَ سخطك إلا الفراق ... أفاض الدُّموعَ وأشجى القلوبا
ولو كنتُ أعرف ذنباً لما ... تخالجنى الشكُّ في أن أتوبا
سأصبرُ حتى ألاقي رضاك ... إما بعيداً وإما قريبا
أراقبُ رأيكَ حتى يصحَّ ... وأنظرُ عطفك حتى يثوبا

وقوله: عذيرى من الايام رنقن مشربى ... ولقيننى نحساً من الطير أشأما
واكسبننى سخط امرىء بتُّ موهناً ... أرى سخطه ليلاً مع الليل مُظلما
تبلجَ عن بعض الرِّضا وانطوى على ... بقية عتب شارفتْ أن تصرَّما
إذا قلت يوماً قد تجاوزَ حدَّها ... تلبثَ في أعقابها وتلوَّما
وأصيد إن نازعْتَهُ الطرف (٣) ردَّهُ ... كليلاً وإن راجعتهُ القولَ جمجما
ثناه العدى عنى فأصبح معرضاً ... وأوهمه الواشون حتى توهما
وقد كان سهلاً واضحاً فتوعَّرت ... رُباه وطلقاً ضاحكاً فتجهما
أمتخذٌ عندى الاساءة محسنٌ ... ومنتقمٌ منى امرؤٌ كان منعما
ومكتسبٌ فيَّ الملامةَ ماجدٌ ... يرى الحمدَ غنماً والملاحة مغرما
يخوفنى من سوء رأيك معشرٌ ... ولا خوف إلا أن تجور وتظلما

---

(١) في الاصل (فأوليتنى) (٢) فى ديوان البحترى (أكذب ظني بأن قد سخطت).

(٣) في ديوان البحترى (نازعته اللحظ).

أعيذك أن أخشاك من غير حادث تَبيَّن او جرم اليك تقدَّما
ألست الموالي فيك نظم[1] قصائد هي الانجم اقتادتْ مع الليل أنجما
أعِدْ نظراً فيما تسخطتْ هلْ ترى مقالاً دنيئاً أو فعالاً مُذَمَّما
رأيت العراق ناكرتني وأقسمتْ عليَّ صروف الدَّهر أنْ أتشأما
وكان رجائي أن أؤوبَ مملكا فصار رجائي أن أؤوب مسلما
حياء فلم يذهب بي الغيُّ مذهبا بعيداً ولم أركبْ من الامر معظما
ولم اعرف الذَّنْب الذي سؤتني له فأقتال نفسي حسرةً وتندُّما
ولو كان ما خبرتهُ أو ظننته لما كان غرواً أن ألومَ وتكرما
أذكرك العهد الذي ليس سؤدداً تناسيه والودَّ الصحيحَ المسلما
وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً وأنجدَ في أعلى البلادِ وأتهما
أقرُّ بما لم أجنه متنصلاً اليك على أنى أخالك ألوما
ليَ الذَّنب معروفاً وان كنتَ جاهلا به فلك العتبي عليَّ وأنعما
ومثلك من أبدى الفعالَ أعادةً وان صنعَ المعروف زاد وتمما

ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثمن خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتي اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في التنصل مما فرط فتفضل عليّ بالقبول لئلا يلحقني هجنتان هجنة تذللي لك وأخرى ردك لي . وقد قيل : ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم: لما تعذر عليّ العذر جعلت معولي على فضلك أبلغ عذر أقدمه وأقوى سبب أؤكده . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكري عن ابراهيم الندى قال قلت لرجل : ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس ؟ قال انى لم أسمع شيئاً أحسن من بناء حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولأني لا أبلغ

---

(١) في ديوان البحتري (غر قصائد)

المجهود ولا أسأل من لا يجود وليس صدق العذر عندى بدون انجاز الوعد ولا اكداء السائل بأغلظ من الاجحاف بالمسؤول ولا أرى السر أغبالى بالمسألة بحسن ظنه بى أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذى يتحمله من لدى والعرب تقول ان مع الهيئة الخبيثة والفرصة خلسه فثب عند صدور الأمور ولاتتبع اعجازها . وقال ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار فى التقاضى قول بعضهم :

هززْتك لاأنى ظننتك ناسياً لوعدٍ ولا أنى أردْتُ التقاضيا
ولكن رأيتُ السيفَ فى حالِ سله الى الهزِّ محتاجاً وان كان ماضيا

ومن مليح ما يجرى فى هذا الباب ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبي عن أبيه عن شيخ من قريش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك : ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذه بعض المحدثين فقال :

فان عاقبتنى فبسوءِ فعلى وما ظلمتْ عقوبةُ مستفيدِ
وان تغفر فاحسانٌ جديدٌ دعوتَ به الى شكر جديدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل حبلك ومتعك بأحبتك وأعطاك مأمولك فى نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحبابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل للهجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك فتعيش فى ضمان الفرح ويبوء حاسدك باعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .

العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم وينحردون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة واظهار المروءة فى تنظيف اللباس وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه حقه واسلك به طرقه وتأمل ماأهديت اليك فيه فانه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك ويكبت لائمك فيه ويكون جلاءً لناظرك وشحذاً لخاطرك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى التشبب وأوصاف الحسان ومايجرى مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعانى ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرىء القيس :

وماذَرَفتْ عيناكِ إلا لتضربى بسهميكِ في أعشار قلب مقتل

يقول مابكيتِ إلاّ لتجرحى قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة اعشار اذا كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعنى عينيها ، والمقتل المذلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنةُ البكرىّ عن فرع ضالة وهنَّ بنا خوص يخلنَ نعائما

ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولمـا التقى الحـيّانِ أُلقيت العصا وماتَ الهوى لما أصيبت مقاتله

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلتُ إنى مُشتفٍ بلقائها فحم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :

مايرجعُ الطرفُ عنها حينَ أبصرها ‏ ‏ حتى يعودَ اليها القلبُ مُشتاقا

وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه :

أعانقها والنفسُ بعد مَشوقَةٌ ‏ ‏ اليها وهلْ بعد العناقِ تداني

وألثم فاها كي تموتَ حزازتي ‏ ‏ فيشتدُّ ماألقى من الهيجان

وما كان مقدار الذي بي من الجوى ‏ ‏ ليشفيه مارشفُ الشفتان

فانَّ فؤادي ليس يشفي رسيسهُ ‏ ‏ سوى أن ترى الروحان تمتزجان

ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :

هبَّتْ شمالاً فقالَ من بلد ‏ ‏ أنت به طابَ ذلك البلدُ

وقبَّلَ الريحَ من صبابتهِ ‏ ‏ ماقبَّلَ الريحَ قبلهُ أحدُ

وأبلغ ماقيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له مابلغ من حبك فلانة ؟ قال اني أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلك ، أخذه بشار فقال :

إني لأكتم في الحشي حباً لها ‏ ‏ لو كانَ أصبح فوقها لأظلها

ويبيت بينَ جوانحي وَجدٌ بها ‏ ‏ لو باتَ تحتَ فراشها لأقلها

وقلت : أحبك ياشبيهَ الشمسِ حباً ‏ ‏ تفرَّدَ بالتمام فلا تمامُ

فلو ألقيتهُ مابينَ ماءٍ ‏ ‏ ونارٍ كان بينهما التئامُ

وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :

سلالة نور ليس يدركها[1] اللمس ‏ ‏ إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس

به[2] أمست الاهواءُ يجمعها هوى ‏ ‏ كأنَّ نفوس الناس في حُبه نفس

وقال بشار :

---

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من الأصل فاستدركناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامُه   بأذني وانْ غُيبتُ قرطاً معلقا

ومن ظريف التشبب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبتَ يامن لحاني فى مَودَّتهِ   ما صُورةَ البدرِ الأدونَ صُورتَه

يارِبِّ ان لمْ يكنْ في وصله طَمعٌ   ولم يكنْ فَرَجٌ من طول جَفْوَتِه

فاشف السقامَ الذى فى لحظ مُقلتهِ   واستر مَلاحةَ خدَّيْهِ بلحيتهِ

ومن الظريف قول كشاجم :

كأنَّ الشفاه اللعسَ منها خواتمٌ   مِنَ العنبرِ مختومٌ بهِنَّ على الدُّرِّ

ولا أعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ماقيل فى حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدى :

اذا نحن أدلجنا وأنت امامنا   كفى لمطايانا بذكرك حاديا (١)

أليس يزبنُ(٢) العيسَ خفةُ أذْرعٍ   وان كنّ حسرى ان تكون اماميا

وأتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

اذا عقلت خبتْ وإنْ هى خُلِّيتْ   لترتَعَ لم ترتَعْ بأدنى المراتع

كأنّ لديها سائقاً يستحثها   كفى سائقاً بالشوقِ بينَ الأضالع

ومن جيد ماقيل فى ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صَبٌّ يحثُّ مطاياهُ بذكركُمُ   وليس ينساكم ان حلّ أوسارا

يرجُو النجاةَ من البلوى بقربكم   والقلبُ يلهبُ فى أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابى قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودتُ ضربهُ   إذا عادَ قلبى فى معاهدها ذكرُ

وقلتُ لهُ ولقاءُ ويحك سَبَّبتْ   لك الضربَ فاصبر إنَّ عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطعَ الاحراج أعناق الابل   فهي تسير سيرَ مُشتاقٍ عَجِلْ

---

(١) فى الأغانى « بوجهك هاديا » . (٢) فى الأصل « يزن » وفي الأغانى (يزيد).

وقول الآخر وقد ألغز :

إنَّ لها لسائقاً خَـدلجا لم يُدلِجِ الليـلةَ فيمن أدلجا

وفى خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتـلُ شوقها زيارتى كالماء يقتل برده عطش الصدى

فأما أجود ماقيل فى التذكر على البعد فقول بعضهم :

اذكر أخانا تولى اللهُ صحبتهُ انى وان كنتُ لاألقاهُ ألقاه

اللهُ يعـلم أنى لستُ أذكره وكيفَ يذكره من ليسَ ينساه

وقلت : ذكرتُهم والنوى بينى وبينهمُ ذكرَى الشبابِ الذى قد كانَ عاصانى

بل كيفَ أذكر عهداً لستُ ناسيهُ هل يعرضُ الذِّكرُ إلا بعد نسيان

ونحوه يقول السرى :

غضـبان ينسانى وأذكرُهُ وينـامُ عن ليـلى وأسهرهُ

وبجـوره ماضار مورقـه حظى وحظٌّ سواى مثمرهُ

وكفى الهوى لو كانَ مكتفياً مارحْت أضمره وأظهرهُ

لم يقتسم فى العاشقينَ أسى إلاوحظى منـهُ أوفرهُ

فأصبح في نفس أصعـدهُ وأعوم فى دمع أحـدِّده

ومن مليح ذلك قول بشار :

ولستُ بناس من يكون كلامُه بأذنى وان غيبت قرطاً معلقاً

أجود ماقيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرىء القيس:

سموت اليها بعدَ مانامَ أهلها سموَّ حبابِ الماء حالاً على حال

وأحسن من هـذا وأظرف قول وضاح اليمن (١) :

واسقطْ علينا كسقوطِ النّـدَى ليـلةَ لاناهٍ ولازاجرُ

(١) غلب عليه هـذا اللقب لبهائه ، واسمه عبدالرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب فى تشبيبه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيبه بزوجه .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب المـاء لأن لسمو حباب الماء صوتاً خفيا ليس ذلك لسقوط الندى وهو من أبيات طريفة أولها :

قالتْ ألا لاتلجنْ دارنا　　إنَّ أبانا رجـلٌ غائرُ
أمارأيتَ البابَ من دوننا　　قلتُ فانى واثبٌ ظافرُ
قالتْ فانَّ القصرَ من دوننا　　قلتُ فانى فوْقَهُ ظاهرُ
قالت فانَّ الليثَ عادٍ به　　قلت فسيفى مُرهفٌ باتر
قالت فهـذا البحرُ ماييننا　　قلت فانى سابحٌ ماهر
قالتْ أليسَ اللهُ من فوقنا　　قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فأما كنت أعييتنا　　فأت إذا ما هجعَ السامر
واسقط علينا كسقوط الندى　　ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجر

ومن مليح ماجاء فى هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقننى رسلاً　　والليل كالطيلسانِ مُعتكرُ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقـةٍ　　من عند ضوءٍ كأنها قمر
هل لك فى غادة مُنعمـةٍ　　يحار فيها من حسنها النظر
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت　　وفى خطاها إذا مشت قصر
فقمت أسعى الى مُحَجَّبـةٍ　　تضيء منها البيوتُ والحجرُ
فقلت لمـا بدا تخفرها　　جودى ولا يمنعنك الخفر
قالت توَقَّرْ ودَع مقالك ذا　　أنت امرؤٌ بالقبيح مشتهر
والله لا نلتَ ما تطالب أو　　ينبت فى بطن راحتى شَعَـر
لا أنت لى قيمٌ فتخبرنى　　ولا أميرٌ علىَّ مؤتمر
قلت ولـكنْ ضيفٌ أتاك به　　تحتَ الظلام القضاءُ والقدر
فاحتسبي الأجرَ في إنالته　　وباشرى قد تطاوَلَ العسر
قالت فقد جئتَ تبتغى عملاً　　تـكادُ منهُ السماءُ تنفطرُ

فقلت لما رأيتها حرجت وغشيتها الهمومُ والفكر
لاعاقبَ اللهُ في الصبا أبداً أنثى ولكن يعاقبُ الذَّكر
قالت لقــد جئتنا بمبتدعٍ وقد أتتنا بغـيره النُّـذُر
قد بينَ اللهُ فى الكتاب فـلا وازرةٌ غيرَ وزرِها تزِر
قلت دعى سورةً لهجت بها لا تحرمن لذاتنا السور
وجهك وجهٌ تمت محاسنه لا وأبى لا يمسُّه سقر

ومثل هذا أصعب مايرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ماعذر به المعشوق فى سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنها بعوذة من سوء [1] أفعالهـا

وهى من أبيات قليلة النظير :

هلْ حا كمٌ يعدى على ظبيةٍ ظالمـة فى كلِّ أفعالهـا [2]
دائمة الأعراضِ عنى فـا يخطرُ لى ذكرٌ على بالها
صغيرةٌ عظمها حبُّـها عندى وأغرانى باجـلالها
تستدفع الأعين عن حسنها بعوذةٍ من سوء أفعالها
لم أطع العذَّالَ فيها وقد أصغتْ إلى أقوالِ عذالها
تمضى بليل فاذا أقبلتْ أقبلت الشمسُ باقبالها
قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سربالها
لو لم يكن من برد ساقها لاحترقت من نارِ خلخالها

وأحسن فى هذا المعنى ولا أظنه سبق اليه .

وقد أحسن ابن الرومى في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبسنَ خلاخلا كذبن أسماء الخلاخل

يقول لا تخلخل الخلاخل في سوقهن أى لا تتحرك فقد كذبته أسماؤها ، وذلك أن

---

(١) فى ديوان كشاجم (من قبح) . (٢) في الديوان (جائرة فى كل أحوالها).

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكأنَّ الشمسَ نيط بها قمرٌ يمناهُ والقدح
صدٌّ إذ مازحتهُ غضباً ماعلى الأحباب إذ مزحوا
وهو لا يدرى لنخوتهِ أننا فى النوم نصطلح
ثمَّ لا أنسى مقالته « أطفيليٌّ ويقترح »

ومن أفراد المعانى قول الشاعر :

وإنى لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولى نظرٌ لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالتْ لقد نلت ودَّهُ وما ضرَّنى بخلٌ فكيفَ أجُودُ

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

ستبقى لها فى مُضمرِ القلبِ والحشا سَريرَةُ وُدٍّ يومَ تبلى السرائرُ

ومن أجود ما قيل فى حسن الحبيب فى عين المحبوب قول عمر بن أبى ربيعة :

خرَجتُ غداةَ النحرِ أعترض الدُّمَى فلم أرَ أحلى منك فى العينِ والقلب
فوالله ما أدرى أحسناً رزقتــه أم الحبُّ يعمى مثل ماقيل في الحبِّ

وهو من قول النبي ﷺ « حُبُّكَ الشيءَ يُعمى ويصم »[1] وأنشدنى أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن سعيد الشامى عن الزبير بن بكار لعمر بن أبى ربيعة:

زَعموهـا سألتْ جاراتِها وتعرَّتْ يوم حَرٍّ تبترد
أكما ينعتنى تبصرننى عمركنَّ الله أم لا يقتصد
فتضاحكنَ وقد قلنَ لهـا حسنٌ فى كلِّ عين من تودّ
حسداً حملنـهُ من أجلهـا وقديماً كان فى الناسِ الحسد

وأنشدناعنه قال أنشدنا اسحق لرجل:

حلفتُ بصحراء الحجون وناقتى لها بين قاع الأخشبين حنينُ
غموساً لقد فضلت في الحسن بطة على الناس أولى من هواك جنون

---

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لافراط حبه أو لجنونه له فيه فقال وأحسن :

حسنٌ والله فى عينى وفى كلِّ العيون
قينةٌ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قطُّ سوى سقم العيون
لم أصفها بجمال لهوى أم لجنون
بل لحسنٍ وجمال قول حقٍّ ويقين

وقدأبدع الآخر فى قوله فى المعنى الأول :

يا مَنْ يلومُ عليه أنظر بعينى اليه
فلست تبرح حتى تصيرَ ملك يديهِ

وقد جمع القائل جمعاً حسناً فى قوله * وفى أربع منى حكت منك أربع *

أجود ماقيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمدقال قال ابن سلام أحسن ما قيل فى صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍفى ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قيظ ليله ومد

وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ماقيلفى الوجه من الشعر القديم قول قيس بنالخطيم :

تَبدَّتْ لنا كالشمس تحتَ غمامةٍ بداحاجبٌ منهاوضنَّتبحاجب (١)

مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدَّتْ كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب

وهو أحسن ما قيل فىإعراضالمرأة ، ونقله قيس إلىموضع آخر وزاد فيهفقال:

كانَ المنى بلقائها فلقيتها ولهوتُ من لهو امرىء مكذوب
فرأيتُ مثلَ الشمسِ عند طلوعها في الحسنِ أو كدنوِّها لغروب

---

(١) في منتهي الطلب من أشعار العرب « وضنت بجانب » .

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر　　كنت المنورَ ليلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من مَعشوقة[١]　　طبن[٢] العدوُّ لها فغيرَ حالها

وسعى اليّ بعيب[٣] عزَّةَ نِسوةٌ　　جعل الاله[٤] خُدودَهنّ نعالها

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى　　في الحسن عندموقف[٥] لقضى لها

قوله عند موقف غاية مايكون من الاحسان .

ومن أحسن ماقيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمتُ أقبلت[٦]　　وُجُوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنعا

تبالهنَ بالعرفانِ لما رأينني　　وقلنَ امرؤٌ باغٍ أكلَّ وأوضعا

وقرَّبنَ أسبابَ الهوَى لمتيم　　يقيسُ ذراعاً كلما قسنَ أصبعا

فذكر أنهن لم يتقنعن لحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرقٌ من زعفرانٍ وعَنبرٍ　　أطارتْ من الحسن الرِّداءالمحبرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أي الوجه بالشمس فقال ابن الرومي « كالشمس غابت في حمرة الشفق » وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تتيهُ الشمسُ والقمرُ المنير　　اذا قلنا كأنهما الأميرُ

فان يكُ أشبها منهُ قليلا　　فقد أخطاهما شَبهٌ كثيرُ

لأنَّ الشمس تغرب حين تمسي　　وأنَّ البدرَ ينقصهُ المسير

ونورُ محمد أبداً تمامٌ　　على وضح الطريقةِ لايحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابهة من وجه المرأة فقال :

---

(١) في أمالي القالي (من مظلومة) . (٢) أي فطن، وفي الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالي « بصرم عزة » . (٤) في الامالي (جعل المليك).

(٥) في الامالي (موفق) . (٦) في الأغاني « أشرقت » .

يابدر إنك قد كسيت مشابهاً　　من وجهِ أمِّ محمد ابنة صالح

وأراكَ تمصح فى المحاق وحسنها　　باقٍ على الأيام ليس بماصح

وقال العباس بن الأحنف :

قالتْ ظلوم وما جارتْ وما ظلمتْ　　إنَّ الذى قد أمى بالبيد قد ظلما

البدرُ ليسَ له عينٌ مُكحلةٌ　　ولا محاسنُ لفظٍ يَبعث السقما

وقال النظام : يامشرقاً　ملأ العيو　　نَ وطرفها مايستقل

أوفى على شمس الضحى　　حتى كأنَّ الليلَ طل

وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتها شبهتها البدرَ طالعا　　وحسبك من عيب لها شبهُ البدرِ

ومن أبلغ ماقيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبى نواس :

يزيدُك وَجهُـه حُسنا　　إذا مازِدْتهُ نظرا

فذكر أن حسنه يزداد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم:

بيضاء يحضر طيب العيش ماحضرت　　وان نأت عنك غاب اللهوُ والفرحُ

كلٌ اللباس عليها معرضٌ حسنٌ　　وكلّ ماتتغنى فهوَ مقترح

والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن فى كل معرض فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرّبُـها هواها　　وإنْ نزحتْ بمنزلها البلادُ

يعادُ حديثها فيزيد حُسناً　　وقد يُستقبحُ الشيءُ المعادُ

وقال الخانى :

إذا كنت لم أفقد الغائبين　　وان غبت كنت فريداً وحيدا

تباعد نفس إذا مابعدت　　فليس تعاود حتي تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبِّهكَ الشيءَ حُسناً فما أتمُّ ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيــه يكون فى العود أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي العيناء عن الاصمعى قال أحسن ما قيل فى اللون قول ابن أبى ربيعة :

وهى مكنونةٌ تحير منها فى أديم الخدَّين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل فانه قال:

باتَ يعمى يعالج السهرا وراح نشوان يقسمُ النظرا

أغيد ماءُ الشباب يرغد فى خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماءَ الشبابِ كأنها قضيبٌ من الرّيحانِ ريَّان أخضر

وقال السرى: ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشرَّبَ ماء النعيم فلو عصرَ الحسنُ منه انعصر

يمرُّ فأمنحهُ ناظرى فينشر ورداً عليــه الخفر

تمتعت العينُ فى نفسه فما جهلتْ بطلوع القمر

وقال ابن المعتز: يحرِّك الدَّل فى أثوابه غصنا ويطلعُ الحسنُ من أزرارهِ قمرا

وقال ابن الرومى: متماتُ وجهك فى بديهتها جددٌ وفى أعقابها أخرُ

وقوله : مخففة مثقلة تراها كأن لم يعد نصفيها الغذاء

إذا الاغباب جدَّدَ حسن شىءٍ من الأشياء جدَّدَها اللقاء

ومثله قوله : لا شىءَ إلا وفيــه أحسنه فالعينُ منهُ اليهِ تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس فى قوله :

انّ اسمَ حسن لوجهها صفةٌ ولا أرى ذا لغيرها اجتمعا

فهى إذا سميتْ فقد وصفت   قد يجمع [١] اللفظُ معنيين معا

وقد بالغ ذو الرمة فى قوله :

فيالك من خـدّ أسيـلٍ ومنطقٍ   رخيم ومن خلقٍ تعلـل جادبه

إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذى يعيبها لايجد عيباً فهو يتعلل . وهو في خـبر حسن : أخـبرنا به أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد حدثنا عمر بن شبة [٢] حدثنى اسحق بن ابراهيم الموصلى حدثنى أبو صالح الفزارى قال ذكر ذوالرمةفى مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك ـ شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة ـ إياى فاسألوا عنه كان من أظرف بنى آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها، فجمعنى وإياهم مربع فأتانى يوماً وقال لى يا عصمة إن مَيّاً منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه لأثر وأبصره فى نظر فهل عندك من ناقة نزدار عليها مياً فقلت اى والله إن عندى للجؤذر قال على بها فركبناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحي فاذاهم خلوف وإذا بيت مية خلو فعرف النساء ذا الرمة فقمن إلى بيت مى وجئن حتى أنخنا وسلمنا وقعـدنا نتحدث واذامىّ جارية المودة واردة الشعر صفراء فيها عسر واذا عليها سدن أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا ياذا الرمة فقال أنشدهن ياعصمة فأنشدهن قوله :

نظرتُ الى أظعانِ مَىّ كأنها   ذُرى النخل أوأثل [٣] تميل ذوائبه

فأوشكت العينان [٤] والصدر كاتم   بمُنغرَورقٍ نمتْ عليه سواكبه

---

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) فى الاصل (شمبة) وكذلك في بعض ألفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والأمالي وغيرهما .

(٣) فى ديوان ذى الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق [١] جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسراره ومعاتبه

فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليجل فنظرت اليهاميّ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :

اذا سرَحتْ من حُبِّ ميٍ سوارِحٌ عن القلبِ اتته جميعاً عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مي ما أصحه وهنيئاًله فتنفس ذو الرمة تنفسة كاد حرها يطير شعر وجهه، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفتْ باللهِ ميةُ ماالذى أقولُ بها إلاالذى أنا كاذبُه

اذاً فرمانى اللهُ من حيثُ لاأرى ولا زال فى أرضى عدوٌ أحاربُه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مى خف عواقب الله ياغيلان، ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله:

اذا راجعتك [٢] القولَ ميةُ أوبدا لك الوجهُ منهاأو نضاالدّرع سالبه

فيالكَ من خدٍّ أسيل ومنطقٍ رخيم ومن خلقٍ [٣] تعللَ جادبه

فقالت الظريفة للنساء ان لهذين لشأناً فقمن بنا فقمن وقمت معهن فجلست فى بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدرى ماقال لها وماأ كذبته، فلبث قليلاً ثم جاءنى ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحفتنا به مى وهذه قلائد للجؤذر ولاوالله لاأقلدهن بعيراً وشدهن بذؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتانى فقال ياعصمة قدرحلت ميّ ولم يبق إلاالآثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر فى ديارها وتقفو آثارها فخرجنا حتى أتينا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

ألافاسلمى يادارَ ميٍّ على البلى ولازالَ مُنهلاً بجرعائك القطرُ

قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إنى لجلد وان كان منى ماترى .

ذى الرمة « فأبديت من عينىّ » وفي المصارع والامالى (فأسبلت العينان والقلب كاتم) . (١) في ديوان ذى الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .

(٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالى « ومن وجه » .

قال فما رأيت أحداً كان أشد منه صبابة ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا وكان آخر العهد به . ومن بديع ماقيل في حسن الوجه قول الصنوبرى :

الم قلبي نارهُ وماشعر دَبتْ اليه عَقرَبٌ وقتَ السحر

دَبَّت الى ظبي بعينيهِ حَوَرْ ديبَ لوطيٍّ توارى وانتشر

فظفرَتْ لاظفرَتْ أىَّ ظفر وهكذا العقربُ للقمر

أحسن ماقيل في العيون: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعى قال قال أبو عمرو لأصحابه : ماأحسن ماقيل فى العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إنَّ العيونَ التى فى طرفها حَورٌ قتلننا ثُمَّ لم يُحيينَ قتلانا

يَصرعنَ ذا اللبِّ حتى لاحَراكَ بهِ وهُنَّ أضعفُ خلق الله أركانا

وقال آخر قول ذى الرمة :

وعينانِ قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ماتفعلُ الخمر

وقال آخر بل قوله :

يذكرنى مياً من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنوّر

و(مراراً) حشو لايحتاج اليه ، فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع[1] :

وكأنها بينَ النساء أعارها عينيه أحورُ من جآذرِ جاسم

وسنان أقصدهُ النعاسُ فرنّقتْ فى عينه سِنةٌ وليس بنائم

أخذ بعض المحدثين قول جرير « وهن أضعف خلق الله أركانا » فقال :

كأنما ازدادَت قوى أجفانها ضعفاً تقوينَ على ضعفِ القوى

ومثله أيضاً قول الناشىء :

لا شيءَ أعجب فى جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا

وقد أحسن ذو الرمة فى قوله :

---

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته، كان شاعراً مقدماً عند بنى أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعدُّ فى الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضتْ بالرَّملِ أو ماء عوهج   لنا قلت هذا عينُ ميّ وجيدُها

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرحُ أحشائى بعـين مريضة   كما لان متنُ السيف والحدُّ قاطع

ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومى :

نظرتْ فأقصدت الفؤادَ بسهمها   ثمَّ انثنتْ عنه فكادَ يهيم

ويلاهُ إنْ نظرتْ وإنهى أعرضت   وقعُ السهـام ونزعهنَّ أليم

ومن البديع النادر الغريب فى ذلك قول بعضهم :

جعـل الفتور بعينه كحلا   فحفوته وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرنَ من خلل السجوفِ كأنما   يمطرنَ أحشاءَ الـكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه فى هذا المعنى قول محمد بن أبى الموج :

للهِ ما صنعتْ بنـا   تلك المحاجرُ فى المعاجر

أمضى وأنفذ فى القلو   ب من الخناجر فى الحناجر(١)

وقلت : فأرعى تحتَ حاشيةِ الدَّياجى   شقائقَ وجنةٍ سقيتْ مداما

إذا اكرتْ لواحظُ مقلتيه   حسبت قلوبنا مطرتْ سهاما

وإن مالتْ بعطفيه شمولٌ   سقانا من شمائلهِ سقاما

---

(١) دخل أعرابى على ثعلب الراوية فقال أنت الذى تزعم الناس أنك أروى لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدنى أغزل بيت قيل في العيون فأنشده بيتى جرير * ان العيون التى في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لاكته السفلة بألسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابى :

نبارزُ أبطالَ الوغى فنبيـدها   ويقتلنا فى الصن لحظ الـكواعب

وليست سيوفُ الهند تفنى نفوسنا   ولـكن سهامٌ فوقت بالحواجب

فجن ثعلب استحسانا لها وقال اكتبوها ولو بالخناجر على الحناجر ـ كما في هامش الاصل .

وقال ابن الرومي :

تقسمها نصفان نصفٌ مؤنثٌ ونصفٌ كخوطِ الخيزران مذكرُ

تعبد من شاءَتْ بعينٍ كأنها وإن سُقيتْ ريامن النوم تسهرُ

وقلت : راحتْ تميسُ وحولها خردٌ كالبدرِ بين كواكبٍ شهب

فملأتُ طرفي من محاسنها ونسيتُ ما يجني على الصبّ

عين لعل السيف لحظتها أصبحت آمنها على قلبي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقتُ فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه

فسكرتُ لا أدرى أمن سكر الهوى أم كأسه[1] أم فيه أم عينيه

وغدا فنمّ عليه عند وسه ؟ أثر من التقبيل في شفتيه

وسقام عين لم تذق طعمَ الكرى يدعو العوائد في الصباح اليه

وقلت : إذا ما جاءني للأخذِ عني تشاغلَ طرفهُ بالأخذ مني

وقال البحتري :

أجد النار تستعارُ من النا ر وينشا من سقم عينيك سقمي

وقلت : يسعى اليَّ مقرطقٌ في كفه كأسٌ وبينَ جفونه كاسان

وقد أطرف البحتري في قوله :

والذي صير الملاحة في عيـــنيه وقفاً والسحر في أجفانه

لا أطعتُ العذولَ فيه وإن أســرف في ظلمه وفي عدوانه

فدعا اللوم في التصابي فاني لا أرى في السلوّ ماتريانه

وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كهلال الشهر مقرون

وقلت أيضاً :

وتسقيك في ليلٍ شبيهٍ بفرعها شبيهاً بعينيها وشكلاً بخدّها

---

(١) في نسخة « كفه » مكان (كأسه) .

فتسكرُ من عينٍ وكأسٍ وَوجنةٍ   تحييك أعتاب الكؤوس بوردها

وقالوا أجود ماقيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :

تجرى السواك على أغرَّ كأنهُ   بَرَدٌ تحدَّرَ من مُتونِ غمام

وقالوا بيت النابغة :

تجلو بقادمتى حمامة أيكة   برداً أسفَّ لثاتهُ بالإثمدِ

كالأقوحان غداة غِبِّ سمائهِ   جفتْ أعاليه وأسفلهُ ندى

شبه الشفتين لرقتهما بقادمتى حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :

يُفلِّجنَ الشفاه عن اقحوان [١]   جلاهُ غب سارية [٢] قطار

ومن أحسن ماجاء في ذلك قول البحترى :

ولما التقينا والتقى مَوعدٌ لنا   تبينَ رامى الدُّر منا ولاقطه

فمن برَدٍ تجلوهُ عند ابتسامها   ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحترى :

إذا هنّ ساقطنَ الأحاديث بالضحى   سقاط حصى المرجانِ من كفِّ ناظم

ومن أحسن ماقيل فى بياض الثغر قول البحترى أيضاً :

ويرجعُ الليلُ مبيضاً إذا ضحكتْ   عن أبيضٍ خضل السمطين وضاح

فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلايرى فى هذا المعنى أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

ثغرهُ عندَ سرده   كالعُباب المزرد

مثل دُرٍّ منظمٍ   بين درٍّ منضد [٣]

وقد أحسن البحترى وأبلغ فى قوله :

---

(١) فى الأصل «عن الحوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .

(٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خداً يراح له الورد ويشتمه جنى التفاح
وشتيتاً يغض من لؤلؤ النظم ويزرى على شتيت الاقاحى
فأضاءت تحت الدجنة للشرب وكادت تضىء للمصباح
وأشارت إلى الغناء بألحاظ مراض من التصابى صحاح
فطربنا لهن قبل المثانى وسكرنا منهن قبل الراح
وتدير[1] الجفون من عدم الألباب مالا يدور فى الأقداح

وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع فى أفواههن عقيق
دهانى منها نرجس يرشق الحشا وهل نرجس بالرجال رشوق
ومبتسم عذب المذاقة مونق تجمع فيه لؤلؤ ورحيق

وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ماقيل فى طيب النكهة والريق وحسن الثغر ؟ فقال قول ابن الرومى :

وقبلت أفواهاً عذاباً كأنها ينابيع خمر خضبت لؤلؤ البحر

فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لايحتاج اليه لأن اللؤلؤ لايكون إلا في البحر ولو كان فى غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته اليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومى فى وصف طيب النكهة فقال :

وما تعتريها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتخثر
كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب وأنفاس الأنام تغير

هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ماقيل في الريق أيضاً قوله :

يارب ريق بات بدر الدجى يمجه بين ثناياكا
يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاكا

ولا أعرف لهذا البيت نظيراً فى معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :

سقته ابنة العمرى من خمر عينها ووجنتها كأساً يميت ويدنف

---

(١) فى ديوان البحترى (قد تدبر) .

فقالَ امزجيها بالرُّضابِ لعلهُ يسكنُ من خمر الهوى ويخففُ
فصدَّتْ ملياً ثم جادَتْ بريقةٍ يزيد بها سكرُ الحبِّ ويضعفُ
فراح بضعفى سكره من مزاجها وقد يسأل العدل الولاة فيسعف
فهل من مزاج زاد فى سكرِ شاربٍ سوى ريق ذات الخال أم أنت تعرف
وقال : مَزَجت خمرة عينيها بريقتها كيما تكفكفُ عنى من حمياها
فاشتد إسكارها إياىَ إذ مُزِجَتْ ومَزْجُك الكأس ينهى عنك طغياها

وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشى قال قال الاصمعى أحسن ما قيل في الثغر قول ذى الرمة :

وتجلو بفرع من أراك كأنهُ من العنبر الهندىّ والمسك ينفح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى اليه الندى غاديه والمتروّح

وقد أحسن ديك الجن في قوله :

وقهوة كوكبها يُزْهِرُ ينفحُ منها المسكُ والعنبرُ
وردية يحدثها ؟ كأنها من خدِّهِ تُعصرُ
مهفهف لم يبتسم ضاحكا مذْ كانَ إلا كنبيذ الجوهر ؟

وقد جمع كشاجم فأحسن فى قوله :

البدرُ لا يغنيك عنها إذا غابتْ وتغنيك عن البدر
فى فمها مسكٌ ومشمولةٌ صرفٌ ومنظومٌ من الدُّرّ
فالمسكُ للنكهةِ والخمرُ للـ ـريقةِ واللؤلؤ للثغر

جمع ثم قسم تقسيما صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور فى هذا المعنى قول الصنوبرى :

تلك الثنايا من عقدها نظمتْ أم نظمَ العقدُ من ثناياها

وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كغدير وعقار وروضة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه جامـد في خمره برد

وقال : قلتُ للـكأسِ وهو يكرَع منها ذقتُ منـه والله أطيبَ منكَ

وقال : ياسر إن أنـكرتنى فلـكم ليل رأتك معى كواكبه

بأبى حبيبٌ كنتُ أعهـده لى واصـلاً فازورَّ جانبـه

عبق الـكلام بمسكة نفحتْ من فيه ترضى من يعاتبـه

وقد أحسن أبو تمام فى قوله :

تعطيك منطقها فتعـلم أنه بجنى عذوبتـه يمرُّ بثغرها

وهو من قول بشار :

ياأطيبَ الناسِ ريقاً غيرَ مختبر إلا شهادةُ أطرافِ المساويك

وقول بشار من قول قيس :

كأنَّ على أنوابها الخمـر بماء الندى من آخرِ الليل غابق

وما ذقتـه إلا بعينى تفرُّساً كما شيمَ من أعلى السحابة بارق

ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألمى اللثات مفلج خليق الثنايا بالعذوبة والبرد

وقال ابن الرومى :

بدا لى وميضٌ مؤذنٌ أنّ صوبه عريضٌ وما عندى سوى ذاك مخبر

وما ذقتـهُ إلا لشيم ابتسامهـا فـكم مخبرٍ يبديه للعـينِ منظر

وقال عمارة بن عقيل [1] :

كأنَّ على أنيابها مبيت الـكرى وقيعـه يردى تهلل في تعب؟

تأمل عين لاتقيل إذا ارتأت وقلب وما أنباك أشعر من قلب

وقال آخر وأحسن : بأبى فمٌ شهدَ المحب له قبلَ المذاق بأنه عَذب

كشهـادةٍ لله خالصة قبـلَ العيانِ بأنه ربُّ

وقلت فى معنى الأول : أقول لما لاح من خدره والليلُ يرخى الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه · أم وجهه أحسن من بدره
قد مالت الرقة في شطره · ومالت الغلظة في شطره
فأزره غصت بأردافه · ووشحه جالت على خصره
أصبحت لا أدرى وان لم يكن · في الأرض شيء أنا لم أدره
أشعره أحسن من وجهه · أم وجهه أحسن من شعره
ودره يؤخذ من لفظه · أم لفظه يؤخذ من دره
وثغره ينظم من عقده · أم عقده ينظم من ثغره
فمن عذير الصب من صده · ومن يجير القلب من هجره
ياليته يعرف حبي له · عساه يجزيني على قدره

أحسن ماقيل في حديث النساء قول القطامي :

فهن ينبذن من قول يصبن به · مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وقد أحسن القائل :

هي الدر منثوراً إذا ماتكلمت · وكالدر منظوماً إذا لم تكلم
تعبد أحرار القلوب بدلها · وتملأ عين الناظر المتوسم

وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لعمرك ماأجدى هواك سوى المنى · علي وما ألقاك إلا كما أخلو

ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها · جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل

الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن. وعندي ان أحسن ماقيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومي :

وحديثها السحر الحلال لوانه · لم يجن قتل المسلم[1] المتحرز
ان طال لم يملل وان هي أوجزت · ود المحدث أنها لم توجز
شرك القلوب وفتنة[2] مامثلها · للمطمئن وعقلة المستوفز

---

(١) في من غاب عنه المطرب (العاشق) . (٢) في الأمالي (ونهزة)

ومن جيد ماقيل فى الحديث ومشهوره قول ابن الرومى :

ولقـــد سئمت مآربى فكأنَّ أطيبها خبيث
إلا الحـديثَ فانهُ مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحـديث كأنهُ عقدُ ريا بتُّ أرويهِ للرِّجالِ وتروى
وحديث الرِّجال روْضةُ أنس باتَ يرعاهُ أهـل نبل وسرو

ومن جيد ماقيل فى الحياء مأأخبرنى به عم أبى قال قال أبو العباس الفضل ابن محمد اليزيدى قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً شريفاً فى امرأة خفرة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضىءُ بها البيتُ القليل خصاصه إذا هى ليـلاً حاولتْ أن تبسما

قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعشى :

كأنَّ مشيتها من بيتِ جارتها مرُّ السحابة لاريثٌ ولاعجل

قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ماعندك قال قول أبى قيس بن الاسلت [1] :

ويكرِمُها جاراتها فيزُرنها وتعتلُّ عن إتيانهنَّ فتعتذر

أجود ماقيل فِى العناق قول بكر بن خارجة [2] :

انى رأيتك في نومٍ تعانقنى كما تعانقُ لامُ الكاتبِ الألفا

وهـذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتج له بأن يقال الألف لاتعانق اللام إلا واللام معانقة لها . ومن أطرف ماقيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأننى عانقتُ ريحانةً تنفستْ فى ليلها البارِدِ
فلو ترانا فى قميص الدُّجَى حسبتنا من جَسـدٍ واحد

وقلت فى نحو ذلك :

---

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت اليه حربها وجعلته رئيساً عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظامٌ فى الهوى واحدٌ كأننا عِقدانِ في نحر

وقال التنوخي :

لله أيامٌ مَضينَ قطعتها وطوالها بالقاصراتِ قصارُ

أخلو النهار على النهار وانني والشمسُ لى دونَ الشعار شعار

خَدّاهُ وَرْدٌ والنواظرُ نرجسٌ والثغر سوسنٌ والرضابُ عُقار

حتى اذا ما الليلُ أقبلَ ضمنا دُونَ الازارِ من العناقِ إزار

فعلى النحورِ من النحور قلادَةٌ وعلى الخدودِ من الخدود خمار

وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومى :

طالما التفتْ الى الصبح لنا ساقٌ بساق

في قناع منْ لثام وإزارٍ منْ عناق

وأنشد أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن سعيد لابن عيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتَدٍ صاحبهُ كارتداءِ السيف فى يوم الوغى

بخدودٍ شافياتٍ من جوى وشفاهٍ مُروياتٍ من ظما

نتساقى الريقَ فيما بيننا زا امات القطا زغب القطا

أحسن ماقيل فى الشعور من الشعر القديم قول الأعشى :

فأنضيَت منها الى جنةٍ تدَلتْ علىَّ عناقيدُها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع ماقيل فى الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحبُ من قيام فرعها وتغيبُ فيهِ وهو جثلٌ(١) أسحم

وكأنها فيهِ نهارٌ ساطعٌ وكأنه ليلٌ عليها مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

---

(١) فى الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب) وفي الامالي « وحفٌ أسحم » .

نشرَت عليّ ذوائباً من شعرها حذَرَ الكواشح والعدوّ المحنق
فكأنني وكأنها وكأنهُ صبحانِ باتا تحتَ ليلٍ مطبق

وقد أحسن السرى القول فى سواد الشعر مع أوصاف أخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوهها (١) مصبوغة بدُجى الظلام طرارها
أغصان بان أبدعتْ (٢) فى حملها فغرائبُ الوردِ الجنىّ ثمارها
طالتْ ليالى الحبّ بعد فراقها وأجبهنّ الى المحبّ قصارها
ولرُبّ ليلاتٍ بهنّ تفرّجتْ أسدانها وتأرّجتْ أسحارها
ماكانَ ذاك العيشُ إلا سكرةً رَحلتْ لذاذتها وحلّ خمارها

وقال ديك الجن :

أنظر الى شمسِ القصورِ وبدرِها والى خزاماها (٣) وبهجةِ زهرها
لم تبل عينك أبيضاً في أسود جمعَ الجمالَ كوجهها فى شعرها

وقال أبو تمام :

بيضاء تسحبُ شعرها من وجهها فى حسنهِ أووجهها من شعرها

وقال أبو نواس :

وسالتْ من عقيصتها سلاسلُ كسرتْ حلقا

وقال آخر : سيقربُ منك الردى عنوةً اذا ماناتْ عنك أحماله
فهل أنتَ باكٍ على اثره وهل تشجينك أطلاله
سيكثرُ من بعدِ ترحالهِ توَجُّعُ صبٍّ وإعواله
بنفسى الذى قلقه وشحه وضاقَ بما فيه خلخاله
يريك الحنادسَ إدبارهُ ويبدى لك الصبحَ اقباله
مليحُ الدّلالِ قليلُ النوالِ جميلٌ وان قلّ اجماله

وقلت : رخيمٌ فاتر اللحظ رشيقٌ مخطف الخصر

---

(١) في ديوان السرى (جباهها). (٢) فى الديوان (أغربت). (٣) فى الأصل (حدامها).

وقد عُدِمَ بالليل وقد قنعَ بالفجر
وما ينفعني حسنك ياأحسن من بدر
اذا كان نصيبي منك طول البينِ والهجر

وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه [١] ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكماً أردافهُ في خصره ومصافحاً خلخالهُ بضفائره
ويكاتمُ الاسرار حتى إنه ليصونها من أن تمرَّ بخاطره
لاتعصينَّ على فتى يرضى بما أوليتهُ ولو انتقلتَ بناظره

أخذ قوله * ومصافحاً خلخاله بضفائره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شموسُ دجن ينعلُ أقدامها القرونُ
تعومُ أعجازُهنَّ عوماً وتنثني فوقها المتونُ
غريبُ شكل بديع حسن أفردهُ [٢] المثلُ والقرينُ
بانوا بروحي فصرتُ [٣] وقفاً لا بي حَراكٌ ولا سكونُ

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوقَ وجهفحاكى ظلمةَ الليلِ فَوْقَ ضوءِ الصباح

وقال السرى :

قصرت ليلةُ الخورنقِ حسناً والليالى الطوالُ فيه قصارُ
إذ وجوهُ الأنام فيه رياضٌ ومياهُ السرورِ فيه غمار
وجناتٌ تحيرَ الوَردُ فيها وثغورٌ جرتْ عليها العقار
فضحاهُ من الذوائبِ ليلٌ ودجاه من الخدودِ نهار

وقال : ومالت غصونٌ طوقتها مناطقٌ ولاحت شموسٌ توجتها حنادسُ

---

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) فى ديوان أبى نواس (أعوزه المثل والقرين) . (٣) فى الديوان (فصرت شخصا)

وقلت : وذى غنج يأوي إلى فرعه الدُّجى ولكنها عن وجهه تتفرَّج

ففيه ظلام بالصباح معمم وفيه صباحٌ بالظلام متوَّجُ

يروق سليمى منك جعد مسلسل ويسليك منها أقحوان مفلج

وفرعك من صبغ الشباب ممسك وخدُّك من ماء الجمال مضرج

ووجهك مثلُ الروض يغسله الحيا تمشطه أيدى الرياح فيبهج

أبلغ ما قيل في صفة الاصداغ والعذار : فمن بديع ما قيل فى الصدغ قول ابن المعتز :

له طمرة كجناح الغدافِ تلوح على غمرة مقمرة

وفى عطفة الصدغ خال له كما استلب الصولجانُ الكره

وقوله : وكأنَّ عقربَ صدغه وقفتْ لما دنتْ من نارِ وجنته

وقوله : غلالة خَـدِّه وردٌ جنىٌّ ونون الصدغ منقوطٌ بخال

وقلت : وكأنَّ دارةَ صدغهِ وعذارهِ ألفٌ تقوم تحتَ نون تعطف

وقال ديك الجن :

فقام مختلفاً كالبدر مطلفا والخشف ملتفتاً والغصن منقطفا

رقتْ غلالةُ خديه فلو رميا باللحظ أو ماهما بأن يكفا

كأنَّ لاماً أديرت فوق وجنته واختطَّ كاتبها من تحتها ألفا

وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته رأيتَ تفاحةً بها عضه

وقلت : الغيمُ بين ممسك ومكفر والرَّوضُ بين مجدد ومدبج

فإذا شربت فمنْ رحيقٍ سلسل وإذا رشفت فمن شتيت أفلج

من ريق أهيف كالقضيب مخضرا أو كفٌّ أباج كالصباح الأبلج

فاذا جلا لك غرَّة فى طرَّة ألوى بقلبك أبلج في أدعج

فانظر عناقَ ممسك لمكفر يجلوه حسنٌ مفلج ومضرج

وإذا تعانق خدُّهُ وعذارهُ فانظر عناقَ عقائق وبنفسج

وقال آخر : عجبي لخضرة زعفران عذاره ومن العجائب زعفرانٌ أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفّ ريم تثنى مناطقه ... على هضيم الكشحين ممشوق
يعطيك ماشاء من معانقة ... مقفلة من وراء معشوق
مسطرُ الخدّ بالعذارِ ولا ... يحسنُ غصنٌ الا بتوْرِيق

وقلت : له وجنتا وَرْدٍ وعينا غزالةٍ ... وغُرَّة اصباحٍ وطُرَّة غيهبِ
وصدغٌ يناجى الاذنَ وهو مُعقربٌ ... وطوراً يناغى الخدَّ غير مُعقرب
له من ظلام الليلِ أحسنُ ملبس ... وفوقَ ضياء الصبح أحسن ملعب

وقال الصنوبرى :

تلك طرارٌ عليك أمْ حلقٌ ... زانك صدغانِ أم هما زردُ

وقلت : يفتنُ القلبَ بخدٍّ ... لم يدَعْ للوَرْد قدرا
مثلما تكتبُ بالمسـ ... ـك على الكافورِ سطرا
وعذار يسحرُ الصبَّ ... وما يعرفُ سحرا
وبصدغ دارَ فى الخدّ ... كما تعقدُ عشرا
كلما أظلم (ليلى) [1] ... كان (لى) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز :

لعمرك ماأزْرَتْ بيوسفَ لحيةٌ ... ولكنه قد زاد حسناً وأضعفا
فلا تعتذر من حبهِ في التحائهِ ... فما يحسنُ الدينارُ إلا مسيفا

وقال فى خضرة الشارب :

تَبسَّمَ إذ مازَحتُهُ فكأنّما ... تكشفَ عن دُرّ حجابُ زبرجد [2]

وقال بعض المتأخرين وأحسن :

ومُعذَّرين كأنَّ نبتَ خدُودهم ... أقلامُ مسك تستمدُّ خلوقا
قرفوا البنفسجَ بالشقيقِ ونظموا ... تحت الزَّبرْجَدِ لؤلؤاً وعقيقا

---

(١) مابين القوسين غير موجود فى الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وقلت : وعما فقت خلف من صدغه خلفا كالعين فى العين وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأنما النور مضحك يفق وعطفة الغصن شارب خضر

وقلت: وترى النور مثل مضحك خود وترى الغصن مثل شارب أمرد

ولعبد الرحمن السيلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكت فى عارضيه على جهد بها طرقا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأت أنها قد أخطأت وجنت ولت تعود فدارت كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذى عاجله أنه جار عليه فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذى دار من صدغيك وانعطفا وصار نوناً إذا صيرته ألفا

ما كنت إذ خنتنى الا أخا ثقة لم تستعض منه إذ ضيعته خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول . وقلت :

قد التوى صدغه واختط عارضه كأنه ألف من فوقه نون

وقلت أيضاً ولم أسبق الى معناه :

ومغنج قال الكمال لوجهه كن مجمعاً للطيبات فكانه

زعم البنفسج أنه كعذاره حسناً فسلوا من قفاه لسانه

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج : وقلت :

بنفسج عارضه ينثنى إلى حمرة من وجنتيه

فيجعل قلبي في كفه يسيء اليه ويعدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فوق العذار منكسر كصولجان يرد ضربته

وقال ⁂ وصدغه كالصولجان المنكسر ⁂

أجود ماقيل فى حسن القد ورقة الخصر وكبر العجيزة : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبى عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو على بن أبى حفص عن جعفر ابن محمد العسكرى عن بعض رجاله قال قال أبوعمرو بن العلاء لأصحابه أنشدونى أحسن ماقيل فى حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة :

صفر الوشاحين ملء الدّرع بهنكة[1] كأنها رشأ فى البيت ملزوم

قال لم تأت بشىء ، فأنشد بيت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفا قناة قويمة ونصفا نقا يرتج أو يتمرمر

وأنشد بيت الأعشى :

صفر الوشاحين ملء الدّرع بهنكةٌ إذا تمشتْ يكادُ الخصرُ ينحول[2]

وأنشد بيت ذى الرمة :

عجزاءُ ممكورةٌ خمصانةٌ قلقٌ عنها الوشاح وتمّ الجسمُ والقصبُ[3]

فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان سمط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط

قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلمى وتسلمى تفوق المنى ؟ والوصف أنواعاً وألوانا

وشاحها يحسدُ خلخالها كجائع يحسدُ شبعانا

نقله إلى وصف السلو ، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظباءٌ غرائر مشبعات المآزرِ

ومن البديع قول أبى نواس :

وريان من ماءِ الشبابِ كأنّهُ يظماٌ من ضمرِ الحشا ويجاع

---

(١) فى ديوان علقمة (خرعبة) . (٢) فى ديوان الأعشى (ينخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها . والقصب : العظام التى بها المخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبيٌ كأنَّ بخصرِهِ من ضمرِهِ ظمأً وجوعا

وقلت : وقد نعصن اوفانا كشمامات كافور

وقد شَدَّتْ زنانيراً على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شددنَ عقودها زنانير عكان معاقدها السرر

وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثلَ حِبتي تشبهُ البدرَ إذ بدا

تدخلُ اليومَ ثم تد خلُ أردافها غدا

وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد (١) :

قد قلتُ لما مرَّ يخطو ماشياً(٢) والرِّدفُ يجذبُ خصرهُ من خلفه

يا منْ يُسلمُ خَصرهُ من ردفه سلمْ فؤادَ محبهِ من طرفه

وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرحيق وطيبه ومزاج شاربه ومشي نزيفه

وقلت : لاوالظباء الآنسات إذا رَنتْ فافتن حسن عيونهنَّ فتونا

ان لحنَ لحنَ كواكباً أو نحنَ نحـنَ لطا ئماً أو ملنَ ملنَ غصونا

وبدرن من مقل اليك فواتر يكسينَ قلبك بالفتور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقفتهُ وأخو المروءة لايكونُ خؤونا

وقبل هذا: مترجرج الارداف مضطمر الحشا لدنُ القوام يكادُ يعقد لينا

داب النعيم له فأثمر صدرهُ ثمراً إذا حلت الثمارُ حلينا

يقال حلا الشيء في الفم وحلي في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الرائي روضاً ممطوراً ووشياً منشوراً

---

(١) نسب البيتان في ذيل الأمالي لخالد الكاتب. (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

ولؤلؤاً منظوماً ومنثورا بل لأبصر أعطاف الفتيان تتثنى تثنى الأغصان في قراطق الحبير ومن زرات الديباج والحرير وقد اطلعت أزرارهم بواهر الأقمار مطرفة بمقارب الاصداغ وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويبسمون عن حباب الراح ويمزجون الدلال بخجل أسأرء فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .

ومن الافراط فى ذكر الغيد وهو لين القامة قول مانى [1] :

أتمنى الذى إذا أنا أومأ ... تُ اليه بطرفِ عينى تجنّى

أهيفٌ كالقضيب لو أنَّ ريحاً ... حرَّكتْ هدبَ ثوبهِ لتثنّى

وأجود ما قيل فى النهود وعظم العجيزة قول الأعرابى : بيضاء جعدة لايمسّ الثوب منها إلا مشاسنه كتفيها وحلمتى تديبها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابى من الشاعر :

أبت الرّوادفُ والثدىُّ لقمصها ... مَسَّ البطونِ وان تمسَّ ظهورا

وإذا الرّياحُ مع العشىّ تناوَحتْ ... نبهنَ حاسدةً وهجنَ غيورا

وقلت : تمشي بأردافٍ أبين قعودَها ... بينَ النساءِ كما أبينَ قيامها

وقال ابن المعتز فى النهود :

يا غُصناً ان هزَّه مشيهُ ... خَشيتُ أن يَسقطَ رُمّانهُ

إرحم مليكاً صارَ مستعبداً ... قد ذَلَّ في حبك سلطانهُ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيثم ابن عدى قال قعد اعرابى إلى جانب دار إسماعيل بن على بالكوفة فخرجت جارية فطفق الاعرابى ينظر اليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك واصبر ، والجارية تسمع ـ فقال الاعرابى ربلات تصطك وغصن يهتز وثدى يحرق أهابه وتقول اصطبر، فضحكت الجارية وقالت والله مامدحنى أحد مثل ما مدحتنى

---

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصرى المشهور .

به . فقال بأبى أنت وأمى أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الـكامن وانك لما يما يكنى عنه الربلات بمجامع الفخذين ؟. وقلت :

أيا وَرداً على غصن بكرٌّ اللحظ يلقطه
ورماناً على فنن يكادُ المشيُ يسقطهُ
أنى والبدرُ يحسدُهُ وشمسُ الدُّجن تغبطهُ
وخوفُ الناس يقبضهُ وحبُّ الوصل يبسطهُ

وأحسن ما قيل فى الثدى :

قبيحٌ بمثلكِ أن تَهجرى وأقبح من ذاك أن تُهجرى
أقاتلتى بفتورِ الجفونِ ورُمّانتينِ على منبر
كحقين من لبٍّ كافورَةٍ برأسيهما نقطتا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الدَّاعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فغطتْ بكفيها (١) ثمارَ نحورها كأيدى الأُسارى أثقلتها(٢) الجوامع

وهو حسن جداً ومثله قول النميرى :

أعميرُ كيفَ بحاجة طلبت إلى صمٍّ الصخور
لله درُّ عداتكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أناملى تجنينَ رمانَ الصدور

وقال على بن الجهم :

شاخص فى الصدر غضبان على قبب البطن وطى العكن
يملأُ الـكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أثنيته لا ينثنى

وقد طرف ابن الرومى فى قوله :

صدورٌ فوقهن حقاق عاج وحلىٌ زانهُ حسنُ اتساق

---

(١) فى ديوان الصريع « فغطت بأيديها » . (٢) فى الأصل « أقفلتها » .

يقول القائلونَ إذا رأوها أهذا الحلى من هذى الحقاقِ

أجود ماقيل فى الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر :

يسعى بهاذو تُومتين مُقرطقٌ[1] قَنأتْ أناملهُ من الفرْصادِ

فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبى نواس :

ياقمراً أبصرتُ فى مأتم يندبُ شجواً بين أترابِ

يبكي فيلقى الدُّرّ من نرجسٍ ويلطمُ الوَرْدَ بعنابِ

وقال ديك الجن :

ودعتها لفراقٍ فاشتكتْ كبدى وشبكتْ يدها من لوعةٍ بيدى

وحاذرت أعين الواشينَ وانصرفت تعضُّ من غيظها العنّابَ بالبرد

فكانَ أوّل عهد العين يومَ نأتْ بالدّمع آخر عهد القلب بالجلد

ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرّحيل فأسرَعتْ أطرافها فى خدّها وقدا كتسينَ خضابا

فاخضرَّ موضعُ كفها فكأنما غَرَستْ بأرض بنفسج عنابا

وقال الناشىء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كفِّ جاريةٍ كأنَّ بنانها من فضةٍ قد طرّفت عنابا

وكأنَّ يمناها اذا نطقتْ به يلقى على يدها الشمالِ حسابا

وقال أيضاً : لناقينةٌ ترنو بناظرتينِ بما فى قلوبِ الناسِ عالمتين

تخالُ تطاريف الخضابِ بكفها فصوصَ عقيقٍ فوق قضب لجين

وقال : متعاشقان مكاتمان هواهما قد نامَ بينهما العتابُ فطابا

يتناقلان اللحظَ من جفنيهما فكأنما يتدارسان كتابا

واذا هدَتْ عينُ الرّقيب تخالست كفاهما خلس السلام سلابا

بأنامل منه يلوحُ مدادها وأنامل منها كسينَ خضابا

---

(١) في الأصل «كأنما» وفى منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنيه له عنابا

يذكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :

انظر الى النقش من أطرافها البضه مثل البنفسج منثوراً على فضه

أو خلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غضه

ومن غريب ماقيل فى نظم حليهن قول النمر بن تولب :

كعاب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كأجوان الجرادِ مفصل

قوله «كاجوان الجراد» غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .

ومن البديع قول الدمشقى :

بدر بدا والشمسُ في كفه وأنجمُ الليل عليه رعاث

وهو من الليلِ ومن طرفه وشعرهِ فى ظلماتٍ ثلاث

أحسن ماقيل فى صفة الدمع اذا امتزج بالدم قول أبى الشيص :

لهوت عن الأحزان اذ أسفر الضحى وفى كبدى من حرهن حريق

مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق

وقول أبى تمام : نثرت فريدَ مدامع لم تنتظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم (١)

وصلتْ نجيعاً بالدموع (٢) فخدها فى مثل حاشيةِ الرداء المعلم

وقال : أبيتُ أراعى أنجم الليل بعدكم فياليتَ شعرى هل تراعونها بعدى

ودمع نثرت دره وعقيقه كأنى حللتُ العقدَ من طرف العقد

ومن أجود ماقيل فى بياض الدمع على حمرة الخد ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

لو كنتَ يوم الوداع حاضرنا وهنَّ يطفئنَ لوعةَ الوجد

لم ترَ إلا الدموعَ جاريةً تسقطُ من مقلة على خدِّ

كأنَّ تلك الدموعَ قطرُ ندى يقطرُ من نرجسٍ على وردِ

ونحوه قول ابن الرومى :

---

(١) فى ديوان أبى تمام (شجو المغرم) . (٢) فى الديوان (وصلت دموعاً بالنجيع)

لما دَنا البينُ ورَاحَ الدّلُّ   وَدَّعْتها وَدمعها مُنهلُّ
وخَــدُّها من قطره مُخضلُّ   كأنَّهُ وَرْدٌ عليــهِ طلُّ

ومن أجمع بيت قيل قول المحدثين :

فأسلبت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت   وَرْداً وعضَّتْ على العنابِ بالبرَدِ

ليس لهذا البيت نظير . وقلت :

يبكى فيسقى الدَّمعُ وجنته   كما يسقى الطل وردة غضه؟

ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :

كأنَّ الدُّموعَ على خدِّها   بقيــةُ طلٍّ على جلنار

ونحوه ماأنشدناه أبو أحمد فى العرق :

يحدر من ارجاء صورة وجهه   من الفم سح فى الجبين وفي الخدّ
فرادى ومثنى يستبينُ كأنَّــهُ   سقيطُ ندى وفى على وَرَقِ الورد

ومثله ماقلت :

أخرَجهُ الحمَّام كالفضه   يحسدُ منهُ بعضُهُ بعضه
كأنما الماءُ على جسمه   طلٌّ على سَــوْسنةٍ غضه

وفى صفة الدمع :

توريدُ دمعى من خدَّيك مختلسُ   وسقم جسمى من عينيك مُسترقُ
لم يبق لى رمقٌ أشكو هوَاك به   وإنمــا يتشكى من به رَمَقُ

وأبلغ ماقيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الاعراب أظنه :

فظلتُ كأنى من ورَاءِ زجاجــةٍ   إلى الدارِ من فرطِ الصبابة أنظرُ

وقول البحترى فى معناه :

ويحسنُ دَلُّها والموتُ فيــه   وقد يستحسن الموتُ الصقيل
وقفنا والعيونُ مُشغلاتٌ   يعالج دمعها طرفٌ قليلُ (١)

---

(١) في أمالى القالى (يغالب دمعها نظر كليل) .

نَهتهُ رقبةُ الواشين حتى ... تعلق لا يفيضُ ولا يسيل

قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ماقيل في الدلال .

ومن أعجب ماقيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولا أظنه له :

بنفسى من رَدَّ التحيةَ ضاحكاً ... فجدَّدَ بعدَ اليأس في الوصل مطمعي

إذا مابدا أبدى الغرامُ سرائرى ... وأظهرَ للعذَّال مابينَ أضلعى

وحالتْ دُموعُ العين بيني وبينهُ ... كأنَّ دُموعَ العينِ تعشقهُ معى

وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ماأنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

قد كانَ في طول البكا لى راحةٌ ... وعنانُ سرِّى في يدِ الكتمان

حتى إذا الاعلانُ نبهَ واشياً ... رقأتْ دموعى خشيةَ الاعلان

ومن البديع فى ذلك قول بشار وهو مشهور :

ماءُ الصبابةِ نارُ الشوقِ تحذره ... فهلْ سمعتم بماءٍ خافَ من نار

وقلت : أشكو الهوى بدُموع قادها قلق ... حتى علقنَ بجفنٍ رَدَّها الغرق

ففى فؤادى سبيلٌ للاسى جددٌ ... وفى الجفونِ مقيلٌ للكرى قلق

لهيبُ قلبي أفاضَ الدَّمعَ من بصرى ... والعودُ يقطرُ ماءً حينَ يحترق

ولا أظننى سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

ولطمةُ خدٍّ تجعلُ الوَرْدَ خرَّما ... وتنثرُ دمعاً لايباعُ بأثمان

ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

والله لولا أنْ يُقالَ تغيرا ... وصبا وإنْ كانَ التصابي أجدرا

لأعادَ تفاحَ الخدود بنفسجاً ... لثمى وكافورَ الترائبِ عنبرا

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوماً بيت ذى الرمة :

لعلَّ انحدارَ الدَّمع يُعقبُ راحةً ... من الوجد أو يشفي نجيَّ البلابل

وقال له من قال فى مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا　　والحبُّ إشفاقٌ وتعليلُ
إفزع إليه في ازدحام الجوى　　ففيه مسلاةٌ وتسهيلُ
وهو إذا أنتَ تأمّلتهُ　　حزنٌ على الخدّين محلول

وقد ملح العباس بن الاحنف :

إنى لأجحدُ حبكم وأسرُّهُ　　والدَّمعُ معترفٌ به لم يجحد
والدَّمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ　　والناسُ قد علموا وان لم يشهد

وقال : طالَ عهدى بها فلما رأتنى　　نظمتْ لؤلؤاً على تفاح

وقد أحسن الآخر فى قوله :

إذ لاجوابَ لمفحم متحير　　إلا الدُّموع تصانُ بالاطراف

قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها　　لك َالكبد الحرَّى فسر ولك الصبر
وقد سبقتها عبرَةٌ فدموعها　　على خدّها بيضٌ وفى نحرها حمر

معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .

ومن غريب المعنى قول الآخر :

غَدَتْ بأحبتى طولُ المطايا　　فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكان الدَّمعُ لى ذخراً معدّاً　　فأنفقتُ الذَّخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بى من الشعر فى هذا الفن متقارب في المعنى لايفضل بعضه بعضاً إلا فى القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل فى ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزن معشبة　　خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
يضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ　　مؤزَّرٌ بعميم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وما ريحُ قاعٍ ذي خُزامَى وحَنوة له أرجٌ من طيبِ النبتِ عازب

بأطيب من مَيٍّ إذا ما تقلبتْ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب[1]

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين . ومما هو مضطرب الوصف جيد المعنى قول ابن الطثرية :

خَود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبقا يطيب ويكثر

هذا البيت على غاية اضطراب الوصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إنّ القبيحةَ جلدها لا يشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) في غاية من الحسن . أخذه ابن الرومي فقال :

ألوف عطر تذكي وهي ذاكية إذا أساءتْ جوارَ العطر أبدان

نعيم كل نهار من مجامرها ويشمسُ الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعثان الندّ يشملها شمسٌ عليها ضباباتٌ وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بألفاظ بديعة وهو قوله :

وماريحُ قاعٍ زاهرٍ مست الندى وروض من الريّحان سحت سحائبه

فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جرّ من ذيل الغلالة ساحبه

بأطيبَ من أثوابِ شمر موهنا اذا الليلُ أدجى دابرى كتائبه

اذا رغبتْ عن جانب من فراشها تضوّعَ مسكاً أينَ مالتْ جوانبه

وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

ذكرتك بالريّحان لما شممته وبالرّاح لما قابلت أوجه الشرب

---

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وماريحُ رَوْض ذى أقاح وحنوة وذى نفل من قُلة الحزْن عازب

بأطيب من ليلى إذا ما تمايلتْ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالريحان[1] منك روائحاً[2] وبالراح طعماً من مقبلك العذب

وأنشدنى أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنى عبيد الله بن عبد الله لنفسه :

تطيرتُ أيامَ اجتنابك أن ترى مكانك عينى لا خلا منك خاليا

فأسكنته نوراً كرياك طيبه يذكرنى منك الذى لستُ ناسيا

وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابى أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيب الاولاد * وقلت :

يمرُّ بى وفدُ الصبا والليل يقضي نحبهُ

مرَّ بروضٍ زاهرٍ ذرَّ عليهِ عشبهُ

فخلتهُ من طيبهِ نشوةَ من أحبه

ومن البليغ قول سحيم[3] :

فما زالَ بردى طيباً من ثيابها إلى الحولِ حتى أنهج البرد باليا

وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التى وطنها الحبيب ، وأول من قال ذلك النميرى[4] :

تضوع مسكاً بطن نعمانَ إذ مشتْ به زينبٌ فى نسوةٍ خفرات

ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :

ألا أيها الربع الذى غير البلى عفا وخلا من بعد ما كانَ لايخلو

تداءبَ ريحُ المسك فيهِ وإنما به المسكُ اذ جرَّتْ به ذيلها جملُ

وقوله : وأنت الذى حببت سعما إلى بدا إلى وأوطانى بلادٌ سواهما

حللت بهذى مرَّةً ثم مرة بهذى فطابَ الواديان كلاهما

---

(١) فى ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) فى ديوانه (سوالفا). (٣) هو عبد بنى الحسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواشي . (٤) « النميرى » ساقطة من الاصل فاستدركناها من الأغانى حيث ذكر البيت في أخبار النميرى وهو محمد بن عبد الله شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية، وفيه « عطرات » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كلَّ أرض يممتها[1] وإن مضت لها حجج يزداد طيباً ترابها

وقد طرف ابن الاحنف فى قوله :

وجدَ الناسُ ساطع المسك من دجـــلة قد أوسعَ المشاربَ طيبا

فهمُ ينكرونَ ذاك ومايد رُونَ أن قد حللت منها قريبا

وقال البحترى : فكان[2] العبير بها واشياً وجرس الحلى عليها رقيبا

وقلت : تأملت منها غزالاً ربيبا وبدراً منيراً وغصناً رطيبا

جلت لك عن خضل واضح يبيتُ سناه عليها رقيبا

وهزَّتْ لنا بسراة الـكثيب قضيباً تفرّع منه كثيبا

عشيـة راحتْ وأترابهـا يقلـبنَ للهجر طرفاً مريبـا

كواكب ليل إذا ما رأت كواكب شيب تهاوت غروبا

وأقمار روض قمرن[3] العقول وغزلان رمل قلبنَ القلوبا

إذا زدتها نظراً زدتنى جمالاً بديعاً وشـكلاً غريبا

رحلنَ العشية من ذى الغضا وخلفنَ فيه جمالاً وطيبا

وقد أحسن القائل فى قوله :

جارية أطيب من طيبها والطيبُ فيها المسك والعنبر

ووجهها أحسنُ من حليها والحلى فيها الدُّرُّ والجوهر

ولو قيل ان هذا أحسن ماقاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول إمرىء القيس :

ألم تر أنى كلما جئتُ طارقا وجدت بها طيباً وإنْ لم تطيب

وقد طرف القائل :

---

(١) فى الأصل (دمنتها). (٢) فى الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ماعليه لو قال « عقلن العقول » ليطابق الجناس كما قال « قلبن القلوب » فكان أوقع فى النفوس .

أتاها بعطرٍ أهلها فتضاحكتْ وقالتْ وهل يحتاج عطرٌ إلى عطر

وقد أجاد البحترى :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان

وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :

سقيا لأيام مضتْ وكأنَّ معهدها حلوم

أيام يغنى لى ويغـــنى رهطه الرجل العريم

إذ لا دليل عليّ في برد الضحى إلا النسيم

أجود ماقيل فى حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب (١) :

ولولا أنْ يقالَ صبا نصيبٌ لقلت بنفسيَ النشء الصغار

بروحى كلُّ مهضوم حشاها اذا ظلمتْ فليسَ لها انتصارُ

اذا ماالذلُّ ضاعفن الحشايا كفاها ان يلاثَ لها الازارُ

ومن مليح ذلك قول عوف بن محلم (٢) :

وصغيرة علقتها كانتْ من الفتن الكبار

كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار

وأنشدنى أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنى عبد الله بن الحسن وقد ملح وطرف :

جارية أذهلها اللعبُ عما يقاسى الهائمُ الصبُّ

شكوتُ ماألقاه من حبها فأقبلتْ تسألُ ما الحبُّ

ومن مليح ذلك ماروى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرةً فأجبتهم خيرُ المطي لدىَّ مالمْ يركب

كم بينَ حبة لؤلؤ مثقوبة لبستْ وحبةِ لؤلؤ لم تثقب

---

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعى الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) .

فقالت الجارية: إن المطايا لا يلذُّ ركوبها مالم تذلَّلْ بالزمام وتركب

والدرُّ ليسَ بنافع أربابه مالمْ يؤلفْ في النظام ويثقب

قد أحسنا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف فى النظام.

أصدق ماقيل فى صفة الحب قول العباس بن الأحنف:

من كانَ يزعم أن يدارى فى الهوى حتى يشككك فيه فهو كذوب

الحبُّ أملك للفؤادِ بقهرهِ من أن يرى للسرِّ فيه نصيب

وقال: آفة السرِّ من جفو نٍ دوامٍ دوامع

كيف يخفى مع الدمو عِ الهوى في الهوامع

مارأينا أخا هوى سرُّه غير ذائع

انَّ نيرانَ حُبهِ باديات الطوالع

من أظرف ماقيل فى ذكر الشركة فى الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد:

مالى جفيتُ وكنت لاأجفى وعلامةُ الهجرانِ لاتخفى

وأراك تمزجنى وتشربنى ولقد عهدتك شاربى صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف فى هذا المعنى وهو قوله:

يافوز لم أهجركمُ لملالة منى ولا لمقالِ واشٍ حاسد

لكننى جربتكم فوجدتكم لاتصبرونَ على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع، قال أبو نواس:

أتيت فؤادها أشكو اليه فلمْ أخلص اليه من الزِّحام

فيامنْ ليس يكفيها مُحبٌّ ولاألفا محبٍّ كلَّ عام

أظنك من بقيةِ آل موسى فهمْ لايصبرون على طعام

ومما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله:

أحرم منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقونَ من عشقوا

صرتُ كأنى ذبالةٌ نصبتْ تضيء للناسِ وهى تحترق

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كليلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول يومىء قول البحتري :

قصائد ماتنفكُّ فيها غرائب تألق فى أضعافها وبدائع
مكرَّمةُ الانساب فيها وسائلٌ الى غير من يحبي بها وذرائع

ومما سبقت اليه من المعانى ماقلته :

رفعَ السترُ فانثنى غصنُ بانٍ يتجلى الهلالُ في معناه
ليسَ لى أنْ أنالَ ماأتمنى من جنى وصلهِ اللذيذِ جناه
فلو أنى كنت فى بعضِ شعرى فاذا ماشداه قبلت فاه

ومن أبلغ ماقيل في بخل المعشوق من قديم الشعر ماأنشدناه أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن عبدالرحمن عن عمه :

وما نطفةٌ كانتْ سلالة بارقٍ نمت عن طريق الناسِ ثم استظلت
بأطيب من أنياب تلثم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلتْ حتى لو انى سألتها قذى العين من ضاحى التراب لضنت

ومن أحسن ماقيل فى وقوف النظر على المعشوق قول بعضهم (قيد الحسن الحدقا) وهو من قول امرىء القيس « قيد الأوابد» وقد أحسن الآخر فى قوله :

ظبيٌ له من قلوبِ الناس نابتةٌ من المودَّة تجنى أطيبَ الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دماً فلم تختلف عينان فى نظر

ونحوه قول المتنبى :

وخصر تثبت الابصارُ فيهِ كأنَّ عليهِ من حدق نطاقا

ومن أجود ماقيل فى كمال الحسن ماأنشدناه أبو أحمد :

كلُّ شيء من محاسنها كامنٌ فى حسنه مثلا
ليسَ فيها ما يقالُ له كملتْ لو أنَّ ذا كملا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ماتعداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدلْ عدله في عاشقٍ طالَ به خبلهُ
أطرفهُ أحسن أم طرفه وحسنه أكمل أم عقله
انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كلهُ
لو قيلَ للحسن تمنَّ المنى إذاً تمنى أنه مثله
أيّ خصالٍ حازَها سيدي لو لم يكدر صفوها مطلهُ
وقال أبو نواس: تمّتْ وتم الحسنُ في وجهها فكلّ شيء ماخلاها محال
للناسِ في الشهرِ هلالٌ ولى من وجهها كلّ صباح هلال
وقال: متتائه بجمالِهِ صلف لايستطاع كلامُهُ تيها
لوكانت الأشياءُ صورتهُ حتى اذا كملت تاهت على التيها؟
وقال: ألاحظُ حسنَ وجنتهِ فتجرحني وأجرحُها
وقال غيره: شكوتُ الى شبيهك إذ تجلى هواك فلم يُزلْ شكوى الحزين
وكانَ كأنتَ إشراقاً وحسناً وقلةَ رحمةٍ لمستكين

أحسنُ ماقيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب:

فصدَّت كأنّ الشمسَ تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضنتْ بحاجب

وقد مر قبل. ومن ظريف ماجاء في ذلك قول ابن الرومي:

ماساءَني إعراضُه عني ولكنْ سرَّني
سالفتاهُ عِوَضٌ عن كلِّ شيءٍ حَسن

وقال الآخر وأحسن:

صدَّعني محمدُ بنُ سعيدِ أحسن العالمينَ ثاني جيد
صدّ عني من غير جرم اليه ليسَ إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذي لاشبيه له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تجنيه عليه قول بعضهم:

شكوت فقالت كلّ هذا تبرما بحبي أراحَ الله قلبكَ من حبي
فلما كتمتُ الحبَّ قالت لشرما صبرتَ وما هذا بفعل الشجي الصبّ

وأدنو فتقصيني فأبعد طالباً رضاها فتعتدُّ التباعدَ من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها وتجزع من بعدي وتنفرُ من قربي

وقريب منه قول مسلم :

ويخطىءُ عذري وجهَ جُرمي عندها فأجني اليها الذنبَ من حيثُ لا أدري
إذا أذنبتْ أعددْتُ عذراً لذنبها فان سخطتْ كانَ اعتذاري من العذر
بذكرك ماتَ اليأسُ في حضرةِ المنى وإن كنتُ لم أذكرك إلا على ذكر

قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجرَ حاليا وصبوة قلبٍ ما ترى القلبَ شافيا
نزلتُ على حكم الصبابةِ والهوى فصرتُ أرى للخلِّ مالا يرى ليا
ولولا الهوى ما كنتُ آملُ باخلا أرحم ظلاّما وأذكرُ ناسيا
ومن شأنه أني إذا ما ذكرتهُ جفاني وسماني اذا غبتُ جافيا
على أنني أنأى فأدنو تذكراً ولستُ كمنْ يدنو فينأى تناسيا
ويعجبني حُبي له وصبابتي اليهِ وإمساكي عليهِ ودايا
فلو ظنني أسلوهُ لم أكُ هاجراً ولو خالني أنساهُ لم يكْ نائيا
ولكنَّ عشقي في ضمان جفونه فيأمن سلواني ويرجو غراميا

ومن أصاب وصف العاشق الصادق العشق على حقيقته الذي يقول :

إذا قَربتْ دارٌ كلفتُ وإن نأتْ أسفتُ فلا للقربِ أسلو ولا البعد
وإن وَعَدَتْ زادَ الهوى لانتظارها وإن بخلتْ بالوَعدِ متُّ على الوعد
ففي كلِّ حال لا محالةَ فرحةٌ وحبك ما فيهِ سوى محكم الجهد

ومثله قول الآخر :

وما في الارض أشقى من محبٍّ وان وَجَدَ الهوى حلوَ المذاقِ
تراه باكياً في كلِّ حين مخافةَ فرقةٍ أو لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقاً اليهم ويبكي ان دَنوا خوفَ الفراق

فتسخن عينه عند التنائى ... وتبرد[١] عينه عند التلاقى

ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :

اذا رضيتْ لم يهنني ذلك الرّضا ... لصحة علمي أن سيتبعه عتب[٢]

وأبكي إذا ما أذنبتْ خوفَ عتبها[٣] ... فأسألها مرضاتها ولها الذّنب

وصالكمُ صرمٌ وحبكمُ قلى ... وعطفكمُ صدٌّ وسلمكمُ حرب

ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد ويروى لفضل الشاعرة :

ما كنتُ أيام كنت راضيةً ... عنى بذاك الرّضا بمغتبط

علماً بأنّ الرّضا سيتبعه ... منك التجني وكثرةُ السخط

فكلٌّ ما ساءني فعن خلق ... منك وما سرّني فمن غلط

ومن البديع فى طلب نيل المعشوق قول الآخر :

عدينا مَوْعداً ثم اجحدينا ... فكم من مبطل حقاً بجحد

وإلا فابذلى من غير وعد ... فقد تكف السماءُ بغير رعد

وقلت فى نحو ذلك :

نسيءُ على بعدِ الدّيار تنائيا ... وخلفك عند القرب من عصب البعد

كثير سروري في قليل وفائه ... وعند ابتسام البرقِ قهقهة الرعد

ومن أبلغ ما قيل فى الرضا عن المعشوق بالقليل قول جميل :

أقلبُ طرفى فى السماءِ لعله ... يوافقُ طرفى طرفها حين تنظر

ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليلُ يلبس أمَّ عمرو ... وإيانا فذاك لنا تدان

بلى وأرى السماءَ كما تراها ... ويعلوها النهارُ كما علانى

وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الانبارى لجميل[٤] :

---

(١) في الأصل (تسخن). (٢) في ديوان ابن الاحنف (لعلمي به أن سوف يتبعه العتب)

(٣) في ديوان ابن الاحنف (خوف صدها) . (٤) هو جميل بن معمر العذرى

وانى لأرضى من بثينـةَ بالذى ... لو استيقنَ الواشى لقرَّتْ بلابله
بلا وبالا استطيـــع وبالمـنى ... وبالامل المكذوب(1) قدخاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى ... أواخـره لا نلـتقي وأوائـله

وكان جميل يصدق فى حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :

ومانلتُ منها محرماً غير أننى ... إذا هى بالتْ بلتُ حيثُ تبول

وعفة هذا كعفة المتنبي فى قوله :

انى على شغفى بمـا فى خمرها ... لأعفُّ عمـا فى سراويلاتها

سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ماهو أحسن من هذه العفة إذ عبر عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهرى عن عمر بن شبة قال حدثنى أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لـكثير ماأنسب بيت قالته العرب ؟ قال الناس يقولون :

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثلُ لى ليلى بكلِّ سـبيل

وأنسب عندى منه :

وقل أمُّ عمـرٍو داؤه ودواؤه ... لديها ورياها الطبيب الموافق

وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ماقيل فى شدة الحب ماأنشدناه قدامة :

يودُّ بأنْ يمسى سقيماً لعلها ... إذا سمعتْ منه بشكوى تراسله
ويهتزُّ للمعروف فى طلب العلى ... لتحمدَ يوماً عنـدَ سلمى شمائله

وقلت فى معناه :

وقلتُ عساها إن مرضْتُ تعودنى ... فأحببتُ لو أنى غدَوْتُ مريضا
وزدتُ اتساعاً فى المكارم والعلا ... ليصبحَ جاهي عندهـنَّ عريضا

ومن الشعر المختار فى النسيب قول أبى المطاع :

كان كثيِّر راوية جميل وجميل راوية هدبة وهدبة راوية الحطيئة والحطيئة راوية زهير بن أبى سلمى . (١) فى وفيات الاعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرته والسيفُ يخفرنى ولحظُ عينيه أمضى من مضاربهِ
فما خلعت نجاداً في العناقِ له حتى لبستُ نجاداً من ذوائبهِ
فباتَ أنعمنا بالاً بصاحبهِ من كان في الحبّ أشقانا لصاحبهِ

وقلت فى معنى البيت الآخر :

بقدرِ الصبابةِ عندَ المغيب تكونُ المسرّةُ عندَ الحضور
وأطيب ما كان بردُ الثغور إذا هو صادفَ حرَّ الصدور

ومن المختار فى صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسلينى هواهُ ولمْ أعلم بأنَّ الشعرَ حينى
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى سوادَ عذارهِ بسوادِ عينى

ومن أعجب ماقيل فى التهالك فى الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم ماتصنعُ الشمسُ لهُ فيّا
بأىّ وجهٍ أتلقاهمُ إذا رأونى بعدَهمْ حيّا

ومن أبدع ماقيل فى عدم السلوّ قول ابن الرومى :

أأسماءُ أىُّ الواعدينَ ترينهُ أشدّ كما مطلاً فانىَ لاأدرى
أأنتِ بنيلٍ منك يبردُ غلتى أم النفس بالسلوانِ عنك وبالصبر

لم يقل فى بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره فى الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء فعزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ ولنْ تستطيعَ إليك النزولا

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفى معشوقه :

قد سحب الناس أذيالَ الظنونِ بنا وفرّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا

فكاذبٌ[(١)] قدرمى بالظنّ غيركمُ   وصادقٌ ليس يدرى أنهُ صدقا

وهذا معنى غريب بديع ماأظنه سبق اليه .

ومما هوفى معنى قوله * هى الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :

شكوتُ إلى بدرٍ هوايَ فقال لى   ألستَ ترى بدْرَ السماء الذى يسرى

فقلتُ بلى قالَ التمسهُ فانّهُ   نظيرى ومثلى في علوٍ وفى قدر

فانْ نلتهُ فاعلمْ بأنك نائلى   وإن لم تنلهُ فابغ أمراً سوى أمرى

فكانَ كلا البدرين صعباً مرامه[(٢)]   فويلىَ من بدرِ السماء ومن بدرى

ومن الغريب البديع فى مدح الفراق لمكان القبلة والاعتناق قول محمد بن عبد الله بن طاهر :

ليسَ عندى شحطُ النوى بعظيم   فيه غمٌ وفيه كشفُ غموم

من يكنْ يكرَهُ الفراقَ فانى   أشتهيهِ لموضع التسليم

إنَّ فيه اعتناقة لوداع   وانتظار اعتناقه لقدوم

فلكم قبلةٍ وغيبة شهر   (هى) خيرٌ من امتناع مقيم

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومى :

فاذا كانَ فى الفراق عناقٌ   جعل اللهُ كلَّ يوم فراقا

أجود ما قيل فى خفقان القلب قول قيس بن ذريح[(٣)] :

كأنَّ القلبَ ليلة قيل يغدى   بليلى العامرية أو يراحُ

قطاةٌ عزها[(٤)] شركٌ فباتت   تجاذبهُ وقد علقَ الجناح

فلولا التضمين الذى فيه لكان غاية . ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :

ومملوء من الحزن   يعالج سورَةَ الأرق

---

(١) فى ديوان ابن الأحنف « فجاهلٌ » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكنانى من شعراء العصر الاموى من سكان المدينة شعره عالى الطبقة في التشبيب والحنين . (٤) كذا في الأمالى ، وفي الأصل «غزها» وفي الصناعتين «غرها»

تكادُ غروبُ مقلته   تعمُّ الارضَ بالغرق
كأنَّ فؤاده قلقــا   لسانُ الحيــةِ الفرق

وقد أحسن في قوله أيضا :

علمت قلبي وجيباً لست أعرفه   ما أنكر القلب إلا كلما خفقا
ياشوق إلفين حال البينُ بينهما   فعافصاه على التوديع فاعتنقا
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها   تطيراً من بكائي بعدهم شفقا

وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

ولوداواكَ كلُّ طبيب (ركب)   بغير كلامِ ليلى ما شفاكا
ولو أصبحتَ تملك كلَّ شيء   سوى ليلى عتبت على غناكا

ومن أعجب ماقيل في الشفقة على المعشوق قول أبي دلف العجلي :

أحبك ياجنان وانت مني   مكان الرُّوح من جسد الجبان
ولو أني أحبكَ حُبَّ نفسي   لخفتُ عليك بادرةَ الطعان
لاقدامي إذا ما الخيلُ جالتْ   وهابَ شجاعها وقعَ الطعان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ماقيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجتُ فلم أظفر وعدتُ فلم أفز   بنيل كلا اليومين يوم بلاء
فياحسرتي ما أشبهَ اليأسَ بالغنى   وان لم يكونا عندنا بسواء

وقال : وقد أيقنت نفسي بأنْ حيلَ بينها   وبينك لو يأتي بيأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعاني بلاعنا   وقد جُن من وجدي بليلى جنونها

ومثل ذلك : فان يك عن ليلى غنى وتجلدُ   فربَّ غنى نفسٍ قريبٌ من الفقر

ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد :

اذا (يوماً) بليتُ وذاب جسمي   لعلَّ الريحَ تحملني اليهِ

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مـدنف بشكوك طـول سقمـه
أضنيتـهُ فمـا يطيـق ضعفه(١) حمل اسمه
فـلا يراك عائداً إلا بعـين وهمـه

وقال كشاجم :

وما زال يبرى أعظمَ الجسم حبها وينقصها حتى لطفنَ عن النقص
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصى

وقال ديك الجن وبالغ :

أنحلَ الوجدُ جسمهُ والحنين وبَرَاهُ الهوى فما يستبين
لم يمس أنه جليدٌ ولكنْ دَقَّ جداً فما تراهُ العيون

وقال نصر بن أحمد :

قد كانَ لى فيما مضى خاتمٌ فاليوم لو شئتُ تمنطقتُ به
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجَّ بى فى مُقلةِ النائم لم ينتبه

الحسن بن وهب (٢) :

أبليتُ جسمى من بعد جدَّته فما تكادُ العيونُ تبصرُهُ
كأنه رسمُ منزل خلقٍ تعرفهُ العينُ ثمَّ تنكرُهُ

ومما لاأظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس فى هذا المعنى :

حمدت إلهى إذ بليت بحبها على حَولٍ يغنى عن النظرِ الشزر
نظرتُ اليها والرقيبُ يظننى نظرتُ اليه فاسترحتُ من العذر

ومن فصيح ماقيل في إفشاء الهوى صاحبه قول بعض نساء الاعراب :

ألا قاتلَ اللهُ الهوى ماأشدَّهُ وأصرعهُ للمرءِ وهو جليدُ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبى تمام ، رثاه البحترى لما مات .

دعانى الهوى من نحوها فأجبته ... فأصبح بى حيث يريد

وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلت ثم عرجت ... ليتها لم تعرج

في حداد كأنها ... وردة في بنفسج

ومن أحسن ماقيل فى مجىء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستتم عناقه لقدومه ... حتى بدأت عناقه لوداعه

فمضى وأبقى فى فؤادي حسرة ... تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدنى أبو أحمد قال أنشدنى الصولى أنشدنى الحسين بن يحيى أنشدنى الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبى زور تلفت له ... فتنفست عليه الصعدا

بينما أضحك مسروراً به ... إذ تقطعت عليه كمدا

وأنشدنا عنه لأبى العميثل [١] :

لقيت ابنة السهمى زينب عن عفر ... ونحن حرام مسى عاشرة العشر [٢]

فكلمتها ثنتين كالثلج منهما ... وأخرى على لوح أحر من الجمر

الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ماقيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزداد فى قرب الديار صبابة ... ويبعد من فرط اشتياق طريقها

وما ينفع الحر أن ذا اللوع أن يرى ... حياض القرى مملوءة لا يذوقها

ومن جيد ماقيل في رد العذول :

---

(١) هو عبد الله بن خليد ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) فى البيت تصحيف صححناه من الأمالى ، وفيه : عن عفر : عن بعد أى بعد حين ، ونحن حرام: أى محرمون ، ومسى عاشرة العشر يعنى أنه لقيها بعرفات عشية عرفة وهو مسى عاشرة العشر.

إذا أمرتنى العاذلاتُ بهجرها هفتْ كبدٌ مما يقلنَ صديع
وكيفَ أطيعُ العاذلاتِ ووجهها يؤرِّقنى والعاذلاتُ هجوع

ومن جيد ماقيل فى رياضة النفس على الهجر ماأنشده أبو اسحق الموصلى :

وانى لأستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودَّةَ بالهجر
وأنذرُ بالهجرانِ نفسى أروضها لأعلمَ عندَ الهجرِ هل لىَ من صبر

وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ انما هى الهجرُ لا والله مابى لك الهجرُ
ولـكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقتْ يوماً أحبتها صبرُ

وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسى لعلها تمسك لى أسبابها حينَ تهجر

والزيادة فى قوله :

وأعلمُ أنَّ النفسَ تـكذبُ وعدها إذا صدقَ الهجران يوماً وتغدر
وما عـرَضَـتْ لى نظرةٌ مذ عرفتها فأنظر إلا مثلتْ حين أنظر

وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكرَها فـكأنها تمثلُ لى ليلى بـكلِّ سبيل

وذكر بعضهم أنه يهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقى عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كانَ هجرانى لها من ملالةٍ ولـكننى جرَّبت نفسى على الصبر

ومن فصيح الشعر الداخل فى هذا الباب قول ابراهيم بن العباس أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن ثعلب وأبى ذكوان قالا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه:

يمرُّ الصبا صفحاً بسا كن ذى الغضا فيصدَعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما هوى كلِّ نفس أين حلَّ حبيبها

تطلعُ من نفسي اليكَ طوالعٌ عوارفُ أن اليأسَ منك نصيبها

وإنما أغار ابراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول :

إذا هبت الأرواحُ من نحو جانب [(١)] به أهل ميٍّ زاد شوقى [(٢)] هبوبها

هوى تذرفُ العينان منه وإنما هوى كلّ نفس أينَ [(٣)] حلّ حبيبها

وقال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصريني ياظلوم تبيني شمائلَ بادى البثّ منصدع القلب

بريئاً تمنى الذنبَ لما هجرته [(٤)] لكيما يقال الهجرُ [(٥)] من سبب الذنب

وقد كنتُ أشكو عتبها وعتابها فقد فجعتنى بالعتابِ وبالعتب

أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجنة .

ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرىء القيس * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل* وقف واستوقف وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطرُ والندى من الدارِ إلا مايشفُّ ويشفق

وقلت : قد عريت أما ماحينا اكتست أرديةَ الرِّيح عشياً وضحى

لم يبقَ فيها غيرُ مايذكى الجوى ويصرفُ النومَ ويبعثُ البكي

وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حيِّ من أجل الحبيبِ المغانيا لبسنَ البلى مما لبسنَ اللياليا

ولأعرابى : طللان طالَ عليهما الأبدُ دثرا فلا علم ولا نضدُ

لبسا البلى فكأنما وجدا بعدَ الأحبةِ مثل ما أجدُ

---

(١) فى ديوان ذى الرمة (من كل جانب). (٢) في الديوان (هاج شوقى)

(٣) فى الديوان (حيث حل) . (٤) فى ديوان العباس المطبوع (صرمته)

(٥) فى الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذى أورد من أنواع هذه المعانى إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبيه على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد فى القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟ . ومن أجود ماقيل فى حب السودان :

أحبُّ النساء السودَ من حبِّ تكتم ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
فجئنى بمثلِ المسكِ أطيب نفحة وجئنى بمثل الليل أطيب مرقدا

البيت الثانى على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّى إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولاخزر
أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن مايعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
فانْ حسبت سوادَ الجلدِ منقصةً فانظر الى سعفةٍ في وجنة القمر

وروى للجاحظ :

يكونُ الخالُ فى وجهٍ مليح فيكسوهُ الملاحةَ والجمالا
ولستَ تملُّ من نظرٍ اليهِ فكيفَ إذا رأيتَ الوجهَ خالا

وقد ملح بعضهم فى خلاف ذلك :

إنّ الذى يعشق من لا
وإنَّ من يعشقُ زنجيةً لكالذى دلك فى الظلمة

أجود ماقيل فى الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :

أنى سريت وكنت غير سروبٍ وتقرِّبُ الاحلامُ غير قريبِ
ماتمنعى يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مكدَّر[1] محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها ولهوتُ من لهو امرىء مكذوب

وقول عمرو بن قميئة[2] :

---

(١) فى ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرىء القيس ، وهو شاعر فحل.

نأتكَ أمامــة إلا سؤالا　　وإلا خيالاً يوافى خيالا
خيــالى يخيــل لى نيلها　　ولو قدرتْ لم تخيــل نوالا

وهذا من معانى القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل فى بخل المعشوق ، ومن هاتين القطعتين أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال ، ومن البارع الفصيح في هذا المعنى قول البعيث [1] :

أزارتك ليلى والركّاب خواضع　　وقد بهر الليل النجومُ الطوالع
فأعطتك آيات المنى غـير أنها　　كواذب إن حصلتها وخوادع
على حين ضمّ الليلُ من كلّ جانب　　جناحيه وانقضت نجومٌ ضواجع
وأعجلها عن زورة لم أفز بهـا　　من الصبح حادٍ يزعج الليل ساطع

وأحسن النميرى حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه　　يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إلماما　　داويتَ سقماً وقد هيجت أسقاما

ومن اللفظ الغريب قوله :　ه. ز　السكرى طيفها وهنا لخيالى ه
لاأعرف أنه سبق الى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزارتهُ فكرتى فى المنام　　فأتانى فى خفية [2] واكتتام
يالها ليلة تزاورت [3] الأر　　واحُ فيها سراً من الأجسام
مجلس لم يكنْ لنا فيه عيبٌ　　غير أنا فى دعوة الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعانى فى هذا قول دعبل :

سرى طيفُ ليلى حين حان هُبوبُ　　وقضيتُ شوقى حين كاد يؤوبُ
ولم أر مطروقاً يحـلُّ بطارق　　ولا طارق يقرى المنى ويثيب

---

(١) هو خداش بن بشر من بنى مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وسمى البعيث بقوله :

تبعث منى ماتبعث بعـدما　　استمر فؤادى واستمر عزيمى

(٢) في ديوان أبى تمام « فأتانى فى خيفة » . (٣) في الديوان (تنزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومى :

طرقتنا فأنالتْ نائلا شكره لوكان فى النبة الجحود

ثم قالتْ وأحستْ عجبى من سراها حيث لاتسرى الأسود

لاتعجبْ من سرانا فالسرى عادةُ الأقمارِ والناس هجود

فرأيت فى هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقبتْ غفلة الرقيبِ فزارتْ تحت ليـل مطرَّزٍ بنهار

فتعجبتُ من سراها فقالتْ غير مستطرف سُرى الأقمار

ثم مالتْ بكأسها فسقتنى جلنارية على جلنار

آخر : فياليت طيفاً خيلته لى المنى وإنْ زادنى شوقاً اليك يعودُ

أكلفُ نفسى عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطاع شديد

الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطاع) وأما تكليفه فى الحقيقة فغير شديد على المكلف وانما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردىء . وقال الحمدونى :

لم انلهُ فنلتـهُ بالامانى فى منامى سراً من الهجران

واصل الحلمُ بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحنُ مقترنان

وكأنَّ الارواحَ خافتْ رقيباً فطوتْ سرَّها عن الأبدانِ

منظرٌ كانَ نُزْهةَ العين إلا أنَّه ناظرٌ بغير عِيانِ

وقال ابن المعتز :

لافرَّجَ اللهُ عن عينى برؤيته ان كنتُ أبصرتُ شيئاً بعدَهُ حسنا

إلاخيالاً عسى ان نمتُ يطرقنى وكيفَ يحلمُ من لايعرفُ الوسنا

وقال : كلامهُ أخدع من لحظـهِ ووعدهُ أكذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بعينيك اعوالى وطول شهيقى وإخفاق عينى من كرى وخفوق

على أنَّ تهويماً إذا عارضَ اطى[1] سرى طارقاً في غير وقت طروق
فباتَ يعاطيني على رقبة العدى ويمزجُ ريقاً من جناه بريقى
وبتُّ أهابُ المسك منه وأتقى رداع عبير صائك وخلوق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صفت إلى خبر أذناى غيرِ صدوق
وماكانَ من حقٍّ وبطل فقد شفى حرارةَ متبول وخبل مشوق

وقلت فى خلاف ذلك:

طرقَ الخيال فزار منه خيالا فسرى يغازل فى الرّقاد غزالا
يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالا
فغدا المتيمُ وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالا

وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريمى[2] :

ليالى أرعى فى جنابك روضةً وآوى إلى حصن منيع مراتبه
وإذأنتَ لى كالخمر والشهد ضمنا بماء لصاف ضمنته جنائبه

وقال بشار :

لقد كانَ ما بينى زماناً وبينها كما بينَ ريح المسك والعنبر الورد

أجود ما قيل في صفة الركب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبى النجم ويتعجبون من حسنه :

كأنَّ تحتَ درعها المنعطّ ضخم القذال حسن المخطُ
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قطٌّ على مقطّ
شطاً رميت فوقه بشطٍّ كهامة الشيخ اليمانى الشمط
لم يعلُ فى البطنِ ولم ينحط

حتى قال بشار :

---

(١) فى الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياد ، عمى بعد ما أسن ، وقال فى ذلك شعراً .

عجزاء من يرب بني مالك لها حرٌ من بطنها أرفع
زيّنَ أعـلاهُ باشرافه وانضمّ من أسفله المشرع

قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :

وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ رابي المجسةِ بالعبير مقرْمد
وإذا نزَعتَ نزَعتَ عن مستحصفٍ نزع الحزوّر بالرّشاء المحصد

يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعه كما يتعب الحزور - وهو الغلام - إذا استقى من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :

لها هنٌ نستعيرُ وقدته من قلب صبٍّ وصدر ذي حنق
كأنما حرُّه لخابره ما أوقدتْ في حشاه من حرق
يزداد ضيقاً على المراسِ كما تزداد ضيقاً أنشوطة الوهق

وقال في سعته :

يسعُ السبعةَ الاقاليمَ طرّاً وهو في أصبعينِ من إقليم
كضمير الفؤاد يلتهمُ الدّنيا وتحويه دفتا حيزوم

ومن النادر قول الناجم :

إنّ ردفَ الفتاةِ عجزةُ خبازٍ وقداً امها من الأدم جبنه

وقال المعذل بن غيلان (١) :

ومركب كبيضة الأدحيّ كأن نبتَ الشعرِ المطليّ
عليه شونيزٌ على فرنيّ

ومما يجري مع ذلك قول بعضهم :

أقولُ والقومُ تعادى بهم الى الوغى مضمرةٌ قرح
استحمل الله على مركبٍ يحثُّ بالسيرِ ولا يبرح

---

(١) هو والد عبد الصمد بن المعذل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

مامركب من ركوبِ الخيلِ يعجبنى … كمركبٍ بينَ دملوج وخلخالِ

ومثال الأول : فباتَ يسرى ليلهُ ولم ينم … ولم يجاوز سيره قيس قدم

وقال الفرزدق : ثم اتقتنى بجهم لاسلاحَ له … كمنخرِ الثورِ محبوساً على البقر

كأنَّ رمانةً في جوفه انفجرت … تكادُ توقدُ ناراً ليلة القدر

وأبلغ ما قيل فى كبره قول الفرزدق :

إذا بطحتْ فوقَ الأثافي رفعها … بثديينِ فى نحرٍ عريضٍ وكعثب

يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لان نهود ثدييها وكبر ركبها مثل أثافى القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذى اختاره الأصمعى .

وقال الراجز فى وصف الضيق :

كأن هجاماً[1] شديداً أيره … يدارك المصّ ولا يفتره

ومما قيل فى حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلى وهى ذاتُ موصد … ترد علينا بالعشىّ المراميا

فشبَّ بنو ليلى وشبَّ بنوا ابنها … وأعلاقُ ليلى فى الفؤادِ كماهيا

ابن المعتز : من معينى على السهر … وعلى الهمّ والفكر

وابلانى من شادن … كبر الحبّ إذ كبر

ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمرى لقد كذبَ الزّاعمون … بأنَّ القلوبَ تحاذى القلوبا

ولو كان حقاً كما يزعمونَ … لما كانَ يشكو محبٌّ حبيبا

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعى يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت له هذا ياأمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذرى[2] فى آخر

---

(١) فى نسخة (هماماً) (٢) شاعر اسلامي من المتيمين .

أبياته التى أنشدها :

أرانى تعرونى لذكراك رعدة[1] لها بينَ جلدى والعظام دبيب

وما هو إلا أنْ أراها فجاءةً فأبهت حتى ما أكاد أجيب

وأصرف[2] عن رأيى الذى كنتُ أرتئى ويعزب عنى ذكرهُ ويغيب[3]

ويضمرُ قلبى عذرها ويعينها علىّ فمالى فى الفؤادِ نصيب

فقال الرشيد من قال هذا وهماً فانى أقوله علماً ولله درك ياأصمعى فانى أجد عندك مايضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازرُهُ قلبي علىّ وليس لى يدانِ بمنْ قلبى علىَّ يؤازرُهُ

وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائى بنظرةٍ وقفتْ جسمى على دائى

وكنتُ غراً بما تجنى علىّ يدى لاعلم لى أنَّ بعضى بعضُ أعدائى

وهذا شعر فيه تكلف ، أخذه البحترى :

واستُ أعجبُ من عصيانِ قلبك لى عمداً اذا كانَ قلبى فيك يعصينى

وقال ابن الأحنف :

قلبى الى ماضرَّنى داعى يكثرُ أسقامي وأوجاعى

كيف احترازى من عدوّى اذا كان عدوّى بين أضلاعى

ومن جيد ماقيل فى قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسى :

يقولونَ هذى أمُّ عمرو قريبة دَنَتْ بك أرضٌ نحوها وسماءُ

ألا إنما بعدُ الحبيبِ وقربُهُ اذا هوَ لم يوصلْ إليه سواء

وفي خلافه : وإنى زوَّارٌ لمنْ لايزورنى اذا لم يكنْ في ودِّهِ بمريب

يقرّبُ لى دار الحبيب وإن نأتْ وما دارُ من أبغضتهُ بقريب

---

(١) فى الأغانى (وإنى لتغشانى لذكراك هزة) (٢) فى الأغانى (وأصدف) وهما بمعنى . (٣) في الأغانى (وأنسى الذى أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعني راغماً أشقى بوجدى ... وخذ قلبي إليكَ بغيرِ حمد

سقام لايرقُّ علىَّ منه ... ووجد لايكافئهُ بودّ

وقد أصفيتهُ ودّى بجهدى ... فمارضَ فى الجفاءِ بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى اللهُ يومَ البينِ خيراً فانه ... أرانا على علاتهِ أمَّ ثابت

وكتب بعضهم فى معنى قول الشاعر * ومافي الأرض أشقى من محب * وقد تقدم: تفكرى فى مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عينى أن تقربك مخافة ان تسخن ببعدك فلى عند الاجتماع كبد ترجف وعند التنائى مقلة تكف . ومثله : لا والذى بيده السلامة بروح دارك و بعد مزارك مازادنى اللقاء إلا صبابة وأسفاً والاجتماع إلا نزاحا وكلفا لأنى منقسم القلب بين رجاء يعدنى بقربك وحذر يوعدنى ببعدك وإذا قربت دارك كلفت وان نأت أسفت فلا في القرب أسلو ولا البعد .

وسمعت لماني الموسوس(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكتْ عينى غداةَ البينِ دمعاً ... وأخرى بالبكى بخلتْ علينا

فعاقبتُ التى بخلتْ علينا ... بأن غمضتها يومَ التقينا

وسبكه البيت الأول ورصفه ردىء جداً لاخير فيه وانما استغربت المعنى فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاءُ بليلةٍ ... جعلتْ لنا حتى الصباح نظاما

تجرى العيون جزاءهنَّ عن البكى ... وعن السهادِ فلا نصيبُ اثاما

فنبيحهنَّ مُرادَهنَّ يردنه ... فيما ادَّعينَ ملاحةً ووساما

---

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافىء الأذانَ وهى حقيقةٌ ... اذ لاتزال تكابدُ اللواما

فنثيبهنَّ من الحديث مثوبةً ... تشفى الغليلَ وتكشفُ الأسقاما

ونكافىء الأفواهَ عن كتمانها ... إذ لايزالُ لها الصماتُ لجاما

فنبيحهنَّ ملاثماً ومراشفاً ... ماضرَّها أن لاتكونَ مداما

نجزى الثلاثة أنصباء ثلاثة ... مقسومة آناؤها أقساما

ولخالد الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم ... بكاءَ فتى فرد على شجن فرد

أأبكى الذي فارقتُ بالدَّمع وحدَهُ ... لقد جلَّ قدرُ الدَّمع فيه إذاً عندى

وكتبت فى فصل لى : قد جل شوقى إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد (١) :

وما كانَ حبيها لأوَّلِ نظرةٍ ... ولا غمرة من بعدها فتجلتِ

ولكنها الدُّنيا تولتْ فما الذى ... يسلى عن الدُّنيا إذا ماتولتِ

وقال أعرابي :

أعللُ أصحابى بجدِّى وباطلى ... وأسماء جدّ القلب منى وباطله

ومن بديع المعانى قول ابن أبى فنن :

أدميتُ بالألحاظِ وجنتهُ ... فاقتصَّ ناظرُهُ من القلبِ

أخذه على بن عاصم فقال :

ضربتْ إلفى بيدى ... خانَ يمينى جلدى

فاقتصَّ لما اغرَوْرَقَتْ ... مقلتهُ منْ كبدى

فلا أقلتْ بعدها ... سوطي من الأرضِ يدى

---

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ماقيل فى تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغى أن يقدم :

جاءتْ تهضُّ الأرضُ أى هضِّ   يدفعُ منها بعضها من بعضِ

يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيبها بعين لأن بعضها يشغل عن بعض . ومن بديع المعانى قول بعض الشعراء :

قصاراكَ منى الودّ مادمت حيةً   وودّك ماء المزن غير مشوب

وآخر شيء أنت فى كل مضجع   وأوّل شيء أنتِ عندَ هبوب

ومن جيد القول فى الفراق قول أبى محلم :

وماخفتُ وشكَ البينِ حتى رأيتهم   معض ؟ أعاط لهم وقطوع

لعمركَ ماشيٌ مريتُ بذكرهِ   كآخر يأتى بغتةً فيروع

ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

مابينَ بابِ الوزير والمسجدِ الجا   مع ظبيٌ كالظباء فى جيده

أطماره رثةٌ فقد ضاعَ لا   ضاعَ وضاعَ التمييزُ في بلده

ليسَ لهُ ناقدٌ فيعرفه   وآفةُ التبرِ ضعفُ منتقده

وفى خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً   أعرّضه لأهواءِ الرّجال

ترانى آمن الشركاء فيهِ   وآمن فيهِ أحداث الليالى

معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواهُ   فقلتُ لها إذافنىَ الملاح

معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً   قَصرَ الطريقُ وطالَ عند رجوعى

معنى آخر : إذا طلعت شمس النهارفانها   أمارةُ تسليمى عليك فسلمى

آخر التشبب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لانبي بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الذى قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم عباده فى العاجل ويدل على ما أعد لمحسنهم فى الآجل فقال (يا أيُّها النَّـاسُ كُلوا ممـا فى الأرْضِ حَلالاً طَيِّباً)وقال (يا أيُّها الرُّسل كُلوا من الطَّيِّبات واعْملوا صَالحاً) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينةَ اللهِ التى أخْرَجَ لِعبادِهِ والطيبات مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفى ذكر الشراب وما يجرى مع ذلك ـ ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعانى ﴾

﴿ الفصل الأول فى ذكر النار ﴾

فأول مانذكر فيها قول الله تعالى (أفَرَأيْتُمُ النَّارَ الَّتى تُورُون) الى قوله (نحنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَمَتاعاً للمُقْوِينَ) فذكر منفعتها وحسن عائدتها فى الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ماأعد الله تعالى لعصاته منها فى دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهاة لمن تبصر ، وأما منافعها في الدنيا وكثرة مرافقها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليهاشيء سواه وليس بهعنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون جميع مافيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم فى الأرض ولا يستنجون فى الانهار، رؤى على عهد كسرى رجل يغتسل فى دجلة فضربت رقبته ، وكانت العرب إذا تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغدر وينقض العهد بحرمان منافعها . وقد أحكمنا ذلك فى كتاب الأوائل. ومن عجيب التشبيه فى النار قول الأول :

كأنَّ الريحَ تقطع من سناها بنايق حبة من أرجوان

وقول ابن المعتز :

وموقدات بتن[1] يضر منَ اللهبْ يشبعنهُ منْ فحم ومن حطبْ
يرفعنَ نيراناً كأشجارِ الذَّهبْ

وقال آخر : كأنّ نيراننا فى جنبِ قلعتهم مصبغات على ارسانِ قصار

وقول أبي تمـام فى إحراق الافشين :

نارٌ يساورُ جسمهُ من حرِّها لهبٌ كما عصفرتَ شقَّ إزار
صلى لها حياً وكان وقودَها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثنى جعفر بن على بن الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين فى فتحه هرقلة :

ريعتْ هرقلة لـما أن رأتْ عجبا جو السما[2] ترتمى بالنفطِ والقار
كأنَّ نيراننا في جنبِ قلعتهم مصبغات[3] على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائى أوصلته الى فى حرق القادر أفشين شيئاً من هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ماأحفظه وإنمـا أحضر الشاعر فقال بعض أولاد الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

مازال سرُّ الكفرِ بينَ ضلوعهِ حتى اصطلى سرَّ الزّناد الوارى

---

(١) فى الأصل غير منقوطة. (٢) فى الأصل (جوائمـاً) (٣) فى الأصل (مصقلات)

نارًا يساورُ جسمهُ من حرِّها لهبٌ كما عصفرتَ شقَّ إزار
طارتْ لها شرر (١) بهدّمُ لفحها أركانهُ هدمًا بغيرِ منار (٢)
ففصلنَ منه كلَّ مجمع مفصل وفعلنَ فاقرةً بكلِّ فقار
رمقوا أعالى جذعهِ فكأنما رمقوا هلالَ عشية الافطار
كرّوا وراحوا فى متون ضوامرٍ قيدتْ لهمْ من مربطِ النجار
لاينزلون (٣) ومنْ رآهمْ خالهم أبدًا على سَفرٍ من الأسفار

فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذى حفظها بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل قال فلم يبق فى العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبى تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوّ نارا لها على الطارقينَ عَينُ
شرارها إنْ علا نضارٌ لكنهُ إن هوى لجين
دعتهمُ فانثنى اليها محبهم قرة رأين ؟
إلى كريم الفعالِ سمح عطاؤهُ للكريم زين
يقضى ديونَ العلا يبذلٍ إذ ليسَ يقضى لهنَّ دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلى شررُ الكانون كأنه نثارُ ياسمين

وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها حُللٌ مشققةٌ على حبسان
رَدَّتْ عليها الريح فضلَ دخانها فأتتْ بهِ سبحًا على عصان
فالجوُّ يضحك فى ابيضاض شرائر منها ويعبسُ فى اسوداد دخان

وقال أبو فضلة :

اشربْ على النارفي الكوانين إذ ذهبتْ دولةُ الرَّياحين

---

(١) فى ديوان أبى تمام (شعل) . (٢) فى الديوان (بغير غبار) .
(٣) فى ديوان أبى تمام (لا يبرحون) .

بَدَتْ لنا والرَّمادُ يحجبها كجلنارٍ من تحتِ نسرين

وقلت في معناه :

قصرتُ يدَ الشتاء بجرِّ جمر وأخت الجمر صافية الرَّحيق

ترى نبذ الرَّمادِ بوجنتيه ككافور يذرُّ على خلوق

وقلت : تحركت الشمالُ فقرَّ ليلى فهاتِ الرَّاحَ من أيدى الملاح

جراد الجمر يستره رمادٌ كمثلِ الوردِ يستره الأقاحى

وأنفاس الرِّياضِ معطراتٌ تطيرُ بهنَّ أنفاس الرِّياح

وأرديةُ الظلام ممسكاتٌ مطرَّزةُ الحواشى كالصباح

وقال ابن المعتز في سقوط الشرر على الثياب والبسط :

فترك البساط بعد الخمدِ ذا نقطٍ سودٍ كجلد الفهد

وقال أيضا * وصيرت جبابهم مناخلا * وقلت :

كأنما النارُ بينهُ ذهب والجمرُ من تحتهِ يواقيت

ومن بديع ما قيل فى القدور على النار قول بعض العرب :

كأنَّ صوتَ غليهِ المستعجل قصد الشبوح للشيوخ الجهل

وقال ابن المعتز :

والسيف راعى إبلى فى المحلِ يسلمها [1] الى قدور تغلى

ترقل فيها بالوقودِ الجزل ارقا لها فى السير تحت الرحل

وقالوا أحسن ماقيل في الاثافى والرماد قول ابن هرمة [2] :

نبكى على زمن وتؤى هامد وجوالم سقع الخدود رواكد

عرين من عقد القدور وأهلها فمكثنَ بعدهم بهاب لابد

فوقينه عبثَ الصبا فكأنه دنف برن الدمع بين عوائد ؟

---

(١) فى ديوان ابن المعتز (يسوقها) . (٢) ابراهيم بن على الكنانى القرشي ، من سكان المدينة ، مدح الوليد الأموى بدمشق فأجازه .

وقال أبو تمام : أثاف كالخدود لطمنَ حزناً   ونؤى مثل ماانفصم السوارُ

ومما يجرى مع ذلك القول فى الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى * شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت : كم قد جنيتُ اللهوَ من غصنه   ما بين أنوارٍ ونوار
من روضةٍ بلَّ أعطافها   سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً   في ليل أصداغ وأطرار
وشققتْ عنها ستورَ الدُّجى   نارٌ على نارٍ على نار

وقلت فى السراج:

وحيةٌ فى رأسها دُرَّة   تعملُ فى وجهِ الدُّجى غرَّه
وجنتها أكبرُ من رأسها   فهىَ إذا أبصرتها عبره
كم من مريب أهتكت ستره   وصيرتهُ فى الورى شهره
يردفها أصفرُ فى أصفر   يقدمها أسودُ فى حمره

وقال السرى فى الكانون :

وكأنما الكانونُ ألهبَ جمره   أحداق أسدٍ يدَّرينَ أسودا
يكسو خدود الشربِ من نفحاتها   قبل الكؤوس وحسنها توريدا

وقلت فى الكانون :

وبركةٌ مترعة الأرجاء   فارغةٌ من سبلِ الأنواء
يغسل فيها حلة الظلماء   أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجهِ غادةٍ حسناءِ   ترقصُ فى مبدعة صفراء
والجمرُ في حلتهِ الحمراءِ   مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسهم تصبغ بالحناءِ   فيها كما ريحانة الشتاء
واشربْ عليها حلبَ الصهباءِ   فشربُ صهباءَ على شقراء
يطرف عينَ البؤسِ والضراء

ومن أجود ماقيل في الفحم قول بعضهم :

فحمٌ كيوم الفراقِ تشعله ... نارٌ كنارِ الفراقِ في الكبد
أسود قد صارَ تحت حمرتها ... مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرَّمد

﴿ الفصل الثانى من الباب الخامس ﴾

(فى ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب وبمناقير النغران ، والنغران جمع نغرة [1] وهى عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتانى بخبزة من حنطة كأنها مناقير النغران قد انتفخت فى الملة حتى رأيت الجمر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يجول فيها الثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشو صغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد .

وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشى عن المثنى بن معاذ العنبرى عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لى هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثنى محمد بن زكريا حدثنى مهدى بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أدن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكأنما تجرى عليه سبائك الذهب ثم أتيت ببنانى بيض البطون زرق العيون سود المتون حدب الظهور مقفمات الأذناب صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

---

(١) فى الأصل (نقرة) .

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مرى حريف ، قال أبو هلال ماسمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ماأخبرنا به أبوخليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش لجليس له أماتشتهى بنانى زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لينة وخلاً حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السلة فكشفتها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لى تعال كل قلت فأين السمك فقال ماعندى سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتهيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبى عثمان المازنى عن الأصمعى قال قال أبو صوارة (١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : ياأباسعيد الأرز الأبيض باللبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ماقيل فى الرقاق قول ابن الرومى :

ماأنسَ لاأنسَ خبازاً مررتُ به ... يدحو الرّقاقةَ وشك اللمح بالبصر
مابينَ رؤيتها في كفهِ كرةً ... وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر

وقلت : وخبز بأيدى الخابزين كأنّه ... تراس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتْ بساحتها المنى ... اذا جاءَ من أرداحهنَّ يريد
وضمتْ الى الحلواء فيهِ فواكهٌ ... عليهنَّ أهواءُ النفوسِ وفود

وقال الصنوبرى في رقاق ورؤوس :

غير ماراج من رقاقٍ رقيق ... فوقَ هام على عدادِ الهام
ذاك كالماءِ ذى الحبابِ وهاتيـ ... ـك عليـه كطير ماءٍ نيام
يالأقيالهنَّ وما يبـ ... ـدينَ من مضرم شديدِ الضرام
كأناس يُوشحونَ مناديـ ... ـل اذا خرجوا من الحمام

ووصف هذه الأبيات غير مختار عندى ولكنى أوردتها لجودة معانيها

---

(١) (أبو صوارة) غير موجودة فى الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير ماراج) فان الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هامٌ وأرغفةٌ وضاءٌ فخمةٌ قد أخرجتْ من جاحم فوّارِ

كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا مقرونةً بوجوهِ أهلِ النار

وقال غيره في :

وقادم من جاحم فوّارِ مخلل الشقشق والأنوار

ملبساً حُـلةَ جـلنارِ يقسر منـه جـلده النضار

عن بدن أبيض كالجمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودي عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال انها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحييه وأبخص عينيه وأفعص أذنيه وا خديه وأرمي بالدماغ الى من هو أحوج مني اليه فقيل له إنك لأحمق من ربع قال وما حمق ربع إنه ليجتنب العدوى ويتبع المرعى ويراوح بين الأطباء فما حمقه يا هؤلاء[1] وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة اليك قال أما الرطب فاللحم وأما اليابس فالقديد . وقلت في صفة لحم :

تركتُ سمينَ اللحم يبيض بعضه ويحمرُّ بعض خلطك الدرَّ بالتبر

وأعرضتُ عن حلواء شق فنونها فبيضٌ الى حمرٍ وحمرٌ الى صفر

الى ثردةٍ رقطاءَ قطـع فوقها مقنعةٌ خضراءُ في ورق خضر

وحاجة الانسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فاذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فـكأنه رقع الديباج بالديباج فاذا أكل غير اللحم فـكأنه رقع الديباج بالـكرباس، وفي الحديث «مَـنْ

---

(١) في أمثال الميداني (وما حمق الربع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى ويراوح بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حمقه) .

تركَ اللحمَ أربعينَ يوماً ساءَ خُلُقُهُ » .

وأحسن ما سمعت فى جمل مشوى قول السرى :

أنعتُهُ معصفر البردَين … أبيض صافي حُمرةِ الجنبينِ
خلف شهرينِ على خلفينِ … ثم رَعى بعدَهُما شهرينِ
لجسمهُ شبرانِ في شبرَيْنِ … ياحُسنهُ وهو صريعُ الحينِ
بعرفةٍ مُرهفةِ الحدَّيْنِ … بكفِّ شاوٍ عَطِرِ الكفَّيْن
كسارقٍ حُدَّ منَ اليدَيْنِ … ذو طرف يستوقفُ العينين
يُريكَ مرآةً منَ اللجينِ … مُذْهَبةَ المقبض والوَجهين
شقَّ حشاه عنْ شقيقتين … أختين في القدِّ شبيهتين
كما قرنْت بين كأْتين … أو كرتى مسك لطيفتين(١)
ان شين ذورقين ناجين … فانهُ زينٌ بغيرِ شين

ومن المشهور قول ابن الرومى فى دجاجة مشوية :

وسميطة صفراء دينارية … ثمناً ولوناً زفها لك حزورُ
طفقتْ تجولُ بذربها حوذابةٌ … فأتى لباب اللوز فيها السكر
ظلنا نقشرُ جلدها عن لحمها … فكأنَّ تبراً عن لجين يقشرُ
يا حسنها فوقَ الخوانِ وبنتها … قدّامها بصهيرها تتغرغر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائدٌ … مثل الرِّياض بمثلهنَّ يُصدَّر
ومدققات كلهنَّ مُزخرفٌ … بالبيض منها ملبسٌ ومدنَّر
وأتت قطائفُ بعدذاك لطائفٌ … ترضى اللهاةُ بهاويرضى الحنجر
ضحك الوجوه من الطبرزدِ فوقها … دمع العيون من الدهان تعصر

وقلت فى سكباجة :

سكباجةٌ طيبةٌ نشرها … كأنها عُودٌ على مجمر

---

(١) سقط هذا العجز من الاصل فاستدركناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها فى القدر إذ أقبلتْ ... وهى تحاكي سفطَ الجوهر
ويستنير الشحمُ فى لحمها ... كغرةٍ فى فرس أشقر
يا حسن باذنجانها إذ بدا ... أسمر وسط المرق الأحمر
كأنّه ماء خلوق جرى ... وجال فيه قطع العنبر

وقال ابن الرومى فى دجاجة :

عظيمة الزّوْر بصدر نهد ... أجريتُ منها فى مجال العقد
مرهفة ذات شباً وحدِّ ... لغير ما دخل وغير حقد

بل رغبة فيها شبيه الزّهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل الندامى ... والنارُ تستعجل القدورا
وقد أتانى الغلامُ يسعى ... بأرغفٍ تشبهُ البدورا
وعندنا قهوةٌ شمولٌ ... لو قطعتْ صيرتْ شذورا
تكونُ قبلَ المزاج ناراً ... فانقلبتْ بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا ... ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألاليت لى خبزاً تسربلَ رائباً ... وخيلاً من البرنى فرسانها زبد

ومن عجيب ماروى عن الاعراب فى شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعى عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

واهاً على محمومة ... وصحفة مكتومة
بالدّسم موشومة ... واللحم مغمومة
قد كملتْ عراقا ... وألحفت رقاقا
منقوشة الحواشي ... بطيبِ التّماشي

بفلفـــل وحمص فـكلْ هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أى بأبى والله هذه المرقصة ثم وثب على رجليه فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة فى ثردة وستة ثم قبل رأسى وقال بأبى أنت وأمي لك حاجة فى بدونا؟ قلت تمضى ، ثم قال أى والثردة والله مادخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزلْ مصفرا لم يعرف الرُّغفَ ولا المزدرا
حتى لقد أوجعت والله ترى ماصنعت كفاى فى جنب القرى

وقال ابن خلاد فى خبز الأُرز والملح :

إذا الطابقُ المنصوبُ ألقى ثيابهُ وقدت جيوبُ الخبز شبرين في شبر
رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر
عليه من الشونيزِ آثارُ كاتب وجلبابُ وَرَّاق ينقطُ بالحبر
ومن سمسم قد زعفرُوهُ كأنهُ قراضـةُ تبرٍ فى الجبينة غر

وقال فى الباقلاء :

فلا تنسَ فضـــلَ الباقلاءِ فانه من المرق قدوافى به الفضل فى الزبر
إذا جعلوا فيه سـذاباً ونعنعاً وجزءاً من الزَّيت المقدس فى الذِّكر
فما صدف العاج المغشى ظواهراً بطاشى أفرندٍ معقدةِ الخصر
بأحسن من مخضرة الغصن إذ بدَتْ بوا كرُ منها في الجاسد والازر
ثم قال : ويالك باذنجانة سابرية جلاها نسيمُ الليل ناثرة الفجر
فجاءَتْ بأثواب الحداد مدلهـا بأذنابها العم المقفة الخضر
وأكرم بها نياً إذا بز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر
فنجعلها شطرين نلقمُ شطرها ونتبعهُ قبـلَ الاساغةِ بالشطر

وقال ابن الرومي فى الهريسة :

أياهنتاهُ هل لك في هريس ... بلحمانِ الفراخِ أوالبطوط
أمل اللبـــل صانعها بضربٍ ... فجاء بها تمـددُ كالخيوط
وبينَ يديك من مرى عتيق ... توارثـهُ النبيطُ عن النبيط
أرانا حولَ صحفتها [1] بروكا ... كما بركَ البعـــيرُ على الخبيط
فيالله من لقم هنا كم ... تجـاذب بالشجيج وبالغطيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كأنَّ قدورَ قومى كلَّ يوم ... قدورُ البرك ملبسة الجلال
كأنَّ الموقدينَ لهـــا جمالٌ ... طلاها الزِّفتُ والقطران طالى
بأيديهمْ مغارفُ من حـديدٍ ... نشبهها مغـــيرة الدوالى

وقلت في هريسة :

هريسةٌ بيضاءُ كافوريهْ ... في قصعةٍ صفراءَ ديناريه
للمرء فيها حمـــة مسكيه ... وللسلاء لمعـــةٌ تبريه
تدورُ في مبيضةٍ فضيـه ... مثل السوارِ في يدِ الرُّوميه

ومن عجيب ماقيل في قلة الطعام على المائدة ماأنشدناه أبو أحمد قال أنشدنى نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أنَّ ابنَ بكر دعاني ... لشقائي فليتـــهُ مادعاني
غرَّني منهُ منظرٌ ولباسٌ ... وأثاثٌ ومجلسٌ وأوانِ
مجلسٌ كالجنان حسناً ولـكنْ ... قبح الجوع حسن تلك الجنان
فلعمرى كان الخوانُ ولـكنْ ... لم يكنْ مايكونُ فوقَ الخوان
وجفانٍ مثـل الجوابي ولـكن ... ليس فيهنَّ مايرى بالعيان
وغضار الألوان جاءَتْ ولـكنْ ... ليسَ فيها روائحُ الألوان
فاذا ماأدَرْتُ فيهـا بنانى ... لم أجـدْ ما أمسهُ ببنانى

---

(١) في ديوان ابن الرومى المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إنى ماضغٌ على غيرِ شيء   غيرصكِّ الأسنانِ بالأسنان
ترجمُ الكفُّ وهى أفرغُ منها   عندَ مدِّى لها فدأبى وشانى
لو ترانى والجوعُ يضحكُ منى   عند غسلى يدىَّ بالاشنان
زادَ فى السفرِ مسرفا مثلما أسـرفَ عند الطعام بالنقصان
والغضاراتُ فارغاتٌ أتتنا   وسقانا بالمترع الملآن
سكرة فوقَ جُوعةٍ تركتنى   راحماً كلَّ جائع سكران

وقلت فى قريب منه :

أتدعونى وتطعمنى يسيراً   وتسقينى الكثيرَ على اليسير
فأصبح منك فى يوم عسير   فلا ينفكُّ في يوم عسير
هما حرَّانِ من جُوع وسكرٍ   فيالك من سعير في سعير
أقولُ وفي غضائرِه عظامٌ   أعرق من قدور أم قبور

ومن جيد ماقيل أيضاً فى ذم الدعوة قول أبى الحسن بن طباطبا [١] وقد دعاه الكرابيسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفى وسطها جامات عليها قطر ولم يصحبها بوارد فسماها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام عارية فسماها شطرنجية ، ثم قدم مضيرة فى غضارة بيضاء فسماها معقدة [٢] لأن البياض لبس المعقد وهي لاتمس الدهن والطيب ، ثم قدم زيرباجة بأطراف جدى صفراء قليلة زعفرانها فسماها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محلولة فسماها قنبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فسماها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فسماها حسكية لتشنج لحمها ثم قرب زعفرانية فسماها سلحية صفراء ثم قرب فالوذجة قليلة الزعفران والحلاوة فسماها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من منزله إلى بستان قد طبق بالكراث وأحضرهم جرة منثلمة يمزجون منها شرابهم

---

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر المفلق العالم المحقق، من أهل خراسان.
(٢) فى معجم الأدباء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الغائط نقلها معه وربط الاكار [١] بجذائهم عجلة تخور عليهم خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوةً مغبرةً قاتمة كأنها من سفر قادمه
قد قدَّموا فيها مسيحيةً أضحتْ على أسلافها [٢] نادمه
ثمَّ بشطرنجية لم تزَلْ أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزَلْ فى لعبها ساعةً ثم نفضناها [٣] على قائمه
وبعدها معتدة [٤] أختها عابدة قائمة صائمه
فى حجرها أطراف موؤدةٍ قد قتلتها أمها ظالمه
والقنبياتُ فلا تنسها فحيرتى فى وصفها دائمه
أقنبٌ ماامتدَّ فى أصبعى أم حيةٌ فى وسطها نائمه
والحسكياتُ فلا تنسَ فى خندقها أوتادها قائمه
والموكبياتُ بسلطانها قد تركتْ آنافنا راغمه
والسلحةُ الصفراءُ فاعجب بها إذ سلحتها أنفسٌ هائمه
وجام صابونية بعدها فانخر بها إذ كانت الخاتمه
ظلَّ الكراريسىُّ مستعبراً من عصبةٍ فى دارهِ طاعمه
وقالَ إنَّ ابنى عليلٌ ولى قيامةٌ من أجله قائمه
ووَلوَلَتْ داياتهُ حولهُ فليسَ إلا عبرةٌ ساجمه
وليسَ هذا لسوى كسرةٍ تكسرُ ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجتْ من لاطم خداً ومن لاطمه
ثمَّ هربنا نحوَ بستانه خوفاً من المنية العازمه
ظلنا لدى الكراثِ نلهو به فيالهُ من زهرةٍ قائمه

---

(١) أى الحراث . (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأدباء لياقوت ، وفى نسخة (إسلامها) . (٣) فى الاصل (ثم تقضينا) . (٤) في الاصل (مقيدة) .

وغابـة اللطف ففي حرّة محطومة صارتْ لنا حاطمه

نبـولُ فيها ثم نسقى بها يالك من عارضـة لائمه

وعجلة تشـدو بألحانها وكانت الـكيـة الحازمه

فـكان فيما أنشدتْ اذ شدتْ من لىَ من بعـدك يافاطمه

نشتم من أسمـعنا صوتهـا وهى لنا من بعدِهِ شاتمه

ظلت تبـكي شجوناً فمـا أبصرت من أربابه عالمه

فـلو ترانا وترى زادنا حياً وفت منا نعماً سائمـه ؟

فلما سمعها الـكراريسى حلف لايدخل أبا الحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية التى كنا نفضناها على قائمةهل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أبياتاً منها :

طمعتَ يا أحمـق فى قمرها لو أمكنَ القمرُ قمرناها

فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفضناها

ثم كتب اليه أبو الحسن :

يامنْ دعانى أطال اللهُ عمرك لى ولاعدمتك من داع ومحتفـل

ما أنسَ لاأنسَ حتى الحشر مائدةً ظلنا لديك بها في أشغل الشغل

اذ أقبل الجدىُ مكشوفاً ترائبهُ كأنهُ متمطّ دائمُ الـكسل

قد مدَّ كلتا يديْهِ لى فذكرنى بيتاً تمثلتهُ من أحسنِ المثل

كأنه عاشقٌ قد مدَّ بسطتهُ يومَ الفراق الى توديع مرتحل

وقد تمدى بأطمار الرّقاق لنا مثل الفقيرِ اذا مالاح فى سمل

فليتَ شعرى ماذا كانَ أحله فصار إيمانهُ قولاً بلا عمل

مددْت كفى فلم ترجعْ بفائدة كأنما وقعتْ منهُ على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدَّم لى أعظمَ حوْليةٍ قد طبختْ بالماء فى برمته

فلم أزلْ زلّتْ به نعلهُ ألعبُ بالشطرنج في قصعته

ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعُ تلفيفَ شطريهِ بالهندمة
فمن صدر فائقةٍ قد نوت ومن عجز ناهضةٍ ملقمه
ودنر بالجوزِ أجوازه ودَرْهمَ باللوز ما دَرهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضةٍ مدغمه
فمن أسطرٍ فيهِ مشكولة بملح ومن أسطرٍ معجمه
وطرّز بالبقل أعطافهُ فوافى كحاشيةٍ معلمه
مرشا تخال به مطرفا بديع التفاويف والنمنمه

وأنشد في الشواريز [1] :

مامتعة العين من خدٍّ توردُّهُ يزهى عليك بخال فيه مركوز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفى على القمر الموفى اذا اتصلت يسراه بالكأس أويمناه بالكوز
انهى اليكَ من الشيراز إن وضحت في صحنٍ وجنتهِ خيلان شونيز [2]
وقد جرى الزّيتُ في مثنى أسرته فضارعتْ فضة تعلى بأبريز

وقال ابن خلاد :

وسوْفَ يزوركَ شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميسُ بشونيزةٍ كالعروسِ تخطرُ في الحلةِ المسهمه
وتغشى موائدَ قد عوليتْ أطايبَ كالبردةِ المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكب في الليلةِ المظلمه

وأول من ذكر الفالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

---

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه . (٢) أي الحبة السوداء .

لهُ داعٍ بمكةَ مشمعلٌّ وآخرُ فوقَ دارتِه[1] ينادي

الى رُدُحٍ[2] من الشيزى عليها لبابُ البرِّ يلبكُ بالشهاد

لباب البر يعني النشا [3] . وكان لعبد الله جفنة يأكل منها القائم والقاعد والراكب

وقال رسول الله ﷺ «كُنْتُ أستظلُّ بجفنة عبدِ اللهِ بنِ جدْعانَ في الهواجر».

ومن النوادر في هذا ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال سأل اعرابي عن رأيه في

الفالوذ فقال والله لو أن موسى أتى فرعون بفالوذ لآمن به ولكنه أتاه بعصاه .

ومن مصيب التشبيه فيه قول بعضهم :

ولاطفه بالشهد المخلق وجهه وإن كانَ بالالطاف غيرَ خليق

كأنَّ اصفرارَ اللوزِ في جنباتِه كواكبُ تبرٍ في سماء عقيق

وقلت : حمراء في بيضاءَ فضية وظرف كافور وحشو الخلوق

يطوفُ الدُّهن بأرجائه اطافةَ الدَّمع بجفنِ المشوق

كأنما اللوزُ بحافاتِه أنصاف دُرٍّ ركبت في عقيق

ومن المشهور قول ابن الرومي في اللوزينج :

كأنما قُدَّتْ جلابيبهُ من أعين القطر اذا قببا

مستكثف الحشو على أنه أرقُّ جسماً من نسيم الصبا

يَدورُ بالنفحةِ في جامه دوراً ترى الدُّهن لهُ لولبا

لو أنه قعرٌ لرومية لكان منه الواضع الاشنبا

وقلت في قطائف :

كثيفة الحشو ولكنها رقيقةُ الجلدِ هوانيه

رشتْ بماء الورد أعطافها منشورة الطيِّ ومطويه

---

(١) في الأصل «وارثه» . (٢) في الأصل (لدى روح) (٣) اشمعل: أشرف، والقوم في الطلب بادروا فيه ، والردح ستر تكون في مؤخر البيت أو قطعة تزاد فيه ، والشيزى خشب أسود يتخذ منه القصاع ، والبيت الثاني نسب في لسان العرب لابن الزبعرى.

كأنها من طيبِ أنفاسها قد سرقَتْ من نشرِ ماريه
جاءَتْ من السكرِ فضية وهي من الأدهان تبريه
قد وَهَبَ الليلُ لها بُرْدَهُ ووَهَبَ الخصبُ لها زيه

وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا ببابهِ فأصبحَ فينا ظالماً للبهائم
وقفْنا عليهِ الرَّكبَ نسأله القرى ونحنُ على أعناقِ أغبر قاتم
فصامَ وصومُ الليلِ ليس بجائز وإن جازَ في فقهِ اللئام الأشائم
أجاز صيامَ الليلِ حينَ استفزَّه تعاورُ ضيفٍ في دُجَى الليل عائم
فبتنا أديمَ الليلِ نطوى على الطوَى كأنا على غبراءَ من ظهرِ واشم
وأطعمنا لما مرقنا من الدُّجى دَحَاريجَ لاتنساقُ في حلقِ طاعم
مُدَوَّرَةً سُودَ المتونِ كأنها خصي الزنج لاحتْ تحت فيش قوائم
فابشارها تحكى بطون عقاربٍ وأرؤسها تحكى أنوفَ محاجم[1]

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضى حدثنا نصر قال قال الأصمعى قيل للفاخرى أى التمر أجود ؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك يعنى الصيحانى تمر العلية .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سروى ونجدى وحجازى وشامى فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ثريدة موسعة زيتاً تأخذ أدناها فيضرط عليك أقصاها تسمع لها وقيباً فى الحنجرة كتقحم بنات المخاض فى الخرف ، قال السروى ان أطيب الطعام خبز بر فى يوم قر على حمر عشر موسع سمناً وعسلا . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة حمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنمة مغتبطة نفسها

---

(١) تقدمت هذه الابيات .

غير ضمنه في غداة شبمة بشفار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت لكم الطعام إذا أكلت فابرك على ركبتيك وافتح فك وأجحظ عينيك وامرح أصابعك وعظم لقمتك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ماسمعت ابن عمر حدث هذا الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدتُ عصيدةً شقراءَ تحكى ... طرازَ الصبح في ثوْبِ الظلام

تراها حينَ تَبْرُزُ في ظلام ... كمرفِ الطرفِ في زمنٍ قتام

كذى دَلٍّ عليهِ معصفراتٌ ... يدلُّ على المشوقِ المستهام

فلما ان صبا قلبي إليها ... ومدّت نحوها عين اهتمامى

تقاصرَ دونها كفاىَ حتى ... كأنَّ الدبسَ علقَ بالغمام

فدونَ السجن أطرافُ العوالى ... ودونَ النار بادرةُ الحسام

أتلك عصيدةٌ أم طرفُ سلمى ... فليسَ يزورُ إلا في المنام

وقلت في سمكة طرية :

يقيضُ للمكتوب ماجرٌ حتفه ... فجازَ بنا في الغيضِ شرٌ مجاز

بعثنا اليه ينسر البأز فانثنى ... إلينا بظهرٍ مثل جؤجؤ باز

فأطفأ نيرانَ الطهاةِ كأنها ... سحابٌ يسح الودق فوق عزاز

العزاز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحجوبة في البحرِ عن كلِّ ناظرٍ ... ولكنها في حجبها تتخطفُ

أخذنا عليهنَّ السبيلَ بأعينٍ ... رواصد إلا أنها ليسَ تطرفُ

فجاءَ بها بيض المتونِ كأنها ... خناجرُ في أيمانـنا تتعطفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن القاسم عن الأصمعى قال دخلت على الرشيد وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعى هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُزَرِّد [1]

---

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق «مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدتْ أمى تزورُ بناتها ... أغرتُ على العكم الذى كان يمنع

خلطتُ بصاعى حنطةٍ صاعَ عجوةٍ ... إلى صاعِ سمنٍ فوقها يـتربع

ودبلتُ[1] أمثالَ الاثافى كأنها ... رؤوسُ نقادٍ قُطعتْ يوم تجمع[2]

وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انهُ ... حمى آمناً ممـا تفيدُ وتجمع

فانْ تكُ مصفوراً فهذا دواؤهُ ... وانْ تكُ جوعاناً فذا يوم تشبع

فضحك الرشـيد وقال يأصمعى مالدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت لهوفضلته على الملوك بالعلم ، فقال يأصمعى نحن كل يوم نشبع .

ومما يجرى مع هذا القول فى الرحا : فمن أجود ماقيل فيها ماأنشدناه أبو أحمد :

عجبتُ من سائرةٍ لاتبرَحُ ... ينهاك عن ركوبها من ينصحُ

دائبة تمسى بحيثُ تصبحُ

والحمد لله وحده .

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء في صفة الخمر قول الأعشي ۞ تريك القذى من دونها وهى دونه ۞

يريد أنها من صفائها تريك القذى عالية عليها وهى في أسفلها .

ومن أطرف ماقيل في صفاء الخمر قول أبى نواس :

ترى حيثما كانتْ من البيتِ مشرقا ... ومالم تـكنْ فيه من البيتِ مغربا

وهو تصحيف على مافي مقدمة « القصد والأمم فى التعريف بأنساب العرب والعجم لابن عبد البر » . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد طبع بولاق « وذيلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) كذا فى لسان العرب ، وفى الأصل « ماتجمع » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القوم خلته … يقبلُ في داج من الليل كوكبا

أخذه ابن الرومى فقال وأحسن :

ومهفهف تمتْ محاسنهُ … حتى تجاوزَ منيةَ النفسِ

وكأنهُ والكأسُ فى فمِهِ … قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمس

فجعل الشارب قمراً وليس هذا فى بيت أبى نواس . وقال أبو نواس يذكر صفاء الخمر ورقتها وحبابها :

فاذا ما اجتليتها فهباءٌ … يمنعُ الكفّ ما يبيحُ العيونا

ثم شجتْ فاستضحكت عن جمان (١) … لو تجمعنَ في يدٍ لاقتنينا (٢)

فى كؤوس كأنهنَّ نجومٌ … دئرات (٣) بروجها أيدينا

طالعاتٌ مع السقاةِ علينا … فاذا ما غربنَ يغربنَ فينا

لوترى الشرب حولها من بعيدٍ … قلتَ قومٌ من قرة يصطلونا

وقلت فى لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والرَّاحُ في أكفِّ الندامى … كنجوم تلوحُ فى أبراج

أمداماً فرطتمُ لمدام … أم زجاجاً سبكتمُ فى زجاج

وكأنَّ النجومَ والليلُ داج … نقشُ عاج يلوحُ فى سقف ساج

ومن أعجب ما قيل في صفائها قول الناشيء * فليس شيء عندها إلا القذى *

وقلت: ومشمولة دارت عليَّ كؤوسها … فرحتُ كأنى فى مدارِ الكواكبِ

أنازعها بدراً مع الليلِ طالعاً … وليسَ بمردودٍ مع الصبح غاربِ

وقد شابَ لينا بالشماس وإنما … تطيبُ لك الصهباء من كفِّ قاطب

وأنشدنى أبو أحمد:

فنبهتنى وساقى القوم يمزجها … فصارَ في البيتِ للمصباح مصباحُ

---

(١) فى ديوان أبى نواس (عن لآل) . (٢) فى الأصل (لضنينا) .

(٣) في الأصل « طالعات » .

قلنا على علمنا والشكُّ يغلبنا   أراحنا دارنا أم دارنا الرَّاح

ومثله قول البحترى :

فأضاءت تحتَ الدُّجنة للشر   بِ وكادت تضىءُ للمصباح

وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :

ظبيٌ خليٌّ من الأحزانِ أو دعنى   مايعلمُ اللهُ من حزنٍ ومن قلق

كأنَّهُ وكأنَّ الكأسَ فى فمه   هلالُ أوَّلِ شهرٍ غابَ فى الشفق

وقول الآخر :

كأنما الكأسُ على ثغرها   موصولةً بالأنملِ الخمس

ياقوتةٌ صفراءُ قد صيرت   واسطةً للبدرِ والشمس

قد ذهبتْ نفسى على نفسها   وآفةُ النفس من النفس

وقلت : فيسقينى ويشربُ من عقيق   خليقٌ أن يشَبَّهَ بالخلوق

كأنَّ الكأسَ من يده وفيه   عقيقٌ فى عقيقٍ في عقيق

الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المخضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق فى لونها . وقلت:

ودَارَ الكأس فى يدِ ذى دلال   رشيق القدّ يعرفُ بالرَّشيق

يحلى بالتبسم درَّ ثغر   تخلله شوابيرُ العقيق

رأيتُ الكأسَ فى يده وفيه   وجنحُ الليل منصرف الفريق

ففي فمه هلالٌ فى غروب   وفى يده الثريا فى شروق

وأحسن ماقيل فى الشروق وأتمه قول ابن الرومى وأتي بشيء لم يسبق اليه وهو تشبيه الحباب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه باللؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريحٌ كأنهُ ذهبُ   ورغوةٌ كاللآلىء الفلق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطرافَ كفّ   كأنَّ بنانها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً   لهنَّ مضاحكٌ من أقحوانِ
يلوحُ على مفارقها حبابٌ   كأنصافِ الفرائدِ والجمانِ

وفي هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصاف الفرائد وهي كبار اللؤلؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بانصاف الجمان وهي صغار اللؤلؤ :

وطالعنى الغلامُ بها سحيراً   فزادَ على الكواكبِ كوكبان
ووافقها بخدٍّ أرجوان   وخالفها بفرع أرجواني

وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فاذا علاها الماءُ ألبسها   حبباً كمثل(١) جلاجلِ الحجل
حتى إذا سَكنتْ جوامحها   كتبتْ بمثل اكارع النمل

ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأس سباها البحرُ من أرض بابلٍ   كرقّةِ ماء المزنِ في الأعينِ النجلِ
إذا شجها الساقي حسبتَ حبابها   عيونَ الدبا من تحت أجنحةِ النمل

وأبدع ماقيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت تريني وأمرُ الليل مجتمعٌ   صبحاً تولدَ بينَ الماءِ واللهب(٢)
كأنَّ صغرى وكبرى من فواقعها   حصباءُ دُرٍّ على أرض من الذهبِ

وخطأه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقعها » ، أخذه ابن المعتز فقال:

يا خليلي(٣) سقياني فقد لا   حَ صباحٌ وأذّنَ الناقوسُ
من كميتٍ كأنها أرضُ تبرٍ   في نواحيه لؤلؤٌ مغروس

وقلت : راحٌ إذا ما الليل مَدَّ رواقَهُ   لاحَتْ تطرِّزُ حُلّةَ الظلماء
حتى إذا مُزِجَتْ أراك حبابها   زهراتِ أرضٍ أو نجوم سماء

وقلت في المعنى الأول :

---

(١) في الأصل « نمشاً كمثل » وفي ديوان أبي نواس « حبباً شبيه » .

(٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديميّ »

تَبيتُ لى اللذاتُ معقودةَ العرى إذا ما أدَارَ الكأسَ أحورُ عاقدُ
يدبُّ الدُّجى عن وجهِ نارٍ تحلهُ كؤوس لأعناق الليالى قلائد

وقال ابن المعتز :

قد حثنى بالكأسِ أوّلَ فجره ساقٍ علامةُ دينهِ فى خصره
فكأنَّ حمرةَ لونها من خده وكأنَّ طيبَ نسيمها من نشره
حتى إذا صَبَّ المزاجَ تبسمت عن ثغرها فحسبتهُ من ثغره

وقال : للماء فيهـا كتابةٌ عجبُ كمثـل نقشٍ فى فصّ ياقوت

وقلت: دارَ فى الـكأس عقيقٌ فجرى واطفُ الدُّرّ عليـهِ فطفح
نصب الساقي على أقداحهــا شبكَ الفضـةِ تصطادُ الفرح

وقال ابن الرومى فى لطافتها :

لطفتْ فقد كادَتْ تـكونُ مشاعةً فى الجوّ مثـل شعاعهـا ونسيمها

ومن الاستعارة البديعة قول ابن المعتز * فأضحك عن ثغر الحباب فم الكأس *

وقلت : وشراب طوى الزَّمانَ فحاكى نفسَ الوردِ رقّةً ونسيما
إن يـكنْ بالمعقول غيرُ رحيم فهو بالرُّوح لا يزالُ رحيما

ومن أحسن ما قيل فى خيال الكأس على اليد قول بعض المحدثين :

كأنَّ المـديرَ لهـا باليمين اذا قام للسقى أو باليســار
تَـدَرَّعَ ثوباً من الياسمـين لهُ فردُ كم من الجلنـار

وقال السرى فى معناه :

وبـكر شربناها على الوردِ بـكرةً فـكانت لنا ورداً على خيرِ موردِ
اذا قامَ مبيضُّ الجبـين يُـديرها توَهمتـه يسعى بـكمٍّ مُـوَرَّد

وقال البحترى: ألا ربما كأس سقانى سلافها رهيفُ التثنى واضح الثغر أشنب
إذا أخذتْ أطرافه من فتورها[1] رأيت اللجينَ بالمدامة يذهب

---

(١) في ديوان البحترى (اذا ذكرت أطرافه من فتورها) .

وقلت : وقد شغلت كاسا يديه بقهوة فقلت أرى قدمين أم قدحين
كأنّ خيالَ الكأسِ فوقَ ذراعه غشاءٌ من العقيان فوقَ لجين

وقلت أيضاً :

يسعى إليّ مُقرطَقٌ في كفه كأسٌ وبينَ جفونه كأسان
وتناسبتْ فيها بغيرِ قرابةٍ كفُّ المديرِ وجنةُ الندمان

ومن أحسن ماقيل في الزجاجة ورقتها وصفائها قول بعضهم :

رَقَّ الزّجاجُ وراقت الخمرُ وتشابها فتقاربَ الأمرُ
فكأنها خمرٌ ولا قدحٌ وكأنّهُ قدحٌ ولا خمرُ

وقال ابن المعتز فى رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها :

وكأس تحجبُ الأبصارُ عنها فليسَ لناظرٍ فيها طريقُ
كأنْ غمامةً بيضاءَ بيني وبين الرّاح تحرقها البروق

وقلت : وندمان سقيت الرّاح صرفاً وجنحُ الليلِ مرتفعُ السجوفِ
صفتْ وصفتْ زجاجتها عليها لمعنى دَقَّ فى ذهنٍ نصيفِ

وليس هذا التشبيه بالمختار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج مايرى بالعيان إلى مايعرف بالفكر [١] . وقال بعضهم :

خفيتْ على شرابها فكأنهم يجدون رَيّا من إناءٍ فارغ

وقال غيره : وزَنّا الكأسَ فارغةً وملأى فكان الوزْنُ بينهما سواءَ

وقال ابن الرومى :

لطفتْ فقد كادتْ تكونُ مُشاعةً فى الجوّ مثل شعاعها ونسيمها [٢]

وقلت : حملتْ بخنصرها إناءَ مدامةٍ صفراء تلمعُ فى زجاجٍ أقمر
فكأنها واللحظُ ليس يحورها شمسُ النهار تختمتْ بالمشترى

ومن أجود ماقيل فى الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق :

---

(١) لعل فى الأصل نقصاً لأن الشعر المنتقد ليس من قول المصنف . (٢) تقدم قريباً .

كأنَّ أباريقَ المدام لديهم ظباءٌ بأعلى الرَّقمتين قيامُ
وقد شربوا حتى كأنَّ رقابهم من اللين لم يخلقْ لهنَّ عظامُ

وقد أحسن مسلم فى قوله :

إبريقنا سلبَ الغزالةَ جيدها وحكى المديرُ بمقلتيه غزالا

وأحسن الآخر وينسب الى بشار :

كأنَّ إبريقنا والقطرُ فى فمه طيرٌ تناول ياقوتاً بمنقار

إلا أن قوله « طير » ردىء والجيد طائر ، وأجازه أبو عبيدة ولم يجزه غيره .

وقلت : تضحك في الكأس أباريقنا وحسب مايضحكن يبكينا
كأنَّ أعلاها إذا أسفرَتْ تعقد فى الكأس تلاليينا

وأول من شبه الابريق بالأوز لبيد [1] فى قوله ولم يذكر الخمر :

تُضَمَّنُ بيضاً كالاوَزِّ ظروفُها إذا تأقوا أعناقها والحواصلا

فأخذه بعضهم فقال :

ويوم كظلِّ الرُّمح قصرَ طوله دمُ الزِّقِّ عنا واصطكاكُ المزاهر
كأنَّ أباريقَ المدام عشيةً إوزٌّ بأعلى الطفِّ عوجُ الحناجر

وقال أبو الهندى [2] :

سيغنى أبا الهندىِّ عن وطب سالم أباريق لم يعلقْ بها وضرُ الزبد
مقدمة قزاً كأنَّ رقابها رقابُ بنات الماء تفزع للرَّعد

وقوله (تفزع للرعد) زيادة على ماتقدم .

وأمافضول الكؤوس فأحسن ماقيل فيها قول أبي نواس :

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهاً تدريها بالقسيِّ الفوارسُ

---

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة لبيد بن ربيعة العامرى ، الشاعر الحكيم الجواد الفارس الفتاك المعمر .

(٢) هو غالب بن عبد القدوس الشاعر المطبوع المسرف فى وصف الخمر .

فللخمر مازرّتْ عليه جيوبهم ولماء مادارتْ عليه القلانسُ

وقال السرى الموصلى :

كأنّ الكؤوسَ وقد كللتْ بفضلاتهنّ أكاليل نور
جيوبٌ من الوشي مَزرُورَةٌ يلوحُ عليها بياضُ النحور

فجئت به فى بيت وقلت :

وبيضٌ تهاوى فى مُزَعفرةٍ صفر وهبتُ لها قلبي وأخدمتها فكرى
فدارتْ بأقداحٍ كأنّ فضولها سوالفُ تبدو من معصفرةٍ حمر

وقال السرى أيضاً :

وصفراءُ من ماء الكروم شربتها على وجهِ صفراءِ الغلائل غضةِ
تبدّتْ وفضلُ الكاس يلمع ساطعا كأترجّة زينتْ باكليل فضةِ

وقال الناشيء : ملوكُ ساسانَ على كأسها كأنها فى عزّ سلطانها
فخمرُها من فوقِ أذقانها وماؤها من فوقِ تيجانها

يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ماقيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن المعتز

غدا بها صفراء كرخية كأنها فى كأسها تتقد
فتحسب الماء زجاجاً جرى وتحسب الأقداح ماء جمد

ومن أجود ماقيل فى صوت الأباريق ماأنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها يمدّ عليها منهُ ثوبٌ ممسك
ومجلسنا في الجوّ يهوى ويرتقى وإبريقنا فى الكأس يبكى ويضحك

ومن أحسن ماقيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها دبيبٌ بالعظام كأنّه فيضُ النعاسِ وأخْذُه بالمفصل
عبقتْ أكفهمُ بها فكأنما يتنازعونَ بها سخاب قرنفل

وقول أبي نواس :

فأرسلتْ من فم الابريق صافيةً كأنما أخذها بالعين إغفاء

وقوله: ثم لما مزَجُوها وثبَتْ وثبَ الجراد
ثم لما شربُوها أخذَتْ أخْذَ الرّقاد

ومن شعر المتقدمين قول الأخطل [١] :

أناخوا فجرّوا شاصيات كأنها رجالٌ من السودان لم يتسربلوا

« لم يتسربلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ماقيل فى الزقاق :

فقلت اصبحونى لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقالَ إلا ليفعلوا
تدبُّ دبيباً في العظام كأنهُ دبيبُ نمال فى نقاً يتهيل

أحسن ماقيل فى خروج الخمر من المبزال قول أبى نواس :

وخندريسٌ باكرت حانتها فودجوا خصرها بمبزال
فسالَ عرقٌ على ترائبها كأنَّ مجراهُ فتلُ خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دنّها وقد حدبت مثل هلالٍ بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لايحتاج اليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءتك من بيتِ خمارٍ بطينتها صفراء مثل شعاع الشمسِ تتقد
فأرسلتْ من فم الابريق فانبعثت مثل اللسانِ بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا فى وصفها جارية من فم الابريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدّنّ بالمبزال يبقره ساقٍ توشح بالمنديل حينَ وثب
لما وجاها بدَتْ صفراء صافية كأنّه قدَّ سيراً من أديم ذهب

وقلت : قد بزل الدّنّ فقومى انظرى زنجيةً تفتلُ خلخالا
واسقنيها واشربى واطربى وجرّرى في الهواء أذيالا
تنعمى ما اسطعتِ واستمتعى إنَّ وراءَ المرء أهوالا

---

(١) هو غياث بن غوث التغلبى ، يشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبيانى كان يمدح الأمويين .

أبلغ ماقيل في الكبر الذى يعترى المنتشى قول الأخطل يخاطب عبدالملك :

إذا ما نديمى علنى ثم علنى ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل حتى كأننى[1] عليك أمير المؤمنين أمير

وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرت فاننى رب الخورنق والسرير
وإذا صحوت فاننى رب الشويهة والبعير

وأجاد ابن الرومى القول فى تفسيح أمل السكران حتى يأمل مالا يجوز وجوده وهو قوله :

ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الادراك والحس
لنسيمها فى قلب شاربها روح الرجاء وراحة النفس
وتمد فى أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس

وأجود ماقيل فى صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مج صرفا فى الاناء خضاب
صريع مدام والندامى يلونه وفي الشدق قيء سائل ولعاب

وقريب منه قول الآخر فى حماد الراوية :

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد
هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد

وأبدع ماقيل فى صفة أنف السكران إذا تورم من السكرقول الآخر :

وشربت بعد أبى ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل

---

(١) في ديوان الاخطل « جعلت أجر الذيل منى كأننى » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة اللذات قول أحمد بن أبي فنن :[١]

جَدِّدِ اللذاتِ فاليوم جديد ... وامض فيما تشتهي كيفَ تريد

أنى ان أمكن يوم صالح ... انّ يوم الشرب لا كان عتيد

وقال ديك الجن[٢] :

تمتع من الدُّنيا فانك فانى ... وإنك في أيدى الحوادثِ عانى

ولا تنظرن اليوم في لهو غد ... ومن لغدٍ من حادث بأمان

فانى رأيتُ الدهرَ يسرعُ بالفتى ... وينقله حالين يختلفان

فأما الذى يمضي فأحلامُ نائم ... وأما الذى يبقى له فأمانى

ونحوه قول عمران بن حطان[٣]

يأسفُ المرء على ما فاتهُ ... من لباناتٍ إذا لم يقضها

وتراهُ فرحاً مستبشراً ... بالتى أمضى كأنْ لم يمضها

عجباً من فرح النفسِ بها ... بعدَ ما قد خرجتْ من قبضها

أنا عندى ذاق أحلام الكرى ... لقريب بعضها من بعضها

وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرورِ فانها ... سراعٌ وأيامُ الهموم بطاءُ

وخَلِّ عتابَ الحادثاتِ لوجهها ... فانّ عتابَ الحادثاتِ عناءُ

تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها ... ليالى ما يأتى وهنّ وراءُ

ونحر عجير السلولى[٤] جمله لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :

عللانى إنما الدُّنيا علَلْ ... واتركانى من عتابٍ وعذلْ

وانشلا ما غبرَّ من قدريكما ... واسقيانى أبعد اللهُ الجمل

---

(١) في الاصل (فنس) وهو تصحيف . (٢) نسبها في الأمالي لسعيد بن حميد باختلاف في البيت الثاني . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الاسلامية

وقال أحمد المادرائى :

فاقر الرّاحَ ودع نعتَ الطللْ   واعصِ من لامك فيها وعذلْ
عادها واسعَ لها واقرَبها   وإذا قيلَ نصاباً قل أجلْ
إنمــا دنيـاك فاعلمْ ساعـةٌ   أنتَ فيها وسوى ذاك أمل

ولابن بسام (١) :

واصلْ خليلك إنما الــدُّ   نيا مواصلةُ الخليــل
وانعمْ ولا تتعجـل الـــــمكروهَ من قبلِ النزول
بادرْ بما تهوى فما   تدرى متى وقتُ الرّحيل
وارفضْ مَقالةَ لائم   إنَّ الملامَ من الفضول

وقد أجاد ديك الجن فى قوله يصف السكر ، واسمه عبدالسلام بن رغبان الحمصى :

أستغفرُ اللهَ لذنبى كله   قتلتُ إنساناً بغــير حله
وانصرَمَ الليلُ ولم أصله   والسكرُ مفتاحٌ لهـذا كله

قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشعة (٢) من كفّ ظبيٍ كأنما   تناولهـا من خدّهِ فأدارها
فظلتْ بأيدينا تتعتعُ روحها   وتأخُـذُ من أقدامنا الرّاحُ ثارها

وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :

إذا اليدُ نالتها بوترٍ توقّدَتْ   على ضغنها (٣) ثم استقادَتْ من الرجل

وبيت عبد السلام أجود منه .

أحسن ماقيل فى وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يعدّ فى الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن على بن محمد ، كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسناً مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالحطيئة فى الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) فى ديوان أبى تمام (توقرت على ضغنها) .

كأنّهُ والكأسُ في كفهِ بدْرٌ إلى جانبهِ كوكبُ

وقلت: وطالعني الغلامُ بها سحيراً فزادَ على الكوا كب كوكبان

ومما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفهف تمت محاسنه * وقد مر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكأنهُ وكأنها وكأنهم قمرٌ يدورُ على النجومِ بأشمس

ومثله في الجمع قول الآخر :

فالكفُّ عاجٌ والحبابُ لآلىءٌ والرَّاحُ تبرٌ والزُّجاجُ زبرجد

وأجود ماقيل في قيام السقاة بين الندامى قول ابن المعتز :

بينَ أقداحهمْ حديثٌ قصير هو سحرٌ وماسواهُ الكلام

وكأنَّ السقاةَ بينَ الندامى ألفاتٌ بينَ السطورِ قيام

فشبه اصطفاف الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .

ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنترة :

وإذا سكرتُ فانني مستهلكٌ مالى وعرضى وافرٌ لم يكلم

وإذا صحوتُ فماأقصرعن ندى وكما علمتِ شمائلى وتكرُّمى

أخذه البحترى فزاد عليه في قوله :

ومازلت خلاً للندامى إذا انتشوا وراحوا بدوراً يستحثونَ أنجما

تكرَّمت من قبلِ الكئوس عليهم فما اسطعنَ أن يحدثن فيك تكرُّما

والزيادة أن عنترة ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترى ذكر أنه تكرم قبل الكؤوس فيبالغ حتى لاتستطيع الكؤوس أن تزيده تكرماً .

ومن أطرف ماقيل في حسن الندامى قول بعضهم :

لقد علمَ الرَّيحانُ والرَّاحُ أنني على الكأسِ والندمانِ غير جهولِ

فان ساءَني منهمْ مقامٌ غفرتهُ ولستُ إلى ماساءَهم بعجول

قوله * لقد علم الريحان والراح انني * في غاية الظرف . وشبيه البيت

الثانى قول الآخر :

ليسَ من شأنه إذا دارتِ الكأ ... سُ فأدرى ادمانهُ بالحلوم

قولُ ما أسخط النديمَ وإن أسـ ... ـخطهُ عند ذاك قولُ النديم

إلا أن فى هذين البيتين عيبين أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذاك) وهى زيادة لايحتاج اليها . وقال يحيى بن زياد[1] :

ولستُ له فى فضلة الكأسِ قائلاً ... لأصرفهُ عنها تحس وقد أبى

ولكن أحيِّيه وأكرمُ وجهه ... وأشربُ ماأبقى وأسقيهِ ماشتهى

وليسَ إذا مانام عندى بموقظ ... ولاسامع يقظان شيئاً من الأذى

وهذا جامع جداً . ومن جيد ماقيل فى مدح النديم قول اعرابى وقدقيل له : كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أرضعت فى كبرِ السن فأضحى أخاً لدىَّ مطاعا

لم يكنْ بيننا رَضاعٌ ولكنْ صيرتْ بيننا المدامُ رضاعا

وهومن قول الناشىء : المدام الرضاع الثانى . ويقولون ذِكرُ الرجل عمره الثانى . وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لاتكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا معناه لاتسقيه من النبيذ مالا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور فى قوله :

أرَى للرَّاح حقـاً لا أراهُ ... لغير الرَّاحِ إلا للنديم

هو القطبُ الذى دارَتْ عليه ... رَحا اللذَّاتِ فى الزَّمَنِ القديم

وقلت : لما تبدَّى وجْهُهُ ... كالبدرِ من خلل الغمام

وكأنَّهُ ضَوءُ الصبا ... ح يميسُ فى خلع الظلام

آثرتُ طاعَةَ حبه ... واخترتُ معصيةَ المدام

لا أستفيدُ من المدا ... م سوى منادمةِ الكرام

فاذا حننتُ إلى الندا ... م فقد حننت إلى المدام

---

(١) هو أبو الفضل الحارثى شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا　　أغناك عن صفو المدام

وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم · فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحتشم وأنا مؤانس تدأب لمرضاتي [1] وتسعى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثلته وقلت :

ما أعافُ النبيذَ خيفةَ إثم　　إنما عفتهُ لفقدِ النديم
ليس في اللهو والمدامة حظٌّ　　لكريم دونَ النديم الكريم
فتخير قبلَ النبيذِ نديماً　　ذا خلالٍ معطرات النسيم
وجمالٍ إذا نظرتَ بديع　　وضميرٍ إذا اختبرتَ سليم

وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :

وسبيئة مما تعتقُ بابل　　كدم الذَّبيح سلبتها جريالها

الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيام حُمرَةَ لونها　　وسرتْ بلذَّتها الى الأرواح

وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :

خذها مشعشعة قهوة　　تصبُّ على الليل ثَوْبَ النهار
ويسلبها الخدُّ جريالها　　فتهديه للعين يومَ الخمار

إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشعة قهوة) رديء ووجه نظم اللفظ أن يقال قهوة مشعشعة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وان كان جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائقٌ كمناظرِ المخمور　　وأقحوانٌ كثغور الحور
ونرجسٌ كأنجم الدَّيجور

---

(١) في الأصل (تدأب الرضى) .

فشبهت ما يعترى بياض العين والحماليق من الحمرة عند الخمار مع سواد الحدقة بحمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماءِ حتى تلينها فلنْ تكرمَ الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى اذا ما ملكتها أذلت لاكرام الصديق مصونها
وصفراء قبلَ المزج بيضاء بعده كأنَّ شعاعَ الشمسِ يلقاكَ دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتى ماتقل جفونها

أخذه ابن دريد فقال:

وحمراء قبلَ المزج صفراء بعده بَدَتْ بينَ ثوبى نرجس وشقائق
حكتْ وجنةَ المعشوقِ صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتستْ لونَ عاشق

ومن أجود ماقيل فى صفة القيان:

بَدَتْ فى نشوةٍ مثلَ الـ ـمها أدمجنَ إدماجا
يجاذبنَ من الأردا فِ كثباناً وأمواجا
وقضباناً من الفضـ ـةِ قد أثمرتِ العاجا
ويسترنَ من الأبشا رِ فى الدِّيباج ديباجا
وقد لاثتْ من الكورِ على مفرقها تاجا
فلما طفنَ بالمجلـ ـسِ أفراداً وأزواجاً
تجاذبنَ فغنينـ ـك أرمالاً واهزجا
وحركنَ من الأوتا رِ امساداً وادراجا
فلا لومَ على قلبـ ـك إن هيجَ فاهتاجا

ومن جيد ماقيل في بحة حلق المغنى قوله أيضاً:

أشتهى فى الغناء بحة حلقٍ ناعم الصوتِ متعبٍ مكدود
كأنين المحبِّ أضعفهُ الشو قُ فضاهى به أنينَ العود
لاأحبُّ الأوتارَ تعلو كما لا أشتهى الضربَ لازماً للعود

وأحبُّ المجنبات كحبي للمبادى موصولة بالنشيد
كهبوبِ الصبا توسط حالاً بينَ حالينِ شـدَّةً وركود

وقد أحسنَ ابن المعتز فى صفة أنامل القينة :

وتلفظُ يمنـاها إذا ضـربتْ بها وتنثرُ يسراها على العـودِ عنابا

وقلت: وهيجتْ لىَ من شوقٍ ومن فرح أيدٍ نثرنَ على الأوتار عنابا
لاعيبَ فى العيشِ إلا خوف غيبتكم إنَّ السرور إذ ماغبتمُ غابا

ومن أحسن ماقيل فى وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغن ملحقٌ كلَّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عذر
لايمدُّ الصوت فيه نفورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومى :

تتغنى كأنهـا لاتغنى من سكون الأوصالِ وهى تجيد
مدَّ فى شأوِ صوتها نفسٌ كا فِ كأنفاسِ عاشقيها مديد
ولهـا الدَّهرِ لائمٌ مستزيـد ولهـا الدَّهرِ سامعٌ مستعيـد

وللناجم من أبيات :

مندرة فى كلِّ أصواتها لا كالتى تندرُ فى الندره

وقول الآخر:

إذا وقَّع بالعـود زمرنا بالكئوس (له)

فأما أعجب ماقيل فى ذم المغنى والتنائى من سماعه فقول ابن الرومى :

فظلتُ أشربُ بالارطال لاطربا عليـه بل طلباً للسكر والنـوم

ومن أحسن ماقيل فى مجالس الشرب قول أبى نواس :

فى مجلسٍ ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر

وقد أحسن ديك الجن فى قوله :

كأنمـا البيتُ بريحـانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبرى :

وقد نظم الروض سمطيه من ... سنان نؤيق إلى زجه

كفرجك خفتان وشي بد ... بياضُ الغلالة من فرجه

ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة معناهما ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفا وان كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه وخولف به وجه الاستعمال . وقال السرى ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :

ألست ترى ركبَ الغمام يُساقُ ... وأدمعه بين الرِّياضِ تُراقُ

وقدرقّ جلباب النسيم على الثرى [1] ... ولكنْ جلابيبُ الغيوم صفاق

وعندى من الرَّيحانِ نوع تحية ... وكأسٌ كرقراق الخلوقِ دهاق

وذو أدب جلتْ صنائع كفه ... ولكن معانى الشعرِ فيه دقاق

لنا أبداً من نثره ونظامهِ ... بدائعُ حلىٍ مالهنَّ حقاق

وأغيدمهتزٌّ على صحنِ خدِّه ... غلائلُ من صبغ الحياءِ رقاق

أحاطتْ عيونُ العاشقينَ بخصره ... فهنَّ له دونَ النطاقِ نطاق

هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر تثبتُ الأبصار فيه ... كأنَّ عليه من حدق نطاقا

وقد مر ، وبيت السرى أجود منه سبكاً ونظماً ووصفاً :

وقد نظم المنثور فهو قلادة ... علينا وعقدٌ مذهبٌ وخناق

وغرفتنا بينَ السحائب تلتقى ... لهن علينا كلة ورواق

تقسم زوارٌ من الهند سقفها ... خفاف على قلب النديم رشاق [2]

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الايطاء، وهو من أسهل العيوب التي تعترى القوافى عندهم :

أعاجم تلتذُّ الخصام كأنها ... كواعبُ زنج راعهنَّ طلاق

---

(١) في ديوان السرى «على الندى» . (٢) فى الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنسَ الأماء تحببت ... وشيمتها غدرٌ بنا وإباق
مواصلة والوردُ في شجراته ... مفارق إلف حانَ منه فراق[1]
فزرقية برد الشراب لديهمُ ... حميمٌ إذا فارقتهم وغساق

وقلت : وليل ابتعتُ به لذّةً ... وبعتُ فيه العقلَ والدّينا
أصابَ فيهِ الوصلُ قلبَ الجوى ... وباتَ فيه الهمُّ مسكينا
وقد خلطنا بنسيم الصبا ... نسيمَ راح ورياحينا
وأكؤسُ الرّاح نجومٌ إذا ... لاحت بأيدينا هوتْ فينا
تضحك فى الكأس أباريقنا ... وحسبنا يضحكنَ يبكينا
كأن أعلاها إذا كفرتْ ... يعقد الكأس ثلاثينا

وقلت : هذا حبيبٌ وصول ... وذا رقيبٌ صروم
وذاك شرخُ شباب ... أغرّ وهو بهيم
وقهوةٌ وغناءٌ ... وسامرٌ ونديم
فخذ نصيبك منه ... فليس شيءٌ يدوم

وهذا من أجمع ماقيل فى هذا الباب . وقال الصنوبرى :

يومٌ ذيولُ مزنه ... على الثرى منسحبه
بروقهُ سافرةٌ ... وشمسه منتقبه
فما سى ؟ سماءه ... ضاحكة منتحبه
طابتُ أقصى أملى ... منه فنلتُ الطلبه
بسيدين ارتقيا ... منقبةً فمنقبه
واتفقا فى كنيةٍ ... والتقيا فى مرتبه
نشربها عذراءَ قد ... قامتْ بحقّ الشربه
أكرم ذخر ذخر ... من كرمةٍ فى عنبه

---

(١) فى ديوان السرى « مفارقة ان حان منه فراق » .

في مجلسٍ أطنابه على العلا مطنبه
أكرمْ به يوماً مضتْ ساعاتهُ المستعذبه
كلحظةٍ مخلوسةٍ وقبلة مستلبه

وقلت : عندنا طيبٌ وريحا نٌ ونقلٌ وغناء
ومن المشروبِ لونا نِ شمولٌ وطلاء
ومن اللحم خليطا ن طبيخٌ وشواء
ومن الحلواء ألوا نٌ أحاد وثناء
ولنا غلمانٌ صدق أدباءٌ أرباء
أرسلوا في الصحن ماءً فكأنَّ الصحنَ ماء
واتثنوا للحسنِ عدواً لحواشيه رداء
فارشف الهمَّ عناءً إنما الهمُّ بلاء
واغتنم لذةَ يوم قد تخطاهُ العناء
فهو يطويك ويمضي ليسَ للدُّنيا بقاء

ومن المشهور في صفة السكارى قول بعضهم :

مشوا إلى الرَّاح مشيَ الرّخّ وانصرفوا والرَّاحُ تمشي بهم مشيَ الفرازين
غدوا إليها كأمثالِ السهام مَضتْ عن القسيّ وراحوا كالعراجين
وكانَ شربهمُ في صدرِ مجلسهم شربَ الملوك وناموا كالمساكين

ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرّاح وقد بدَّلوا مشيَ الفرازينِ بمشيِ الرِّخاخ

ومما يجري مع هذا قول الآخر :

تزيدُ حسا الكأس السفيه سفاهةً وتتركُ أخلاقَ الكريم كما هيا
وإنَّ أقلَّ الناسِ عقلاً إذا انتشى أقلهمُ عقلاً إذا كانَ صاحيا

ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيته

بعد فى ديوان السرى :

وقد نشأتْ بينَ الـكـؤس غمامةٌ — من الندّ إلا أنها ليسَ تهطل

وعلّ بمـاء الوردِ خيش كأنهُ — على جلده ثوبُ العروس المصندل

وقلت : ظبي بروقُ الناظرينَ بأبيضٍ — وبأسودٍ وبأخضرٍ وبأشـكل

ومقوّم مثل القضيبِ مهفهف — ومعوّج كالصولجانِ محبل

ومفرّج من خدّه ومكفر — ومخلق من شعره ومسلسل

وبياض وجه بالصباح مقنع — وسواد فرع بالظلام مكلل

علقتْ أباريقُ المـدام بكفه — كالبدرِ يعلق بالسماك الاعزل

وعلا دخانُ الندّ أبيض ساطعاً — مثل الغمامة غير أن لم يهمل

فـكـأنما الـكاساتُ فى حافاته — شقر الخيول تجولُ تحت القسطل

ومن أبدع ماقيل فى لذة الغناء قول الناجم :

شدوٌ ألذُّ من ابتدا — ءِ العينِ في اغفائها

أحلى وأشهى من منى — نفس وصدق رجائها

وأجود ماقيل فى الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصغوا نحوها الآذانَ حتى — كأنهمُ وماناموا نيام

ومن عجيب المعانى في الغناء قول أبي تمام :

حمدتُكَ ليلة شرُفتْ وطابتْ — أقام سهادها [١] ومضى كراها

سمعتُ بها غناءً كان أولى — بأن يقتادَ نفسى من عناها

ومسمعة تفوت السمع حسناً [٢] — ولم تصممهُ لايصمم صداها

مرتْ أوتارها فشفتْ وشاقت — ولو يسطيعُ حاسدها فداها [٣]

ولم أفهمْ معانيها ولـكنْ — ورتْ كبدى فلم أجهل شجاها

---

(١) فى ديوان أبى تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها) .

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها) . (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأنى أعمى معنى بحبّ الغانياتِ ولايراها

وكان ينبغى أن يقول (فداها حاسدها) وليس لقوله (فلا يستطيع حاسدها) معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور [1] في قوله :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تفغر [2] بمنطقها فما

ولم أرَ محقوراً لهـا مثل صوتها أحس وأشجى للحزين وأ كلما

ولم أرَ مثلى شاقه صوتُ مثلها ولا عربياً شاقه صوتُ أعجما

ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد فى حجر أمه وتشبيه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ماقيل فى ذلك وأجمعه قول بعضهم :

فكأنه فى حجرها ولدٌ لها ضمته بينَ ترائبٍ ولبان

طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركتْ له أذناً من الآذان

ومثله قول الناجم :

إذا احتضنتْ عابثٌ عودَها وناغتــهُ أحسنَ أن يعربا

تدغدغُ فى مهلٍ بطنهُ فتسمعنا مضحكاً معجبا

وذكر الضحك مع الدغدغة جيد .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مركب على الطبائع الأربع فقال :

شَدَتْ فجلتْ أسماعنا بمخفف يحدثها عن سرّها وتحدثه

مشاكلة أوتارهُ فى طباعها عناصر منها أحدثَ الخلقَ محدثه

فللنار منه الزيرُ والأرض للريح مثناهُ وللماء مثلثه

وكلُّ امرىء يرتاحُ منهُ لنغمة على حسبِ الطبع الذى منهُ يبعثه

شكاضربَ يمناها فظلتْ يسارها تطوقهُ طوراً وطوراً ترعثه

فما برحَتْ حتى أرتنا مخارقا يجاذبهُ فى أحسن النقر عثعثه

فاستدركناه من ديوان أبى تمام . (١) الهلالى من فحول المخضرمين والمعمرين .

(٢) أى لم تفتح .

وحتى حسبت البابليين القنا ؟ على لفظها السحر الذى فيه تنفثه

وأجود ماقيل فى اتفاق الضرب والزمر قول هرون بن على المنجم :

غصن على دعص نقا منهال سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
وفاتنات الطرفِ والدّلالِ هيف الخصورِ رجح الاكفال
يأخذنَ من طرائف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
يجرى مع الناسِ بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزّلال
يدعو إلى الصبوةِ كلّ سال يصرع كلّ فاتك بطال
ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال

وقال كشاجم فى وصف العود والقينة وأحسن :

تميسُ من الوشى في حُلةٍ تجرّرُ من فضل أذيالها
وتحملُ عوداً فصيحَ الجواب يضاهى اللحونَ بأشكالها
لهُ عنقٌ مثل ساقِ الفتاة ودستانةٌ مثل خلخالها
فظلتْ تطارحُ أوتارَهُ باهزاجها وبأرمالها
وتعملُ جساً كجسّ العروق وتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو يغنى لكل إنسان بما يشتهيه . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أنى خارج إلى العراق فاستهد ماأحببت فقال إهدلى بربطا من عمل زرلى فأهدى اليه عوداً وكتب اليه : قد بعثت به أرسح البطن أحدب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى كهيئة طاليه وملاحة محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ماقيل فى حسن الضارب ماتقدم ذكره وهو قول الناشىء * وكأن يمناها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جسته حكتْ متطبباً يجيلُ يديه فى مجسّ عروق

وقد استحسنَ الناس هذا البيت وأجازوه وليس هو فى طريقة الاختيار لأن الطبيب يجس بيد واحدة وكذلك الضارب فليسَ لذكر اليدين وجه .

ومن جيد ماقيل فى صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبى عون :

تناجيك بالصوت أوتارهُ   فتوفيك ألسنه أحرف

وأبين منه قول الناجم :

إذا نوَت الضربَ قبلَ الغناء   أنشدنا شعرها عودها

وقلت:رُبَّ ليل كسالكَ ثوبَ نعيم   بينَ ساقٍ وسامرٍ ونديم

وكؤوس جرَتْ وريّ كؤوس   وأعانتْ على طريق الهموم

ولنا مزهرٌ كمثل خطيم   في يدى مطرب كأمّ الفطيم

وسموا صدرهُ بعاج وذيل   فزهتهُ محاسنُ التوسيم

مثل أرضٍ تحيرتْ بأقاح   أو سماء تكللتْ بنجوم

ذو ملاوٍ سود الفروع وحُمر   مثل أطرافِ فرحةٍ ونعيم

ووساين لاتجولُ عليه   كخلاخيل مارد وظلوم

أحمر الزير أسود البم أحوى   هلْ رأيتم جداولَ التقويم

ومن جيد ماقيل فى سرعة الضرب والجس قول كشاجم :

وترى لهـا عوداً تحركهُ   وكلامه وكلامهـا وفقـا

لو لم تحركهُ أناملهـا   كانَ الهواءُ يفيدُهُ نطقا

جستهُ عالمةً بحالتـه   جس الطبيبِ لمدنفٍ عرقا

فحسبت يمناها تحرِّكهُ   رعداً وخلت يمينها برقا

وقال بعضهم فى رقاص:

عجبتُ من رجليهِ تتبعانه   يعلوهما طوراً ويعلوانه

كأنَّ أفعيين تلسعانه

ومما لم يقل مثله فى إزالة الخمار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربتُ على لذَّة ... وأخرى تداويتُ منها بها

كل من أخذ هذا المعنى منه قصر فى العبارة عنه ولايجوز أن يؤتى بمثله ، قال أبو نواس * وداونى بالتى كانت هي الداء ، فحشا الكلام بمالا وجه له وهوقوله كانت هى الداء ، وقال المجنون ، ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع قول الأعشى موقعاً ، ومثله قول البحترى :

تداويتُ من ليلى بليلى فما اشتفى ... من الداءِ من قد باتَ بالداءِ يشتفى

ومن جيد ماقيل فى الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات ، وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز فى صفة الدنان :

ودنان كمثلِ صفّ رجالٍ ... قد أقيموا ليرقصوا دستبندا

وقال العلوى الأصفهانى في الزق :

عجبتُ من حبشيّ لا حَراكَ به ... لايدركُ الثأرَ إلا وهو مَذْبوحُ

طوراً يُرى وهو بين الشرب مضطجعٌ ... رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح

وفى ألفاظ العلوى زيادة على معناه فى أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق فى طولِ صحبته ... لاينفعُ الدَّهرَ إلا وهو محمومُ

وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :

إن غدا ملآن أمسى فارغاً ... كأسـير الزِّقّ أدى فعتق

وقال القطأمى :

استودعتها رواقيــداً مقيرةً ... قد برنسن بالطـين

مكالحات لحرّ الشمس قائمة ... كأنهنّ نبيطٌ في بساتين

وقال آخر: تحسبُ الزقّ إذا أسندته ... حبشياً قطعتْ منهُ الشوى

وقال العلوى الاصفهانى يصف شراباً في ظرف خزف :

مخدَّرَةٌ مكنونةٌ قدتكشفتْ ... كراهبةٍ بينَ الحسانِ الأوانس

وأترابها يلبسنَ بيضَ غلائل هيَ العريُ مقرورٌ بها كلُّ لابس
مشعشعة مرهاء ما خلتُ أنني أرى مثلها عذراءَ في زيِّ عانس

المعنى جيد وفي الالفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراووق :

كأنما الرّاووقُ(١) وانتصابه خرطومُ فيل سقطتْ أنيابه

وفيه : سمـــاءلاذ قطرهـــا رحيق رَحْب الذُّرى ينحط فيه الضيق
ماء حقيـــق لو جرى العقيـقُ حتى اذا ألهبهـــا التصفيق
صحنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبتُّ أرى الكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرَّجلِ القصير
بالكفين عنى وأمسحُ عارضَ القمرِ المنير

أبو حكيم فمن حكمت كأسك فيه فاحكم له بإقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر:

فديتك لو علمتَ بضعفِ سكري لمـــا سقيتني إلا بمســط
بحسبك أنَّ خماراً بجنبي أمُرُّ ببابهِ فأكادُ أسقط(٢)

ولابن الرومي في نبيذ حامض :

قد لعمري اقتصصتَ من كلِّ ضرس كان يجني عليك في رغفانك
قد ردَدناهُ فاتخذهُ لسكبا جك والنائبات من أدقانك
واتخذهُ على خوانك خلا(٣) فهو أولى بالخلِّ من إخوانك
أضرستنا حموضةٌ فيه تحكي رعدة(٤) تعتريك من ضيفانك

معنى آخر : إسقني بالكبير إلى كبير إنما يشربُ الصغيرَ الصغير
لا يغرنك يا عبيـــد خشوعي تحتَ هذا الخشوع فسقٌ كثير

---

(١) الراووق: ناجود الشراب الذي يرَوَّق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالبي في النهاية لابن لنكك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظ حظّ الجاهل ولم أرَ المغبونَ غير العاقل
رحلت عنا من كروم بابل فبتُّ من عقلي على مراحل

وقال غيره في نبيذ الدبس :

على أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو تراني وفي يدي قدحُ الدو شابِ أبصرتَ بازياً في غراب

وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

لستُ بناف خمار مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرور
يطيرُ عن رأسهِ القناع إذا نفست عنه خناق مزور
يميلُ أعلاهُ وهو منتصبٌ كأنهُ صولجانُ بللور

وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال في المسول قعود

وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدُهُ نصفُ سائره
أنطقتــهُ يدا فتى فاتنِ اللحظِ ساهره
يحكي عن ضميرهِ ماجرى في خواطره

وقال آخر في المعزفة :

معلقــة الأوتارِ صخابةٌ لها حنينٌ كحنينِ الغريب
مكسوَّةٌ أحشاؤها حُلةً بيضاءَ من جلد غزالٍ ربيب
كأنما نسمةُ أوتارهِ نصبنَ أشراكاً لصيد القلوب

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من التهافت وبراها من التفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لأبصار الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبرها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى منازله وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق . وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الاصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى ـ ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ماقيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرىء القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها   مصابيحُ رهبان تشبُّ لقُفَّال [(١)]

---

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بليلٍ والنجومُ كأنها قلادَةُ درٍّ سلَّ عنها نظامها

وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيتُ السماءَ كالبحرِ إلا أنَّ مرسوبه من الدُّرّ طافي

فيهِ مايملأُ العيونَ كبير وصغيرٌ ما بينَ ذلك خافي

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبسَ الدُّجى كانتْ نجوم الليل حصباءها

وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :

كأنَّ سماءَها لمـا تجلتْ خلال نجومها عندَ الصباح

رياضُ بنفسج خضل نداه تفتحَ بينها نورُ الأقاحي

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجمُ غائر غلالةَ ليلٍ بالصباح مطرر

كأن بياضَ النجم فى خضرة الدُّجى تفتحَ وردٍ بينَ رَندٍ[1] وعبقر

وقلت : كم سرور زَرَعتُ بينَ الندامى وهموم طرَدْتُ بينَ الكؤوس

وتلوح[2] النجومُ فى ظلمةِ الليـــلِ كعاج يلوحُ فى ابنوس

وقلت : بليل كما ترفو الغزالةُ أسود على أنه من نورِ وجهـــك أبيض

كواكبه زهرٌ وصفرٌ كأنها قبائع منها مذهبٌ ومفضض

وفي النجوم ماهو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحمر فشبه الأبيض بقبيعة مفضضة والأصفر والأحمر بالمذهبة والذهب يوصف بالحمرة والصفرة ، ومثل هذا التمييز قليل فى الشعر . وقال ابن المعتز :

---

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) فى هامش الأصل : ماعليه لو قال « وبياض النجوم » لتتم المقابلة ويخلص من تكلف « وتلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ فى ظلم الدُّجى   خصاصاً أرى منه النهارَ نقابا

وقد أحسن الناشيء القول فى اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :

وردت عليها والنجوم كأنها   كتائبُ جيش سوّمتْ لكتائب

وقلت : وأنجم كربرب فى شهب   كالشهبِ تجرى فى خلال خطب

والحور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل فى الثريا قول امرىء القيس :

إذا ماالثريا فى السماء تعرضتْ   تعرضَ أثناء الوشاح المفصل

وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم قال بعضهم وهو معيب لأن التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أى جانبه قال والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها   على قمة الرأس ابنُ ماء محلق

وقالوا أحسنه قول ابن الطثرية :

إذا ما الثريا فى السماء كأنها   جمانٌ وهى من سلكهِ فتبدّدا

أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ماهى بمتبددة ولكنها مرصوفة . قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبهابها من جهة البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضتْ دولةُ الصيام وقد   بشرَ سقمُ الهلالِ بالعيد

تبدو الثريا كفاغرٍ شرهٍ   يفتحُ فاهُ لأكلِ عنقود

والأول أجود لذكر   وهذا ذكر المنقود ولم يصفه وقد يكون المنقود أسود أو أحمر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ماقيل فيها قول الآخر :

ولاحتْ لساريها الـثريا كأنها على الأفقِ الغربيّ قرطٌ مسلسل

أخذه ابن الرومى فقال :

طيبٌ طعمهُ (١) اذا ذُقْتَ فاهُ والثريا فى جانبِ الغربِ قرط

وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبى فضلة :

وتأملتُ الـثريا فى طـلوع ومغيب

فتخيرتُ لهـا التشـــبيهَ بالمعنى المصيب

فهى كأسٌ فى شروقٍ وهى قرطٌ فى غروب (٢)

وقلت : شربنا والنجومُ مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزحوف

وقد أصغت الى الغرب الثريا بوالد لويسلمها الضعيف

وأجود ماقال فيها محدث عندى قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هودَجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج

وقد لمعتْ بينَ النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلد الموصلى :

وترى النجوم المشرقا ت كأنها دررُ العصابه

وترى الـثريا وسطها وكأنهـا زردُ الذؤابه

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى بهِ الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعى نجومَ الليل وهى كأنها نواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيهِ باقةُ نرجس وما حولها منهنَّ طاقات نرجس

---

(١) فى ديوان ابن الرومى (طيب ريقه). (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها الصنوبرى على كل حالاتها فقال :

فى الشرق كأسٌ وفى مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدنى بعض العمال :

رُبَّ ليل قطعتهُ بفنون من غناءٍ وقهوة ومُجونِ
والثريا كنسوةٍ خفرات قد تجمعن للحديثِ المصون

وقد أحسن وأطرف . وقد أصابَ القائل بعض وصفها في قوله
ه كأن الثريا حلة النور منخل ه وقال ابن المعتز :

ألا فاسقنيها والظلامُ مقوّض وخيلُ الدُّجى نحوَ المغارب تركضُ
كأنَّ الثريا فى أواخر ليلها تفتحُ نَوْر أو لجامٌ مفضض

وشبهت بالقدم ، قال ابن المعتز :

قمْ يا نديمى نصطبح بسوادِ قد كاد يبدو الصبحُ أو هو باد
وأرى الثريا في السماءِ كأنها قَدَمٌ تبدّتْ فى ثيابِ حداد

وقلت: كأنَّ نهوضَ النجم والافق أخضر تبلجُ ثغرٍ تحتَ خضرةِ شارب
وقلت : تلوحُ الثريا والظلامُ مقطب فيضحكُ منها عن أغرَّ مفلج
تسيرُ وراءَ والهلالُ أمامها كما أومأتْ كفٌّ إلى نصف دملج
وقلت: شمس هَوَتْ وهلالُ الأفق يتبعها كأنها سافرٌ قدّام منتقب
تبدو الثريا وأمرُ الليل مجتمع كأنها عقربٌ مقطوعة الذنب

وأحسن ما قيل فيها عند طلوع الفجر قول الآخر :

وكأنَّ الصبحَ لما لاحَ من تحتِ الثريا
ملكٌ أقبلَ فى التا ج يُفدّى ويُحيّا

وقلت : وبالثريا أثر الخمود كالنار لا تسعفُ بالوقودِ
فى أنجم كَربرب في بيد يلوحُ فى التصويب والتصعيد
كشرفات فدن مشيد

وقلت : قمْ بنا نطرُدُ الهمومَ بكأس والثريا لمفرقِ الليل تاجُ
وقد انجرّتِ المجرّةُ فيهِ كسبيبٍ يمدُّهُ نساجُ

وقال العلوى الأصفهانى في حسن الاستعارة :

رُبَّ ليـلٍ وهتْ لآلى دُموعى فيهِ حتى وَهتْ لآلى الثريا
ورداءُ الدُّجى لبيسٌ دريسٌ بيدِ الصبح وهو يطويه طيا

وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض والنقط على فخذ النمر سود . وقال السرى :

ترى الثرّيا والبدر فى قرَنٍ كما يحيا بنرجسٍ ملك

أجود ماقيل في الجوزاء من الشعر القديم قول كعب الغنوى (١) :

وقد مالت الجوزاءُ حتى كأنها فساطيطُ ركبٍ بالفلاةِ نزول

ولوشبهها بفسطاط واحد كان أشبه . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفى الثريا :

وقد هوى النجمُ والجوزاءُ تتبعهُ كذاتِ قرط أرادتهُ وقد سقطا

مع أن المصراع الأخير غير مختار الرصف ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا.
وقال فيها وفي الشعرى العبور :

ولاحت الشعرى وجوزاؤها كمثلِ رُمح جَـرَّهُ رامح

وقلت : سقانى والجوزاءُ يحكي شروقها طفوً غريقٍ فوقَ ماءٍ مطحلب

وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :

شربتها والليـلُ مُستوفزٌ يجرُّ في جلبابهِ كوكبه
كأنما الجوزاءُ رَقاصةٌ ترقصُ فى منطقةٍ مذهبه
كأنها الجوزاءُ طبالةٌ تحتضنُ الطبلَ على مرقبه

وقلت فيها عند غروبها :

إسقنيها والليلُ فرعُ عروس زَيَّنُوهُ بدُرَّةٍ وجُمانه
وكأنَّ الجوزاءَ حينَ تهاوتْ فارسٌ مالَ عنسراةِ (٢) حصانه

وقال آخر : وكأنَّ الجوزاءَ واترُ قوم أخذوا وترهم بقطع يَـدَيْه

---

(١) من بنى غنى ، وهو فى الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية. (٢) سراة كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوى الاصفهانى فيها :

وتلوحُ لى الجوزاءُ سكرَى كلما   ناءتْ بها الجرباءُ كادتْ تنثنى

ونطاقها مترَاصفٌ فى نظمه   فكأنَّما انتطقتْ بقطعةِ جوشن

الجرباء اسم للسماء ، وفى ألفاظها تـكلف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج   كفرع الخودِ أوعينِ الغزالِ

كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ فيه   زميلة[1] مفجرة الـبزال

تميس بالحلى قرط الثريا   إذا انخفضتْ وتوّج بالهلال

ركبت صدورَهُ وتركت خيلى   توالى تحتَ أنجمه التوالى

ويخبطنَ الصباحَ إذا تبدى   كما يكرعنَ فى المـاءِ الزُّلال

ومن ظريف ماقيل فى الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :

أقولُ لما هاجَ شوقُ الذِّكرى   واعترضتْ وسط السماء الشعرى

كأنها ياقوتةٌ فى مدرى   ماأطولَ الليلَ بسرَّمرَّى

وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ماقيل فى سهيل وبعده من الـكواكب قول بعضهم :

ولاحَ سُهيلٌ من بعيدٍ كأنه   شهابٌ ينحيه عن الرُّمح قابسُ

وقال ابن المعتز :

وقدلاحَ للسارىسهيلٌ كأنهُ   على كلِّ نجم فى السماء رقيبُ

وأجود ماقيل فى خفقانه واضطرابه قول جِران العَـوْد :

أراقبُ لمحاً[2] من سهيلٍ كأنَّهُ   إذا ما بدا من آخر الليل مطرف[3]

وقلت : وبسهيل رعدَةُ المزؤودِ[4]   وهو من الأنجمِ فى محيدِ

حلَّ محلَّ الرَّجل الطريد

---

(١) فى نسخة « زميرة » . (٢) فى ديوان جران العود « أراقب لوحاً » .

(٣) فى ديوانه « يطرف » . (٤) أى المزعور .

وقال ابن طباطبا فى المعنى الأول :

كأنَّ سهيلاً والنجومُ أمامهُ يعارضها راعٍ أمامَ قطيع

أجود ماقيل في النسر الواقع قول الحماني :

وركب ثلاث كالأثافي تجاوروا دُجى الليل حتى أو مضتْ سنةُ البدر
إذا اجتمعوا سميتهمْ باسم واحد وإن فرقوا لم يعرفوا آخرَ الدهرَ

وهو من اللغز المليح . ومن جيد ماقيل في الفرقدين قول ابن المعتز :

ورنا إليَّ الفرقدان كما رنتْ زرقاءُ تنظرُ من نقاب أسود

وفي المجرة قول بعضهم :

كأنَّ المجرة جدولُ ماء نور الاقاح فى جانبيه

وقال ابن طباطبا :

مجرَّة كالماءِ إذ ترقرقا شقتْ بها الظلماء برداً أزرقا
لباس ثكلى وشيها المشققا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كأنَّ التى حولَ المجرَّة أوردتْ لتكرَعَ في ماءٍ هناك صبيب

فوجدته متكلفاً جداً فقلت فى معناه :

ليل كما نفضَ الغرابُ جناحه متبقع الأعلى بهيم الأسفل
تبدو الكواكبُ من فنون ظلامه لمع الأسنة من فنون القسطل
وترى الكواكب في المجرَّة شرَّعاً مثل الظباء كوارعاً فى جدول

وقلت : تبدو المجرة منجر ذوائبها كالماء ينساح أو كالايم ينساب
وزهرة بازاء البدرِ واقفة كأنه غرضه ينحوه نشاب

أغرب ماقيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعرابى :

كأنَّ ابنَ مزنته جانحاً قسيط لدى الافق من خنصر

أى كأن ابن مزنته وهو الهلال لدى الأفق قسيط من خنصر والقسيط القلامة

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذه ابن المعتز فحسنه في قوله :

ولاحَ ضوء هلال كادَ يفضحه   مثل القلامة قد قدَّت من الظفر

وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما   يلاحظُ منه ناظر ذات أشفار

كأنَّ الذى أبقي لنا منهُ أفقه   قصيصُ سوارٍ أو قراضةُ دينار

ولا خير فى رصف قوله * كأن الذى أبقى لنا منه أفقه *

ومن غريب ماقيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :

إذا الهلالُ فارقتهُ ليلته   بدا لمن يبصرُه وينعته

كهامةِ الاسود شابتْ هامته

قد سَبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :

وقد بدا فوقَ الهلال كرته   كهامةِ الاسود شابتْ لحيته

ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلاله   فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر

وانظر اليه كزورقٍ من فضة   قد أثقلتهُ حمولةٌ من عنبر

وقال : فى ليلة أ كل المحاق هلالها   حتى تبدَّى مثل وقف العاج

وقلت : لست من عاشق أضلَّ السبيلا   فسقى دمعه الهطول طلولا

برد الليل حينَ هبت شمالا   فجعلت الصلاةَ فيها الشمولا

في هلال كأنَّهُ حيَّةٌ الرَّمـــلِ أصابتْ على البقاع مقيلا

باتَ في معصم الظلامِ سواراً   وعلى مفرقِ الدُّجى إكليلا

وقلت: وكؤوس إذا دجى الليل أسرت   تحتَ سقف مرَّصع باللجين

وكأنَّ الهلالَ مرآة تبرٍ   تنجلى كلَّ ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفته من لدن هو هلال إلى أن يتم .وقلت في هلال شهر رمضان

جلبَ المجاعةَ ضامرٌ نخل   قد خلتُ فيه لضعفه سلاّ

طفلٌ ولكنْ أمرُه عجبٌ   قد عاد بعد كهولةٍ طفلا
قد كانَ حمل ليلتين فلم   ترَ مثله طفلاً ولا حملا
ومن العجائب أن يعودَ فتى   في سبع عشرة ليلة كهلا

وقال السرى :

قمْ ياغلامُ فهاتها فى كأسها   كالجلنارةِ فى جنى نسرين
أومارأيت هلال شهرك قد بدا   فى الأفق مثل شعيرة السكين

جعل الزجاج كأساً ولايقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولاأعرفه سبق إلى هذا التشبيه . وقال بعضهم :

والجوُّ صافٍ والهلالُ مشنف   بالزُّهرة الزَّهراءِ نحو المغرب
كصحيفةٍ زرقاءَ فيها نقطةٌ   من فضةٍ من تحت نون مذهب

جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زيَّن للعيونِ هلالهُ   فرَمقْنَ منهُ حاجباً مقرونا
يبدو ويبدو النجمُ فوقَ جبينه   وكأنَّ جنحَ الليلِ ينقطُ نونا

وقد استحسنت للعلوى الأصفهانى قوله :

لاحَ الهلالُ فُوَيْقَ مغربه   والزُّهرةُ الزَّهرَاءُ لم تغب
تهوى دوين مغيبها فهوتْ   تبكى بدمع غيرِ منسكب
فكأنها أسماء باكية   عندَ انفصام سوارها الذَّهب

ومن البديع قول الآخر :

لمأنس دجلةَ والهوى مُتضرِّم   والبدرُ في أفق السماءِ مُغرِّب
فكأنها فيــه رداءٌ أزرق   وكأنه فيها طرازٌ مُذْهبُ

حق الدجى ان تؤنث لانها جمع دجية . وقلت :

كأنَّ الهلال الشهر قطعة دملج   تلوحُ على أعضاء معتكر غاس
ترى الزهرة الزهراء تهوى وراءه   كما مرَّ سهمٌ قاصدٌ نحوَ قرطاس

ومن أجود ما سمعته فى الليلة المقمرة ما أنشدنيه أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاءَ مقمرةٍ   كأنها فضةٌ ذابتْ على البلد

وقلت: كم قد تناولتُ اللذاذ من كثب   والدّهر مسكونُ الحوادث والنوب

فى ليلةٍ قمراء تحسب أنها   تلقى على الآفاق أردية قصب

ومن البديع قول ابن المعتز :

ماذقت طعم النوى لو تدرى   كأنمـا جنبي على جمر

في قمر مشرق نصفه   كأنه مجرفةُ العطر

فريسة للبقّ منهوشـة   قد ضعفت كفى عن النصر

وقال في ذم القمر :

وبات كما سرّ أعداؤُه   إذا رام قوتا من النـوم شذ

تعززُه شرراتُ البعوض   فى قمرٍ مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثانى من الباب السادس ﴾

(فى ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه)

فمن أحسن ذلك قول ذى الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته[1]   بأربعة والشخصُ في العين واحدُ

أحمُّ علافيٌّ وأبيض صارمٌ   وأعيسُ مهريٌّ وأروع ماجد[2]

فأخذه ابن المعتز ونقله إلى ما هو أظرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلبابِ الشبابِ قطعتهُ   بفتيان صدقٍ يملكونَ الأمانيا

جلباب الشباب أظرف من جلباب العروس .

---

(١) فى الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذى الرمة .

(٢) أحم : أسود يعنى الرحل ، علافي : منسوب الى علاف حي من العرب يعملون الرحال ، والأعيس : الأبيض يعنى بعيره ، والمهرى منسوب الى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ماقيل فى ظلمة الليل قول مضر بن ربعى [١] .

وليل يقولُ الناسُ من ظلماته سواء صحيحاتُ العيونِ وعورها
كأنَّ لنا منهُ بيوتاً حصينةً مسوح أعاليها وساج كسورها [٢]

وقريب من هذا قول الأعرابى : خرجنا فى ليلة حندس قد ألقت على الارض أكارعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالآذان . وقلت فى هذا المعنى :

وليلةٍ كرجائى في بنى زمنى مُسوَدَّة الوجهِ منسوباً إلى الفحم
سَدَّتْ على نظرِ الرائينَ منهجهُ حتى تعارَفَت الاشخاصُ بالكلم
لا أسأمُ الجهدَ فيها أن أكابدهُ ولاترى صاحبَ الحاجاتِ ذا سأم
أحاولُ النجحَ فى أمر أزاولهُ والنجح في دلجات الأينقِ الرُّسم

ومن جيد التشبيه قول أبى تمام :

إليكَ هتكنا جنحَ ليل كأنه [٣] قد اكتحلتْ منه البلادُ بإثمد

أخذه من قول أبى نواس :

أبنْ لى كيفَ صرتَ إلى حريمى وجنح الليل مكتحلٌ بقار

وقول أبى تمام أجود لأن الاكتحال بالاثمد لا بالقار ، وأظرف ماقيل في ذلك قول مسلم بن الوليد :

أجدك ما تدرينَ أنْ ربَّ ليلةٍ كأنَّ دجاها من قرونك تنشر
صبرتُ لها حتى تجلتْ بغُرَّةٍ كغُرَّةِ يحيى يوم يذكر جعفر

وقد طرف القائل فى قوله :

لاتَدْعنى لصبوح إنَّ الغبوقَ حبيبى
فالليلُ لون شبابى والصبح لون مشيبى

ومن الاستعارة قول ذى الرمة :

---

(١) نسب البيتان فى زهر الآداب الى ابن محكان السعدى . (٢) في زهر الآداب (مسوحاً أعاليها وساجا) . (٣) كذا في ديوان أبى تمام ، والذى فى الأصل (كأنما) .

وَدَوِّيَّة مثل السماءِ عسفتها ... وقد صبغ الليل الحصى بسوادِ [1]

أخذه البحترى فقال وقصر :

على باب قنسرين والليلُ لاطخٌ ... جوانبهُ من ظلمةٍ بمداد

ليس البيت على السكة المختارة وقوله (لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد) من بعيد الاستعارة . وأخذ ابن أبى طاهر قول مسلم * كأن دجاها من قرونك تنشر * فقال :

سقتنيَ فى ليل شبيهٍ بشعرها ... شبيهةَ خدَّيها بغير رقيب

فوقع بعيداً عنه واختل فى النظم وأقلق القافية . وقلت في معناه :

تسقيك فى ليلٍ شبيهٍ بفرعها ... شبيهاً بعينيها وشكلاً بخدِّها

فتسكر من عينٍ وكأسٍ ووجنةٍ ... تحييك أعقاب الكؤوس بوردها

ومن البديع فى هذا المعنى قول ابن المعتز :

أرقت له والرَّكبُ ميل رؤوسهم ... يخوضونَ ضحضاح الكرى وبهم قرُّ

علاهمْ جليدُ الليل حتى كأنهم ... بزاةٌ تجلى في مراقبها قمرُ

إلى أن تعرَّى النجم من حلة الدُّجى ... وقالَ دليلُ القوم قد نقب الفجرُ

وقدوا أديمَ الفجر حتى ترفعتْ ... لهم ليلةٌ أخرى كما حوم [2] النسرُ

وقال ديك الجن :

سيرضيك أنى مسخط فيك كاشحاً ... ومرتقبٌ هولان موت مرقبُ

وجانب ليل لو تعلق قطعة ... بقطعة صبح لانثنتْ وهى غيهبُ

وقلت: ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقا ... وأشعلَ فيهِ الفجر فهو محرق

وصبحنا صبحاً كأنَّ ضياءَهُ ... تعلم منا كيف يبهى ويشرق

وقال ابن المعتز :

نخلتُ الدُّجى والليلُ قد مدَّ خيطه ... رداءً موشى بالكواكب معلما

وهو من قول الله تعالى (الخَيْطُ الأبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأسوَدِ مِنَ الفَجْرِ)

---

(١) في الأصل تصحيف صححناه من ديوانه . (٢) في ديوان ابن المعتز (حلق) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذى ليس فى كلام البشر مثله قول الله عز وجل (أَوْ كَظُلُماتٍ فى بَحرٍ لُجِّيٍّ يَغشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُماتٌ بعضُها فَوْقَ بَعض) وقال الأصفهانى العلوى :

وَرُبَّ ليلٍ باتتْ عساكرُهُ   تحملُ فى الجوِّ سودَ رايات

لامعة فوقها أسنتها   مثل الأزاهير وسط رَوضات

ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكلف وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ماذكرناه لم يكمل له فهو كالمسن يشحذ ولا يقطع .

ومن أحسن الاستعارة في ذكر الليل قول ابن أبى فنن :

أقولُ وجنحُ الدُّجى ملبدٌ   ولليل فى كلِّ فجٍ يد

ونحنُ ضجيعان فى مسجدٍ   فلله ماضمنَ المسجد

أياليلة الوصل لاتنفدى   كما ليلةُ الهجر لاتنفد

ويا غدُ إن كنت لى راحماً   فلا تدنُ من ليلتى يا غد

وقال السرى :

وشرَّد الصبح عنا الليل فانضحت   سطوره البيض فى راياته السود

وقلت : ليل كفرع الخود تخلفه ضحى   زهراءُ مثل عوارض الزهراء

عبقت بأنفاس الرِّياض كأنما   نفض الرَّقيب غلالة الدلتاء

وقلت : والليلُ يمشي مشيةَ الوئيد   فى الخضرِ من لباسه والسود

والصبحُ فى أخراه ثانى الجيد

فأما أجود ماقيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرىء القيس :

وليل كموج البحر [1] أرخى سدوله   علىَّ بأنواع الهموم ليبتلى

---

(١) أى كموج البحر فى شدة ظلمته .

فقلتُ له لما تمطى بصلبه (١) وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجل بصبح وما الاصباحُ منك بأمثل

وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضميناً يلحق به بعض العيب وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لاينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة إلا أنه دخل فى باب الغلو . والذى أخبرنا بما في العادة الطرماح فى قوله :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصباحُ منك بأروح

فهذا معنى قول امرىء القيس ، ثم استدرك فقال :

على أنَّ للعينينِ فى الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح

فجاء بما لايشك أحد فى صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرىء القيس موقعاً والتكلف فى قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والكراهة فيه ظاهرة.

وقال ابن الدمينة فى معنى قول الطرماح :

أظلُّ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهمّ بالليلِ جامع

وقال المجنون :

يضمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبها (٢) كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائقُ

جعل ماينشأ من الهم بالليل أطفالا ، وفى هذا المعنى يقول النابغة :

كليني لهمّ ياأميمةُ ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
تطاولَ حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليل الذي يرعى النجومَ (٣) بآيب
وصدرٍ أراحَ الليل عازبَ همه تضاعف فيه الحزن من كلّ جانب

---

(١) وفى رواية «بجوزه» وهو ضعيف المعنى . (٢) فى الاصل «حبكم» وفى اللسان «حبها» وقال فيه : يروى «أثناء حبها» ويروى «أبناء حبها» وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) فى ديوان النابغة «يهدى النجوم» وهو الذى يتقدمها .

فجعل الهم يأوى إلى قلبه بالليل كالنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى أماكنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكرنيهِ البدرُ والليل دونهُ فبات بحدّ الشوق والصبر يلعب

كذكرى الحمى والحى في منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلس أشيب

فأزدادُ في جنح الظلامِ صَبابةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ

وقلت: ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي وكذاك السرورُ بالليلِ أعذب

ومما استجدت من شعر أبي بكر الصولى فى معنى امرىء القيس قوله :

أسرَ القلب فى هواهُ وسارا وتجنى علىّ ظلماً وجارا

فنهارى أراهُ للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا

أنتَ فرّقتَ بالتفرّقِ صبرى فأعرنى لما عراني اصطبارا

ويستجاد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنّ فى الصبح راحةً لمحبّ ومع الليلِ ناشئاتُ الهموم

وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أشَدُّ وَطْئًا وأقْوَمُ قِيلا) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاحَ لى صبحٌ فهمى مقسم وفي الليلِ همى بالتفرّدِ أطول

وتمنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى بالنهار من الغرماء ولما يحتاج اليه من النفقة في كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فانَّ الصبحَ يأتى بالهموم

حوائج لانطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروعات الغريم

قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :

وليلة كأنها طولُ الأملْ ظلامها كالدّهر مافيه خللْ

كأنما الاصباحُ فيها باطل أزهقه اللهُ لحقّ فبطلْ

ساعاتها أطولُ من يوم النوى وليلةِ الهجر وساعاتِ العذل

موصدة على الورى أبوابها كالنار لايخرجُ منها من دخل

وهـذا يستملح وان لم يكن مختاراً من التشـبيه لأن إخراج المحسوس إلى ماليس بمحسوس في التشبيه ردىء . ومن التشبيه الغريب فى ذلك قول بعض العرب :

ويوم كظلّ الرُّمح قصرَ طولهُ دم الزّقّ عنا واصطـكاك المزاهر

وقال البحترى :

وقاسينَ ليلاً دونَ قاسان لم تكد أواخرُه من بعد قطريه تلحق

وقال ابن المعتز فى نحوه :

وحلتْ عليه ليـلةٌ أرحبيةٌ إذا ماصفا فيها الغديرُ تـكدَّرا

بعيدة [1] ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صبحها [2] حينَ بشرا

وقال : بمخشية الاقطار حيلية الصدى معطلة الآيات محـذورة القصد

كأنَّ نجومَ الليلِ فى حجراته دراهمُ زيف لم يجزن على النقد

يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول فى طول الليل على دناءة لفظه :

عهدى بنا ورداءُ الليل مُنسدل والليلُ أطولهُ كاللمح بالبصر

والآن ليلى من باتوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحى غير منتظر

وهذا أبلغ معنى من قول امرىء القيس الذى تقدم إلا أنه لايدخل فى مختار الـكلام لابتـذال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعته ، والمعنى أن ليله ممدود بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعى أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تعول

ليلى كما شاءَتْ قصيرٌ إذا جادَتْ وإن ضنت فليلى طويلْ

فأغار عليه ابن بسام فقال :

---

(١) فى ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » . (٢) فى ديوانه (فجرها) .

لا أظلمُ الليـلَ ولا أدَّعي أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تغور

ليلي كما شاءَتْ فانْ لم تَزُرْ طالَ وإنْ زارَتْ فليلي قصير

إلا أن بيته الثانى أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافى الكفاة يقول لأبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جُلُّهمي وهمّي جُرجانُ * فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكرى وأنا اقول إن قوله : ليلى كما شاءت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليـلُ بلْ ياأبـدُ أنائمٌ عنـك غَـدُ

وقال ابن الرومى وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :

غابوا فلم أدرِ ما ألاقى مسَّنى من الوَجدِ أوجنون

ليـلِيَ لا يبتغي براحـاً كأنهُ أدهمٌ حَرونُ

أجيلُ في صفحتيهِ عيناً ما تتلاقى لهـا جُفون

وملح ابن الأحنف فى قوله :

حَدَّثونى عن النهار حديثاً وصفوهُ فقد نسيتُ النهارا

وقد أنبأ بشار عن العلة التى يستطال لها الليل وهو السهر فقال :

لم يطلْ ليـلى ولكنْ لم أنمْ ونفى عنى الكرى طيفٌ ألمّ

ولا أرى فى قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحسْرِ الطيرِ بتنا ننوشه على شعبِ الاكوارِ والليل غاسق

على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادى * والأول أفصح . وأنبأ العجاج أيضاً عن العلة التى لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينم * وقال بشار :

لخدَّيك من كفيك فى كلِّ ليلةٍ إلى أنْ ترى ضوء الصباح وسادُ

وهذا مأخوذ من قول أبى ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجرا * والاشتجار وضع اليد على الخد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيتُ نراعى الليلَ نرجو نفادهُ ... وليس لليل العاشقين نفاد

وقال: خليليَّ ما بالُ الدُّجى لا تزحزحُ ... وما بال ضوء الصبح لا يتوضح

كأن الدجى زادت وما زادت الدُّجى ... ولكنْ أطال الليلَ همٌّ مبرِّح

وقال ديك الجن:

من نامَ لم يدرِ طالَ الليلُ أم قصرا ... ما يَعرف الليلَ إلا عاشقٌ سهرا

وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو:

كأنَّ نجومَ الليل سارَتْ نهارها ... ووافتْ عشاءً وهى أنضاءُ أسفار

فخيمنَ حتى تستريحَ ركابها ... فلا فلكٌ جار ولا فلكٌ سارى

وذكر خالد الكاتب[1] أنه ليس يدرى أطال ليله أم قصر لتحيره وتبلده فقال:

لستُ أدرى أطال ليلى أم لا ... كيف يدرى بذاك من يتقلى

لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلى ... ولرعيِ النجومِ كنتُ مخلى

وتبعه أبو بكر الصولى فقال:

وطولتُ ليلى لو دَرَيتُ بطولهِ ... ولكنه يمضى لما بى ولا أدرى

وقال بشار:

طالَ هذا الليلُ بلْ طالَ السهر ... ولقد أعرفُ ليلِى بالقصر

لم يطلْ حتى دهانى بالهوى ... ناعمُ الأطرافِ فتانُ النظر

فكأنَّ الهجرَ شخصٌ ماثل ... كلما أبصرَهُ النومُ نفر

وقلت: صيرنى البينُ عرضةَ الحين ... لا أربحَ اللهُ صفقةَ البين

قد طالَ يومى وليلتى بهمُ ... لما يزالا بهمْ قَصيرَين

كانَ قليلاً لدىَّ مكثهما ... فكنتُ أدعوهما الجديدَين

فطال بعدَ الحبيبِ لبثهما ... فصرتُ أدعوهما عتيقين

---

(١) هو خالد بن يزيد، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى. أكثر شعره فى الغزل.

وقال آخر :

ياليـلة طالتْ على عاشقٍ منتظرٍ في الصبـح ميعادا

كادتْ تكونُ الحولَ فى طولها إذا مضى أولهـا عادا

أجود ماقيل فى قصر الليل وأشده اختصاراً قول ابراهيم بن العباس :

وليـلة من الليـالي الزُّهر قابلتُ فيها بدرها ببدرى

لم تكُ غيرَ شفقٍ وفجر حتى تولّتْ وهى بكرُ الدّهر

وقال غيره : وليــلة فيها قِصر عشاؤها مثـل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوى الاصفهانى فى قصر الليل واليوم :

ويوم دجنٍ ذو ضمير متهم مثل سرور شابهُ عارض غمّ

صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظُلَمْ كأنّهُ مستعرٌ قد ابتسم

مازلتُ فيه عاكفاً على صنمْ مُهفهف الكشح لذيذ الملتزم

تفاحه وقفٌ على لثم وشمّ وبانه وقفٌ على هصرٍ وضَم

ياطيبه يوم تولى وانصرم وجُوده من قصرٍ مثل العدم

وقلت: قصر العيشُ بأكناف الفضا وكذا العيشُ اذا طابَ قصر

فى ليالٍ كأباهـيم القطا لستَ تدرى كيف تأتي وتمرّ

وقلت: إذا البرق من شرقىّ دجلة ينبرى على صفحات البـارق المتألق

أشبهه دهراً أغرَّ محجـلاً فقمنا به في ظلّ فينان مورق

فمرَّ كرجع الطرفِ ليس يمسه حنينٌ إلى مخبورة المتمشق

وقد يعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجوّ من حيث تتقى

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن سعيد عن أبى عكرمة قال أنشدت اعرابياً قول جرير :

أَبُدِّلَ الليلُ لاتسرى كواكبهُ أم طال حتى حسبتُ النجمَ حيرانا

فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك فى ضده من قولى وأنشدنى :

وليـــل لم يقصرهُ رقاد　　وقصره لنا وصلُ الحبيب [١]

نعيم الحبِّ أَوْرقَ فيه حتى　　تناولنا جناهُ من قريب

بمجلس لذَّةٍ لم نقوَ فيـــه　　على الشكوى ولاعدِّ الذُّنوب

بخلنا أنْ نقطعهُ بلفظٍ　　فترجمت العيونُ عن القلوب

فقلت له زدنى فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أما من هذا فحسبك ولــكن غيره وأنشدنى :

وكنتُ إذا علقتُ حبالَ قوم　　صحبتهمْ وشيمتىَ الوفاءُ

فأحسن حينَ يحسنُ محسنوهم　　وأجتنب الاساءَةَ إنْ أساؤا

أشاء سوى مشيئتهم فآتى　　مشيئتهم وأترك ماأشاءُ

وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

للهِ ليلتنا بجوِّ سويقةٍ　　والعيشُ غضٌّ والزمانُ غرير

طابتْ فقصرَ طيبها أيامها　　فكأنما فيها السنونُ شهور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلى :

ظللنا فى جوارِ أبى الجناب　　بيوم مثل سالفة الذباب

يقصره لنا شغف التلاقي　　ويوم فراقنا يوم الحساب

وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبى الحسن العتابى عن عيسى بن اسماعيل قال سمعت الأصمعى يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :

ويوم كابهام القطاةِ محبب　　إلىَّ هواهُ [٢] غالبٌ لى باطله

رزقنا بهالصيدالعزيز ولم نكن [٣]　　كمَنْ نبله محرومةٌ وحبائله

فيالك يوم خيره قبلَ شرِّه　　تغيبَ واشيه وأقصرَ عاذله

---

(١) فى زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) فى زهر الآداب « إلىّ صباه » . (٣) في الأصل (الصعد الغزير ولم يكن) .

فقال ويله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وماكان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :

وكشفت لي عن صفحة الماء الذي ... قد كنتُ أعهدُه كثيرَ الطحلب

فقال إنما قال (عن جلدة الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .

وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمتُ فيه بيوم ... لم يزلْ للسرور فيه نموٌّ

يوم لهو قد التقى طرفاهُ ... فكأنَّ العشيَّ فيه غدوٌّ

ومن قول ابراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها ... قصراً وهي ليلةُ الميلاد

وقلت : وطال عمرك في دهر به قصرٌ ... تمدُّ فيه شهور العيش أياما

وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنورَّ ذكركم ... دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره

فوالله ما أدري أضوءٌ مسجر ... لذكركم أم يسجر الليل ساجره

وبتُّ أسقى الشوق حتى كأنني ... صريعُ مدام لم ينهنه دائره

وظلتْ أكفّ الشوق لما ذكرتكم ... تمثل لي منكم خيالاً أسايره

فلو كنتمُ أقصى البلاد لزرتكم ... إلى حيث يعيي ورده ومصادره

أرى قصراً بالليل حتى كأنما ... أوائله مما تداني أواخره

وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسى الزّمانُ بها   احداثهُ كونى بلا فجـر
راح الصباحُ ببدرها ووشت   فيها الصبـا بمواقـع القطر
ثم انقضتْ والقلبُ يتبعها   فى حيث ماسقطتْ من الدَّهر

وقلت: وصلت نعم ولـكن صلةً   تشبهُ اللحظةَ فى انتقالها
لستُ أدرى أتممتُ بها   أم بزورِ الزور من خيالها
ومضى الليـلُ سريعاً مثلمـا   أنشطتْ دهماء من عقالهـا

﴿ الفصـل الثالث من الباب السادس ﴾

فى ذكر الصباح والشمس والنهار ومايجرى مع ذلك

أجود ماقيل فى الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال نزلت بقوم من غُنى وقد جاوروا قبائل من بنى عامر بن صعصعة[١] فحضرت ناديهم وهناك شيخ طويل الصمت عالم بالشعر[٢] قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون أشعارهم فاذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم بشاة[٣] إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أونحر لأهل الوادى فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَـدَتْ فى رعيل ذى أداوَى منوطةٍ   بلباتها مربوعة[٤] لم تُمـَرَّخ[٥]
إذا سَربَخٌ عطت[٦] مجال سرائه   تمطتْ فحطتْ بينَ أرجاءِ سربخ

فقرع الشيخ الأرض بمحجنه وهو صامت ، ثم أنشده آخر يصف ليلة[٧] :

---

(١) فى الأصل (من بنى صعصعة) . (٢) فى أمالى القالى زيادة (وأيام الناس)
(٣) فى الأمالى (فينفذ حكمه على من حضر ببكر للمنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) فى الاصل (مدبوغة)
(٥) تمرخ أى تُدهَّين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .
(٧) فى الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالى .

كأنّ شميطَ الصبح فى أخرياتها مُلاءٌ ينقى من طيالسةٍ خُضر
تخال بقاياها التى أسأر[1] الدُّجى تمدٌّ وشيعاً[2] فوق أردية الفجر

فقام الشيخ كالمجنون مصلتاً سيفه حتى خالط البرك[3] فجعل يضرب يميناً وشمالاً وهو يقول:

لاتُفرغنْ فى أذنىّ بعدها مايستفزّ فأريك فقدها
إني إذا السيفُ تولى ندّها لاأستطيعُ بعد ذاك ردَّها

قال أبو هلال رحمه الله تعالى وهذا دليل على أن علم الشعر والتمييز بين جيده ورديئه كان غريزاً عند أهل البوادى وهم أصوله ومنبعه ومعدنه، وكان فعل هذا الشيخ واستفزاز جيد الشعر له قريباً مما روى عن محمد الأمين أنه قال إنى لأطرب على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء.

ومن غريب ماقيل فى الصبح من الشعر القديم قول ذى الرمة، وقد أجمع الناس على أنه أحسن العرب تشبيهاً:

وقد لاحَ للسارى الذى كمّل السُّرى على أخرياتِ الليلِ فتقٌ مُشَهَّرُ
كلونِ الحصانِ الأنبطِ البطن قائماً تمايلَ عنهُ الجلُّ واللونُ أشقر

وهذا أحسن تشبيه وأكمله، الأنبط: الأبيض البطن، شبه بياض الصبح تحت حمرته ببياض بطن فرس أشقر. أخذه ابن المعتز فقال:

وماراعنا الا الصباحُ كأنهُ جلالُ قباطىّ على فرسٍ ورد

وقال أو قال غيره:

بدا والصبحُ تحتَ الليلِ بادٍ كمهرٍ أشقرٍ مرخى الجلال

ومن أغرب ماقاله محدَث فيه قول ابن المعتز:

---

(١) السؤر: البقية والفضلة، يقال اذا شربت فأسئر. (٢) الوشيعة: لفيفة من غزل، وتسمي القصبة التى يجعل النساج فيها لحمة الثوب للنسج وشيعة. (٣) البرك إبل أهل الحواء بالغة مابلغت، وقيل البرك الابل البروك، وقيل البرك: ألف بعير.

وقد رفعَ الفجرُ الظلامَ كأنَّهُ ظليمٌ على بيضٍ تكشفَ جانبه

وقد أبدع أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ فى جلبابه كالحبشىِّ فَرَّ من أصحابه

والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه كأنما يضحكُ من ذهابه

وقال أبو نواس :

فقمتُ والليلُ يجلوهُ الصباحُ كما جلا التبسمُ عن غُرِّ الثنيات

وفى ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابه كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه

وهذا من قول الآخر ه كطلعة الأشمط من برد شمل ه وقال ابن المعتز :

ولقد قفوتُ الغيث ينطفُ دجنه والصبحُ ملتبسٌ كعينِ الأشهل

وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ والصبحُ بالليلِ مكوث النور

كما خلطت المسك بالكافور

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته كوقدٍ باتَ ينفخُ الفحما

وقال : والليل قد رقّ وأصغى نجمهُ واستوفز الصبح ولما ينتقب

معترضاً بفجرهِ في ليلة كفرسٍ بيضاء دهماء اللبب

وقال العلوى وأجاد المعنى :

والصبحُ فى صفح الهواء موَرَّدٌ مثل المدامةِ فى الزُّجاج تشعشع

وقلت: إلى أن طوينا اليومَ إلا بقيةً يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق

وجلل وجه الشمس بردٌ ممسك وقابلهُ للغرب بردٌ ممشق

فلاح لنا من مشرقِ الشمس مغربٌ وبان لنا من مغرب الشمس مشرق

ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً وأشعل فيه الفجر فهو يحرق

وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءهُ تعلم منا كيف يبهى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليالٍ مظلمة مطرزاتٍ بالصباح معلمه
أخطرُ في بردتها المسهمه والرَّوضُ في حلته المنمنمه
قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَّرَهُ ودرهمه
وقد وشى رداءهُ ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ يطردُهُ النهارُ ولا أرى كالليـلِ يطردُه النهار طريدا
وتراهُ مثل البيتِ مالَ رواقهُ هتك المقوض شره الممـدودا

وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
والصبحُ قـد نسم في أديمه يدعهُ بطرٌ في حـيزومه
دعى الوصى في قفا يتيمه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيراً على السرَى وطارَ بأخرى الليل أجنحة الفجر

والنصف الأول من قول الآخر ٭ عنـد الصباح يحمد القوم السرى ٭

وقال العلوى الاصفهانى :

وليل نصرتُ الغيَّ فيه على الرُّشد وأعديتُ فيه الهزلَ مني على الجدّ
وضيعتُ فيه من عناقٍ معانقي فظنَّ وشاتي أنني نائمٌ وحدي
الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدُّجى كما انخرطَ السيفُ اليمانيِ من الغمد

وقلت: حتى أزالَ الصبحُ فاضلَ ذيله كالفيل يخطرُ في نوادي يعرب

وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتـدى على الجيادِ الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
كأنه غرَّةُ مهرٍ أشـقر حتى بدا في ثوبهِ المعصفر
ونجمهُ مثل السِّراج الأزهرِ

وقال الشمردل بن شريك[1] :

ولاحَ ضوء الصبح فاستبينا　　كما أرتنا المفرق الدهينا

وقال التنوخي: والـثريا كلـواء　　خافق من فوق مرقب

وبدا الفجرُ كسيفٍ　　في يدِ الجوزاء مذهب

وقلت: أديرا عليّ الكأس والليلُ راحل　　وفي اثره للصبح بلقٌ شوائل

ترفع عنه منكب الليل فانجلي　　كما ابتسمتْ لمياءُ والسترُ مائل

وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسام علاه　　علق فوقَ شفرتيه متاع

وقال : أسامره والليل أسود أورق　　إلى أن جلا الاصباح عن أشقر ورد

تبسم مُحمرّاً خلال سواده　　تبسمَ وردِ الخدّ في الصدغ الجعد

ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعتْ شمسُ الاصيل لهم　　حتى توقّدَ في جنح الدُّجى الشفق

لحاجةٍ لم أضاجع دونها وسنا　　وربما جرَّ أسبابَ الكرى الأرق

وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشترى فكأنّه　　عُريانُ يمشي في الدُّجى بسراج

والناس يظنون أنه ابتدأه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في وصف السحاب والبرق :

توأم الودق كالزّاحف يزجي خلف اطلاح

صدوق البرقِ كالسكرا　　ن يمشي خلفه الصاحي

كأنَّ العازفَ الجني　　أوْ أصواتَ نواح

على أرجائهِ والبر　　ق يهديه بمصباح

وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

---

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الامرية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ماقيل فى الليالى الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاس برد الندى فيه فتهديه لحرِّ الهموم

وقال: وقدغدوْت وصبغ الليل منتقص وغرَّة الصبح مصقولٌ حواشيها

وغربت أنجمُ الظلماء وانحدرتْ فشالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها

فأما أجود ماقيل مما أنشدناه أبوالقاسم عن عبد الوهاب عن العقدى عن أبى جعفر عن ابن الاعرابى قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ماقالته العرب فيها :

مخبأة أما إذا الليلُ جنها فتخفى وأما بالنهار فتظهرُ

إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فانجلى دُجى الليل وانجاب الحجابُ المستر

وألبس عرض الأرض لوناً كأنهُ على الأفق الشرقىِّ ثوبٌ معصفر

ولون كدرع الزَّعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرُ أصفر

الى أن علتْ وابيضَّ عنها اصفرارها وجالتْ كما جالَ المليحُ المشهر

ترى الظلَّ يطوى حين تعلو وتارةً تراهُ إذا مالتْ إلى الارض ينشر

وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ اذا والتْ لمن يتبصر

وأفنت قروناً وهى فى ذاك لم تزل تموتُ وتحيا كلّ يوم وتنشر

وأنشدناه أيضا أبوأحمد عن الصولى عن على بن الصباح عن ابن أبى محلم على غير ماتقدم هنا أخذابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ماقيل فى انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبٍّ عليه قانصٌ لما غفلْ والشمسُ كالمرآة فى كفِّ الأشل

ونحوه قول أبى النجم * وصارت الشمس كعين الأحول *

ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعنى الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا

تخافُ الرَّقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يغارا

فتستر غُـرّتها بالخمار طوراً وطوراً تزيل الخمارا [١]

وقال ابن المعتز وأغرب :

تظلُّ الشمس ترمقنا بلحظ خفى مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى كعنين يريد نكاح بكر

وقال ابن طباطبا :

وأقذيت عين شمس فحكت من خلال الغيم طرف عمشاء
وقلت : فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت كما أشرقت فوق البرية زينب
يفضض منها الجو عند طلوعها ولكن وجه الارض فيها مذهب
وتحسب عين الشمس اذ هى رفعت على الافق الغربى شبراً يذرب

وقلت فى يوم صحو :

ملأ العيون غضارةً ونضارةً صحوٌ يطالعنا بوجه مونق
والشمس واضحة الجبين كأنها وجه المليحة في الخمار الأزرق
وكأنها عند انبساط شعاعها تبرٌ يذوب على فروع المشرق
جرّت إذا بكرت ذيول مزعفر وتجرُّ إن راحت ذيول ممشق
فشربتها عذراء من يد مثلها تحكى الصباح مع الصباح المشرق

وقال ابن طباطبا :

وشمس تجلت فى رداء معصفر كأسماء إذ مدت عليها إزارها

وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :

حتى علا الطود ذيل من أصائله كما يصفر فودى رأسه الحرف

وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمس فى حجابها مثل الكعاب الخود في نقابها

وقال ابن الرومى وهو من المشهور :

---

(١) ستأتى هذه الأبيات قريباً فى أوائل الجزء الثانى .

كأنَّ خبوَّ[(١)] الشمس ثم غُروبها … وقد جعلتْ في مجنح الليل تمرض
تخاوص عين بين أجفانها الكرى … يرنقُ[(٢)] فيها النوم ثم تغمض

ومن جيد ماقيل في احمرارها عند المغيب قول ابن الحاجب :

وكأنها عندَ الغرو … بِ جُفونُ عينِ الارمد

وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

إذا رَنَّقتْ[(٣)] شمسُ الأصيل ونفضت … على الأفقِ الغربيِّ ورساً مذعذعا[(٤)]
وَوَدَّعتِ الدُّنيا لتقضيَ نحبها … وشوَّلَ باقي عمرها وتشعشعا
ولاحظتِ النوارَ وهي مريضةٌ … وقد وضعتْ خداً على الأرضِ أضرعا
كما لاحظتْ عوادَهُ[(٥)] عينُ مدنف … توجَّعَ من أوصابهِ ما توَجَّعا
وظلت عيون الرَّوض[(٦)] تخضلُّ بالندى … كما اغرَوْرَقَتْ عينُ الشجيِّ لتدمعا
وبيَّن إغضاءُ الفراقِ عليهما … كأنهما خِلاَّ صفاءٍ تودَّعا

وقال الآخر :

والشمسُ تُؤذنُ بالشروقِ كأنها … خَوْدٌ تلاحظُ من وراءِ حجابِ

وقال السري :

ومن قصور عليه مُشرفة[(٧)] … تضيءُ والليلُ أسودُ الحجبِ
بيضٌ إذا الشمسُ حانَ مغربها … حسبتَ أطرافهنَّ من ذهب

---

(١) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « جثو » .

(٢) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط : وفي الأصل (يرفق) .

(٣) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « إذا أرفقت » .

(٤) الورس : نبات كالسمسم ، ومذعذعا : متفرقاً .

(٥) في الأصل « عوادها » .

(٦) في ديوان ابن الرومي « عيون النور » .

(٧) كذا في ديوان السري ، وفي الأصل « على مشرفة » .

ومن بديع ماقيل فيها من شعر المتقدمين قول أبى ذؤيب :

سبقت إذا مالشمسُ عادت[1] كأنها صَلاءَةُ طِيبٍ ليطها واصفرارُها

ومن جيد ماقيل فى النهار قول أعرابى :

فاذا أشرَقَ النهارُ تراها راملات فى مثل ماء زلال

وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعنَ فى الماء الزُّلال

وقلت : وعلى الصباح غلالةٌ فضيةٌ فيها طرازٌ من خيالك مُذْهَبُ

آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بنى أمية ، وكان عمى الفضل بن سهل يقول الاوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	علمت بأن الناب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أومن وجه عثمان

---

(١) فى ديوان أبى ذؤيب « آضت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعانى ﴾

الصفحة

﴿ استدراكات وتصويبات ﴾

الصفحة	السطر	
٢٠٣	٢٠	نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة فى صحن
٢٠٤	١٩	ومما قيل فى قبح الخلقة وغير ذلك
٢١٥	٤	لا تخدعنه بأثواب مصبغة
٢٣٧	١٠	وغدا فنم عليه عند رقيبه
٢٤١	١١	كأن على أنيابها الخمر شجها
٢٤٩	١	وعانقت حلق من صدغه حلقا
٢٦٥	٩	لو كانت الأشياء تعرفه أجللنه اجلال باريها لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
٢٧١	٢٣	أسر اذا بليت وذاب جسمى
٢٧٦	١٥	أن الذى يعشق من لا يرى كميت من شدة الغلمة
٢٩٣	٧	يقشر جلداً منه كالنضار
٣٠٠	٦	ظلت تبكى شجو ماأبصرت من أمرنا وهى به عالمه
٣١٤	٧	هذا الشعر للمخبل اليشكرى لا للاخطل
٣١٥	١٣	انها عندى وأحلام الكرى
٣١٩	٥	كما أنك تابع وأنا قرين فغلبه
٣٢٣	٢٢	أكرم ذخر ذخرتــه كرمة فى عنبه
٣٢٤	١١	فأت ننف الهم عنا

﴿إختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات فى الجزء الاول﴾

وأكثرها من استدراك المستشرق الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة	السطر	
١١	١	تقول لى.. هاجعة
١١	٥	أبو عروة المدنى
١١	٨	نصرى
١١	١٥	الثرة الصفى
١١	١٨	السوءلا
١٢	١	لعيس
١٢	٣	وأتمززها
١٢	١٦	كالسيوف أوجههم
١٢	١٩	اللحاء
١٨	١٠	السبك
١٨	١٤	خضرا
٢٠	١٣	حول سريره
٢٠	١٧	أغر أروع
٢٠	١٨	فانك كالليل
٢١	٢	كحى أدركته مقادره
٢١	٥	مبثوثاً
٢١	٨	لا عار
٢١	١٠	فيه عار
٢١	١١	سرار
٢٢	١	من أخذ
٢٣	٢	ترنو
٢٣	٧	إلى بابه
٢٥	١٥	أبق.. الصم
٢٦	٢	بن فاتك
٢٧	٧	أبو أحمد
٢٧	١٧	محرد
٢٧	١٨	للممدوح
٢٨، ٦٨	١٠، ٧	ابن دواد
٣٠	٤	الفيض
٣١	١٠	أحسن جحظة
٣٢	١٢	بغضبتها
٣٣	٥	ليسقط عنه
٣٣	٧	عند إتيان
٣٣	١٣	الماطرة
٣٣	١٤	ومنا الثناء
٣٤	١٦	قسطل
٣٥	٧	وأنت مليح
٣٥	١٦	ذمارها
٣٨	٥	وفوا
٤٠	١٤	دماذ
٤٠	١٦	ضيف.. الخفرات
٤١	١٢	أبى عكرمة
٤٤	٩	بخفان
٤٤	١٩، ٢٠	ثامل
٤٧	٥	وبصدره
٤٧	٨	الكوماء.. تنحرى
٥٧	٣	من الشجاعة
٥٨	١٣	غر الرداء
٦٠	٢١	وأحسن منه ما
٦٠	١٩	تفريعاً إلى أن
٦١	١١	مركوز
٦٣	٢٠	يافيض
٦٥	٣	ابن حرى
٦٥	٢٢	هفان.. ثوابة
٦٦	٤	أبو الغراف
٦٦	٩	أثلمته حوامله
٦٦	١١	فيوم تحوط
٦٦	١١	ماتغب نوافله
٦٨	٥	دوارج
٦٨	١٩	كما دعيت
٧١	١٥	أو أزرهم
٧٢	١٢	أكفاؤه
٧٤	٢	الخريمى
٧٨	١٧	المتألى الشاعرون
٧٩	١٠	أمون.. لحاءها
٨١	١٦	الجحاف
٨٢	٧	أخرانا
٨٥	١٧	الجانى
٨٥	٢١	فقرى غنى
٨٦	٣	ولا يحال
٨٦	٥	نبوه
٨٧	١٨	جبينه
٨٧	٢٠	بالأفول
٨٧	٢٠	على الوقود
٨٨	١	واعتددت
٨٨	١١	إلى الكوم
٨٩	٦	أشوى
٨٩	١٠	أو القنان
٩٠	١١	العاصمون
٩٠	١١	العارمون
٩٠	١٨	ومنى
٩١	١٤	الفصل الثالث
٩٢	٥	شيبا بماء فعادا
٩٢	١٠	تنشر أعياداً
٩٢	١٣	راعيه
٩٢	٢٠	كهذا
٩٣	١٥	بلبل
٩٤	١٢	أبى هفان
٩٥	١٧	يهدى للجليل
٩٦	١٦	عنان الفكر
٩٦	١٧	بيديه نارها
٩٦	٢٢	إلى من وليه

٩٧ ١٥ اقتفروا
١٠٠ ١ ولشأوه
١٠٠ ١٧ تجلى لك
١٠٢ ٦ من مواليه
١٠٢ ٢٠ ويلقيك ثواب
١٠٦ ٥ إنك
١٠٦ ٢٢ بلبال
١٠٩ ١٠ آلف
١١٠ ٣ بواكب
١١٠ ٩ تقذيتها
١١١ ١ مجدلا
١١١ ٢ بما لم
١١١ ٣ أغشى
١١١ ٧ أخم
١١١ ٢٠ ماذلك
١١٢ ١٣ الصقعب النهدي
١١٢ ٢١ قدجبت جلبابه
١١٣ ٦ رفيقة
١١٤ ١٨ بلعاء
١١٥ ١٠ بحر
١١٨ ٦ عبيدبن الأبرص
١٢٢ ٥ وأنني غير
١٢٢ ١٨ دجاجة
١٢٣ ٨ ابن ميادة
١٢٦ ٥ عن الحساب
١٢٨ ٢٢ أنعمة الله
١٣١ ٩ المشقر
١٣١ ١٣ راوية .. ابن
١٣٢ ٣ تتعتب
١٣٢ ٤ تجنب
١٣٣ ٦ حلحلة
١٣٣ ٧ بوانى
١٣٦ ٧ قول عمارة
١٥١ ١٥ التضافر
١٥٣ ٣ ويهدم صالحي

١٥٣ ٤ أن يحل به
١٥٣ ٦ وبادرت منه
١٥٥ ١٦ زفر
١٥٨ ١٢ راضي سنة
١٥٩ ١٠ بجنب الستار
١٧٠ ١٧ بطائشة الصدور
١٧٣ ١١ دوبل .. دوبل
١٧٥ ٢٢ يزقق
١٧٦ ٢ جذمة
١٧٦ ٧ تغلب
١٨١ ١٦ به الدعي
١٩٨ ٣ تكن لتكون
١٩٨ ١٠ أمين
٢٠٦ ٢ الدار يطوف
٢١٣ ١٥ غادرا الرفض
٢١٣ ١٨ وقعتما للحين
٢١٣ ١٩ زوراذوي السنة
٢٣٣ ١١ فيزيد فيها
٢٣٣ ١٦ أملود
٢٣٣ ١٧ سب. وطاق
٢٣٤ ١٩ ياأسلمي
٢٣٧ ٨ فيها بدرها
٢٥٣ ١٤ النمري
٢٥٥ ١٣ يذاب بعيني
٢٥٦ ٤ فأسبلت
١٧ ٥ غضبةً
٤٢ ١ تكدر عيشة
٧٦ ١٤ خَبث
٩٢ ٥ قمِمان
١٢٥ ١٥ بَختري
٢٤٩ ٤ شاربِ
٤٩ ٥ آراؤهم

٤٩ ٩ شيمت
٥٠ ٦ وما ظلم
٥٣ ٧ ويمرع
٥٤ ١٠ وتدولا. وعتودا
٥٥ ٧ مد العلاء
٥٦ ١٦، ٢٠ خدى
١٤٥ ٧ مذهبه
١٤٩ ١٨ عليم بن جناب
١٥٠ ٢٠ سعيد بن مسلم
١٩٦ ٧ بذي شكر
١٩٦ ٨ نحوي جميعة
١٩٦ ١٩ في التطير
١٩٩ ١١ وأدغمت أباً
١٩٩ ١٥ تثنى عنك
٢٠١ ٦ فيه مذزمان
٢٠١ ٧ ظهارة سوء
٢٠١ ١٧ كما تزيد
٢٠٢ ١١ بسلب الصفات
٢٠٢ ١٥ عن الأشناندانى
٢٠٢ ١٨ كالذبيح
٢٠٣ ١٩ ابن مهرويه
٢٠٦ ٢٠ ونتنتى حتى
٢٠٨ ٢ كسير الجناح
٢٠٨ ٣ خامد المصباح
٢١٠ ٦ وسماد لحية
٢١٢ ٣ بهمن دمامته
٢١٣ ١ أظهر فيه
٢١٤ ٨ غادية
٢١٥ ١٧ ولا تأتيني
٢١٦ ٧ في بيتي
٢٢٠ ١٨ وللقارف ذنباً
٢٢١ ٢ أرى الراغب إلى
٢٢١ ٤ الهيبة الخيبة

٢٢٥ ١٥ دمع احدره
٢٢٦ ١٣ عند خود
٢٢٨ ٨ ونبتتها قالت
٢٢٨ ٢٢ الحسن بسطة
٢٢٩ ٤ بيضاء كالفضة
٢٣١ ٤ قاسنى بالبدرقد
٢٣٢ ١٥ حسنه .. حفلت
٢٣٧ ٦ عين تفل
٢٤٠ ١٣ يحتنها أحور
٢٤١ ١ مشرب عذب
٢٤٢ ١٤ بدلها
٢٤٤ ٤ وأنثنى
٢٤٤ ١٤ زق آمات
٢٤٤ ١٦ فأفضيت
٢٤٥ ١٩ قلقت وشحه
٢٤٦ ٨ تغضبن..انتعلت
٢٤٧ ٧ طرة .. طرة
٢٤٧ ١٤ أوبالمنى
٢٤٨ ٢٢ قرنوا
٢٤٩ ١ أو كالجيم
٢٥٠ ١٦ وما سلمى
٢٥٠ ١٨ وصف الساق
٢٥١ ٣ نقطن أذقانا
٢٥١ ١٣ القوام والترنح
٢٥٢ ١٠ إلا مشاشة
٢٥٢ ٢١ يخرق
٢٥٤ ٢١ خلس
٢٥٥ ٤ أطراف خرمة
٢٥٦ ٦ كما سق
٢٥٦ ٢١ السيف الصقيل
٢٥٧ ١٢ فاض من
٢٥٨ ١٥ كوم المطايا
٢٥٩ ٦ من طيبها
٢٥٩ ١١ يغيم كل
٢٦٣ ٨ الهوامى الهوامع
٢٦٣ ٢٠ قوم موسى
٢٦٤ ٨ كنت فى
٢٦٤ ١٤ الحسن عليه
٢٦٤ ١٧ معاً فلم
٢٦٥ ٢ أظرفه
٢٦٥ ٢٣ لشدما
٢٦٦ ٨ الوصل شافيا
٢٦٦ ١٠ وأرحم
٢٦٦ ١٤ لم يك
٢٦٩ ١٨ في الشمس
٢٧١ ٥ فغافصاه
٢٧١ ١١ ياجنان
٢٧٢ ١٠ يعش ..المنون
٢٧٢ ٢٠ اقتياد..صاحبه
٢٧٣ ١ بى يستن
٢٧٦ ١٠ سفعة
٢٧٧ ١٠ يشني الجوى
٢٧٧ ١٣ زف..فخيانى
٢٧٧ ١٨ معان جياد
٢٧٧ ٢٠ ولاطارقاً
٢٧٨ ١٥ ونحن مفترقان
٢٨١ ٥ ليلة القرر
٢٨١ ١١ حجاماً
٢٨٣ ١٢ من نزوح
٢٨٤ ٢ فنبتهن
٢٨٥ ٨ تنفض
٢٨٩ ١٩ وجواثم سفع
٢٩٠ ٣ موقوفه بين
٢٩٠ ٢١ تصبغ بالدماء
٢٩٣ ٥ فى جوذابة
٢٩٦ ١١ أرج العطر
٢٩٦ ١٥ من المن
٢٩٦ ٤ فى السق
٢٩٨ ١١ أتغرف من
٢٩٨ ١٦ المعتدة
٣٠٠ ٣ الكيسة الحازمة
٣٠٠ ٧ صادفت منا
٣٠٠ ١٩ وقد تردى
٣٠١ ١٠ موشى تخال
٣٠٢ ١٧ ثغر .. الواضح
٣٠٤ ١٠ فدون السمن
٣٠٤ ١١ طيف سلمى
٣٠٤ ١٤ منسر الباز
٣٠٨ ١١ سباها التجر
٣١٠ ١ أرى نجمين
٣١٠ ٥ ووجنة
٣١٠ ١٣ ذهن لطيف
٣١٢ ١٨ وقد حجب
٣١٥ ٣ اله ان
٣١٥ ٦ لهواً الى
٣١٥ ١٧ ليأتى ما
٣١٨ ٢ فأزرى
٣١٨ ١١ راضعت
٣١٩ ١٣ على الأجسام
٣٢٠ ٢ ذكر مزاج
٣٢٥ ٥ يميل
٣٢٦ ١٨ والأرض بمه
٣٢٧ ١٥ ابن سريج
٣٢٧ ١٨ عمل زلزل
٣٢٧ ٢١ فى جس
٣٢٨ ٤ أحرفه
٣٢٩ ٤ كما يتداوى
٣٢٩ ١٩ دكن الظواهر
٣٢٩ ٢٠ فى تبابين

٣٣٠	١٠	أدافعهن بالسكتين	٣٣٩	٢٠	كأنه غرض	٣٥٣	١٦	القصافى
٣٣١	٩	دزرور	٣٤١	١٢	والعيد زين	٣٥٦	٩	الأشمط .. سمل
٣٣١	١٤	ساحرة	٣٤٢	٣	اللذاذة	٣٥٧	٧	المقوض ستره
٣٣٣	١٦	كما ترنو	٣٤٣	١	قول مضرس	٣٥٧	١٠	يدعه بطرفى
٣٣٤	١	وأنقابا	٣٤٨	١٦	مذبانوا	٣٥٧	١١	دع الوصى
٣٣٥	٩	دنو الدلو	٣٥١	١٧	نعمنا به	٣٥٩	٥	قيل فى الشمس
٣٣٥	١٩	ترنو من براقع	٣٥١	١٨	ليس يرده	٣٦٠	٩	هى رنقت
٣٣٩	١٧	من فتوق	٣٥٢	١١	بجو سويقة	٣٦٠	٩	تبرأ يذوب

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب سبقت إذا ما الشمس عادت كأنها
صلاءة طيب ليطها واصفرارها ٥ ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي ٥ فإذا أشرق النهار تراها
راملات في مثل ماء زلال وقلت وتحسب الصباح إذا انتدى كأنكر عين في الماء الزلال
وقلت وعلى الصباح غلالة فضية فيها طرار من حيال المذهب

آخر الباب السادس والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العيون الزلال
وتفجير الأنهار السلسال ليغتذي به النجم والشجر ويربى الحب والثمر رحمة للأنام ونظرا للأنعام
فله الحمد أولا وآخرا والصلاة على نبيه الذي أرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله
بإذنه وسراجا منيرا وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون
في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف محملها ويقرب
متناولها فيرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويغترف من بحرها بذنوب وكنت جعلت كتابي
الموسوم بديوان المعاني مشتملا على اثني عشر بابا يتضمنها مجلد واحد وقد رأيت بعض الناس يستكثر
حجمه ويستثقل حمله فجعلت كل باب منها كتابا ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرب أمره ويسهل حمله
وتسرع الرغبة إليه ويكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق

هذا كتاب المبالغة

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين
والثمار والنسيم وما يجري مع ذلك وهو الباب السابع من كتاب
ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول الفصل الأول في صفة السحاب
والمطر والبرق والرعد والثلج والضريب أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم
عن الأصمعي قال قال أبو عمرو بن العلاء أي قول الشعراء في المطر أشعر قال قول امرئ القيس
ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر قوله طبق الأرض غاية في وصف عموم
السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة الطبق على الإناء ولا أعرف أحدا أخذه فأجاده إلا ابن الرومي
حيث يقول سحائب قيست بالبلاد فألفيت غطاء على أغوارها ونجودها
حدتها النعامى مثقلات فأقبلت تهادى رويدا سيرها كركودها ولم سيرها كركودها

(وهذه صورة صفحة من نسخة المتحفة البريطانية)